بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

٢٧٢/٦
ش ٣ ت

تفسير
سورة الكهف

رسالة

مقدمة لنيل شهادة العالمية "الماجستير"

إعداد الطالب

شير علي شاه - باكستاني

إشراف

فضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري

١٤٠٣

الاهـــداء

الى العباقره الأفاضـل اعـلام المفسريـن والمحدثين الذيـن نقلـوا القرآن والسنة (الامانة العظمى) من امام المفسريـن والمحدثيـن نبى الرحمـة محمد صـلى الله عليه وسلم جيلا بعـد جيل الى يومنـا هـذا .

اعترافا بالأيادى الزاهـرة لهؤلاء الجهابذة فى نشر التـراث الاسلامى فى مشـارق الأرض ومغاربها اقدم لهم هذه الرسالـة سائـلا من الله العظيم ان يرفع درجاتهم فى الجنـة ويجزيهـم عـن العلم واهله خير الجـزاء .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا والصلوة والسلام على من ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وعلى آله واصحابه دعاة الاسلام وقادة الأنام وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

اما بعد فان القرآن مائدة سماوية مليئة بالرحمة والشفاء تعلمه وتعليمه سبب التفوق والفلاح فى الدارين ومن ثم اعتنى علماء الاسلام قديما وحديثا بالفاظه ومعانيه اعتناء كبيرا لا يوجد له نظير فى الكتب السماوية السابقة فمنهم من أقبل على حفظ نظمه ومنهم من توجه الى رسمه وتصدى بعضهم لتفسيره فكتبت الاف من التفاسير من بين مطولة ومختصرة مستوعبة جميع النواحى التفسيرية او مقتصرة على موضوع من الموضوعات او ناحية من النواحى كاحكام القرآن ، وقصصه وشواهده واقسامه ومفرداته ومشكلاته وامثاله ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وتجويده وقراءاته ورسمه واسلوبه واسئلته واسباب نزوله وتناسب سوره وآياته ووجوه اعجازه وبلاغته وما الى ذلك (١) .

---

(١) من غرائبه وبديعه ، والاشباه والنظائر وفواتح سوره وجدله واسلوب بيانه ودعوته .

وما من قرن من القرون ولا من بلد من البلدان شرقا وغربا الا قـــدم جما غفيرا من الحفظة والمقرئين والمفسرين تصديقا لما بشر به اللـــــه تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .

والقرآن الكريم جدير بهذا الاعتناء البالغ اذ هو كتاب الله جـــل جلالـــه ومعجزة النبى الأمى صلى الله عليه وسلم ، وهو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو معدن كل خير وينبوع كل سعادة لا يأتيـــــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فالبحث عـــــن الفاظه ومعانيه وحكمه وأسراره والعمل بأحكامه هو الغاية العظمى ، والباحث فى علومه والمتدبر فى مطالبه اكرم الباحثين وأسعدهـــم لأن موضوعه اشرف الموضوعات فالبحث المتعلق به من أشرف البحوث .

نعم السمير كتاب الله ان لـــه

حلاوة هى احلى من جنى الضرب

به فنون المعانى قد جمعن فما

يفتن من عجب الا الى عجـــب

امر ونهى وامثال وموعظـــــة

وحكمة اودعت فى افصح الكتـــب

لطائف يجتليها كل ذى بصـــر

او روضة يجتنيها كل ذى ادب

ولله الحمد والمنة حيث أتاح لى الفرصة للاستفادة العلمية فى شعبـــة التفسير من الدراسات العليا ثم أسعد حظى باختيارى تفسير سورة الكهف

موضـــوع بحثي مع اعتقادي أن القرآن الكريم كله نور وبركة شفاء ورحمة (١) قراءة آياته تجلو القلوب وتلين الجلود والتدبر في معانيها يزكـــي النفوس ويشـــرح الصدور كل ســـورة من سوره تموج بجواهر المعانـــي السامية وكل آية منهـا معجزة من معجزاته الخالدة .

الا ان لكل سورة خصائص عما عداها من السور وأهدافا ومصالـــح تختـــص بهـا ولا توجـــد في غيرهـــا كما أن لكل زهرة رائحة خاصـــة ولونـــا فريدا تتفرد بهما عن روائح الأزهار من الأنواع الأخر ولأجـــل هذه الخصائص اختار بعض العلماء ســـورة (٢) من سوره حســـب الموضوعـــات والظروف المقتضية لتفسيرها ولقد سبق الى تفسير ســـورة الكهـــف بعض العلماء مثل الشيخ كمال الدين محمد بن احمـــد (٣)

---

(١) وفي الحديث " عليكم بالشفائيـــن العسل والقرآن وفي روايـــة الشفـــاء شفـــاءان قـــراءة القرآن وشـــرب العسل المستدرك ٤ / ٢٠٠ .

(٢) كتفسير سورة الاخلاص والمعوذتين وسورة يوسف والفاتحـة .

(٣) وسماه " حاشية على تفسير سورة الكهف " مخطوطة في " مكتبة عارف حكمت " بالمدينة المنورة عدد الصفحات ٢١٦ في كـــل صفحـــة ٢٣ سطرا وفي آخرها " وقع الفراغ يوم الجمعة المباركـــة ٢ رجب ١٠٢٠هـ في عهد السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان سلك المؤلف فيه مسلك البيضاوي والزمخشري في تحقيـــق المفردات والاعراب .

والشيخ عمر بن يونس الحنفي (١) والشيخ محمد على الصابونى (٢) والشيخ ابى الحسن على الندوى (٣) والشيخ مناظر احسن جيلانى (٤) والشيخ احمد ماهر محمود البقرى (٥) .

وانى اخترت تفسير هذه السورة لداعيتين .

الداعية الاولى : أن قراءتها تصون القارئ من فتن الدجال وكذا قراءة فواتح هذه السورة وحفظ آياتها العشر الاولى او الاخيرة حرز من مكائده عصرنا عصر الفتن والحوادث .

فتحن المسلمين فى أمس حاجة الى الاعتناء بما يحفظنا من الفتن الدجالية ، وقد كان السلف الصالح اشد اهتماما فى القرون السابقة بالتحذر والتحذير عن فتنة الدجال فما بالنا نحن فى عصرنا هذا عصر الانحطاط الخلقى ، عصر الالحاد والبعد عن تعاليم القرآن والسنة والدجال يخرج فى عهد الجهل والعصيان كما روى جابر بن عبد الله

---

(١) وسماه "فتح العلى العظيم لتفسير سورة اصحاب الكهف والرقيم" مخطوطة فى نفس المكتبة عدد الصفحات ١٦٠ فى كل صفحة ١١ سطرا وعبارة الكتاب مسجعة كما يقول المؤلف فى تفسير " فعلك باخع نفسك " اى قاتلها حزنا وغضباحتى تهلكها على آثارهم بعد توليتهم وادبارهم وادامتهم على الباطل واصرارهم والغرض تسلية الرسول كما هو فى التفسير المنقول .

(٢) افرد تفسير سورة الكهف ومريم ويس .

(٣) الصراع بين الايمان والمادية " او تأملات فى سورة الكهف " .

(٤) " تذكير بسورة الكهف" بلغة أردو .

(٥) " فى رحاب القرآن " فسر فيه سورة الكهف والنور والرحمن والانسان والجن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى خفة من الدين وادبار من العلم الى آخر الحديث (١).

وقد بالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى التحذير عن فتنة الدجال مبالغة لا تدانيها مبالغات اخرى فى باب التحذير والتخويف منها .

فقد روى ابو امامة الباهلى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله ان قال " انه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم اعظم من فتنة الدجال .

وان الله لم يبعث نبيا الا حذر امته الدجال وهو خارج فيكم لا محالة وان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وان يخرج من بعدى فكل حجيج بنفسه والله خليفتى على كل مسلم الى آخر الحديث (٢) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول قولوا اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من عذاب فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا والممات (٣) .

---

(١) احمد ٣٦٧/٣ - مستدرك ٥٣٠/٤ .

(٢) ابن ماجة ١٣٥٩/٢ - ١٣٦٣ - وابو داود ١١٧/٤ .

(٣) مسلم ٨٨/٥ (المطبعة المصرية سنة ١٣٤٧هـ) .

وفى رواية اذا تشهد احدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال (١) .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال ما يبكيك قلت يارسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرج وانا حى كفيتكموه وان يخرج الدجال بعدى فان ربكم عز وجل ليس بأعور انه يخرج فى يهود اصبهان حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة ابواب على كل نقب منها ملكان فيخرج اليه شرار اهلها حتى يأتى الشام الى آخر الحديث (٢) .

وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا انه لم يكن نبى قبلى الا حذر الدجال امته هو اعور عينه اليسرى (٣) .

ولم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم بهذه التحذيرات الشديدة بل اهتم اهتماما بليغا ببيان صفته (٤) ومحل خروجه (٥) وافساده

---

(١) مسلم ٥/٨٧ .

(٢) احمد ٦/٦٥ .

(٣) نفس المرجع ٥/٢٢١ .

(٤) بانه اعور العين اليسرى وبعينه اليمنى ظفرة غليظة ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل احد كاتب وغير كاتب .

(٥) بين الشام والعراق .

فى الأرض ، ومكثه اربعين يوما (١) وخوارقه الاخرى (٢) .

كل ذلك ليقى الناس انفسهم واهليهم من فتنه ومكائده . ونبى الرحمة ورسول السلام بين علاج هذه الداهية والفجيعة النكراء ، قراءة سورة الكهف وحفظ آياتها العشر الاولى او الاخيرة .

فهذا الاهتمام البالغ دفعنى الى اختيار تفسير هذه السورة الواقية قارئها من الفتن الدجالية والمشتملة على معظم أركان العقيدة كمسئلة توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية وقضية البعث بعد الموت ومسئلة الرسالة ومسئلة صدق القرآن واعجازه ومسئلة حصر علم الغيب والتصرف فى الله تعالى وكذا تحتوى على المناهج القيمة (٣) والآداب السامية (٤) ومكانة القيم الروحية وخساسة الزخارف المادية .

---

(١) يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وباقى ايامه كالأيام المعتادة

(٢) من سرعة سيرة " كالغيث استدبرته الريح " واخراج كنوز الناس الارض ، وانزال المطر ، وقتله شابا من شباب اهل المدينة ثم احيائه وما الى ذلك من الخوارق للعادة .

(٣) كمنهج التضحية والفداء ومنهج الدعوة والحوار ، ومنهج التعلم والتعليم ومنهج التربية ومنهج الانقياد والتسليم ومنهج الدولة .

(٤) كأدب المساواة وادب التفويض الى علم الله تعالى وادب الاستثناء وادب الدخول فى البساتين والمنازل وادب التواضع فى سبيل العلم وآداب السفر وادب نسبة الكمال الى الله تعالى وما الى ذلك من الآداب .

فمثل هذه السورة المشتملة على دفع الفتن وحل كثير من المخاطر التى يواجهها المجتمع الاسلامى فى عصرنا الحاضر لجديرة بأن تفسر موضوعاتها ذات مزايا عديدة فى رسالة مستقلة ليسهل على القارئين المتدبرين قراءتها وخاصة يوم الجمعة قراءة حافلة بهذه المعانى القيمة والأهداف المطلوبة حتى يظهر له من بعض اسرار قراءتها يوم الجمعة وحكمة عدم التسلط الدجال على من يقرءها .

فان السورة تركز على توحيد الالوهية فى فاتحتها وخاتمتها وفى ثنايا قصصها وتعالج قضية البعث بعد الموت وتسجل صدق القرآن وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم . وتقدم تضحيات أصحاب الكهف رجال الايمان ونماذج الفداء والتفانى فى سبيل صون كرامة العقيدة والايمان لترسيخ هذه المبادئ الهامة فى اعماق صدور القارئين لتقوى علاقتهم بالله تعالى وتزكى نفوسهم ولتصوغ حياتهم صياغة ربانية وتغرس شجرة الصدق فى قلوبهم ليصدعوا بالحق ولا يزيغوا عنه مهما بلغ ثمنه ، وليضحوا فى سبيله كل غال ونفيس حتى انفسهم وعائلاتهم ومصالحهم ومناصبهم والمطلوب فى استحباب قراءتها يوم الجمعة يوم العبادة والدعوة الى الله المواظبة على قراءتها كل اسبوع فى ذلك اليوم المبارك ، لتنمى آياتها المشتملة على أركان العقيدة وسيرة الصلحاء والانبياء التيار الايمانى فى قلب قارئها وتكسوه حلة القوة المعنوية فلا يتردد حينما تزهزح تهديدات الجبابرة اصحاب الهمم الصامدة ولا يقنط من رحمة الله حينما تهب عواصف اليأس .

ولا شك ان تكرار قصص الشخصيات القرآنية كل اسبوع يهب القارئ الحرية التامة والاعتماد على الله تعالى وحده ويشجعه على اداء وظيفته اعلاء كلمة الله فلا يتذلل أمام العباد ولا يعرف طأطأة الرأس الا في عبادة الله تعالى وحده لانه عبد لله جل وعلا فلا يبالى بالمصالح ولا يتزاحم على المناصب التى قلبت الحقائق فى اعين ابناء الدنيا فاستنكروا المعروف واستحسنوا المنكر .

لمثل هذا يذوب القلب عن كمد

ان كان فى القلب ايمان واسلام .

وحينما يرى القارى الكرامات والمعجزات الخارقة للعادة لا ينخدع بخوارق الدجال اذ فرق كبير بين كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وبين خوارق الدجال ، لأن الاولياء والانبياء كلهم يعبدون الله تعالى ويؤمنون بألوهيته تعالى وينسبون الفضل والكمال لله وحده جل وعلا .وآما الدجال فيدعى الالوهية مع عوره البين وطبع " الكافر" بين عينيه فلوحة وجه تكذب ما يدعيه من الألوهية .

فمن لا يستطيع اصلاح عينه ومحو كلمة الكفر عن صفحة جبينه كيف ينفع الأخرين او يضرهم ويكون الها ومتصرفا فى الكون .

ومما لا يخفى أن مجتمعنا الحاضر فى أمس حاجة الى تقديم تضحيات رجال القرآن وفتية الاسلام امام الشباب المسلمين كى لا ينخدعوا بالثقافات الغربية التى لا تقل فى الاضلال عن الفتن الدجالية فان الثقافة الغربية عبارة عن الفتن والالحاد والخلاعة .

فما حل في افغانستان من الفجائع المخزية والكوارث المؤلمة الا بعد رجوع ابناء المسلمين مثقفين بالثقافة الشيوعية المليئة بالمفاسد والتهتك ونهب الاموال والأرواح والاعراض .

فمن يقرأ في سورة الكهف سيرة اصحاب الكهف الذين قاسوا في صون الكرامة الانسانية وحرمة العقيدة افدح المخاطر فمن الله عليهم ووقاهم من بطش الجبابرة .

ثم يقرأ سيرة المؤمن المتوكل على الله ونجاحه في الدنيا والأخرة ويرى نكبة المعرض عن الايمان واسباب خسرانه .

ثم يقرأ فناء الدنيا وزخارفها البراقة وبقاء الاعمال الصالحة ويقرأ قصة موسى والخضر وذى القرنين المليئة بالحكم والمصالح الدالة على صلابة ايمانهم وقوة اعتمادهم على الله وحده فتقوى علاقة القارئ بالله تعالى باداء وظيفته لا يخاف لومة لائم ولا بطشة حاكم .ويسلك في الاستقامة على جادة الحق ومقاومة المخاطر مسلك اصحاب الكهف .

ويناقش المغترين بالاموال مناقشة المؤمن الفقير أخاه الغني المغرور بالجنتين ويحرص على الاستزادة العلمية والانقياد امام الأوامر الربانية مثل موسى والخضر عليهما السلام ويعامل رعيته مثل معاملة ذى القرنين رعاياه حيث أتعب نفسه في اراحة الشعب ، وتنسيق الجيوش ودقة التنظيم وبسط الأمن والسلام في جميع بلاده .

واما الداعية الثانية : فهي أن بعض اهل البدع وارباب الهوى استدل ببعض آيات سورة الكهف على معتقداتهم الفاسدة ترويجا لأفكارهم الزائغة

فى المسلمين السذج .

١ - بأن بناء المساجد على القبور ثابت بقوله تعالى " قال الذيـــن غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا .

٢ - وان نيل البركة من اصحاب القبور ايضا منصوص بهذه الآية .

٣ - وأن معمول العرس (الموالد على قبور الصالحين) ايضا ثابت بهذه الآية .

٤ - وان القيام فى الموالد والقول على سبيل الاجتماع ثابت بدليل قيام اصحاب الكهف وقولهم جميعا " اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا .

٥ - وأن الالهام حجة قطعية بدليل أفعال الخضر بسبب الالهام .

٦ - وأن الولى أفضل من النبى بدليل اتباع النبى موسى عليه السلام الخضر عليه السلام لأن الأفضل لا يتبع المفضول بل الأمـــر بالعكس .

٧ - وان علم الباطن أفضل من علم الظاهر .

٨ - وان الخضر حى وهو يهب العلم اللدنى .

٩ - وان سجدة التحية جائزة للقبر او للمرشد .

١٠ - المنزلة اولى من الخلطة .

فهذه المسائل العشر اساس لكثير من الخرافات التى لا تقل خطورة من الفتن الدجالية فوجدت أنه لا بد من الرد على هذه المسائل المخترعة فى ضمن تفسير هذه الآيات التى احتج بها اهل الزيغ كى يحفظ المسلمون

السذج من حبائل هؤلاء المفسدين تحت ستار الاسلام ولا ريب ان زيغهم أعرق من زيغ الكافرين لانهم كانوا يتبعون ما تشابه من الآيات واما هؤلاء فهم يتبعون المحكمات ويفسرونها حسب آرائهم الفاسدة ويستنبطون منها ما يعارضه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ولنعم ما قال الامام الشاطبي " انك لا تجد مبتدعا من ينسب الى الملة الا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي (١) .

---

(١) الاعتصام ١/١٠٢ .

منهج البحث

واخترت فى تفسير سورة الكهف المنهج التالى : -

اولا : ذكرت قبل البدء فى التفسير بعض الموضوعات على سبيل التمهيد ليسهل بمعرفتها مطالب السورة مثل موضوع بين يدى السورة ومحتويات السورة والموضوع الرئيسى فى السورة ، وربط السورة بما قبلها وبما بعدها وفضل سورة الكهف ، وفضل قراءتها يوم الجمعة وسبب نزولها ،والعرض الاجمالى لمحتويات السورة .

ثانيا : واخترت فى التفسير ما اختاره المحققون من تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة باقوال الصحابة ثم باللغة العربية .

ثالثا : شرحت المفردات شرحا بسيطا سهلا .

رابعا : بينت الاعراب ان كان فيه خفاء وان كان الاعراب ذا جوانب متعددة فاخترت منها ما هو الراجح عند المحققين .

خامسا : بينت الحقائق والمطالب التى تنص عليها الآية بعبارة واضحة تعطى القارئ صورة واضحة عن مضامين الآية .

سادسا : ذكرت فى القصص والمثلين ومعظم الآيات النتائج والاهداف الهامة .

سابعا : نقلت من التفاسير وغيرها الفوائد القيمة والحكم المتناثرة ذات الصلة الوثيقة بالآية اتماما للفائدة .

ثامنا : جمعت الاقوال العديدة فى بعض المسائل ثم اخترت منها ما

اختاره اهل التحقيق .

تاسعا : ركزت في جميع السورة الجوانب الاعتقادية التي تعالجهـــا السورة وترسخها في اعماق الصدور كحصر الالوهية والربوبيـــة وعلم الغيب والتصرف والتوكل في الله تعالى والرضا بما قـــدره الله تعالى والانقياد التام اما قضاءه تعالى .

عاشرا : بحثت عن اهم موضوعات السورة بحثا مناسبـا :-

١ - كالبحث عن جملة الحمد لله في مفتتحات السور الخمس .

٢ - والبحث عن الحمد وأل .

٣ - والبحث عن أن القرآن قيم .

٤ - والبحث عن موقع الكهف .

٥ - والبحث عن المسائل العشر المخترعة كما مر ذكرها في بيـــان الداعية الثانية .

٦ - والبحث عن التوكل والتواكل .

٧ - والبحث عن قوله تعالى " ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنيـــن وازدادو تسعا " هل هو اخبار من الله تعالى او هو كـــلام القوم حكاه الله تعالى .

٨ - والبحث عن قوله لا مبدل لكلماتـــه .

٩ - والبحث عن حقيقة الملائكة .

١٠- والبحث عن السجود .

١١- والبحث عن نبوة الخضر وعن حياته ومماته .

١٢- والبحث عن شخصية ذى القرنين .

١٣- والبحث عن موقع السد .

١٤- والبحث عن ياجوج وماجوج .

١٥- والبحث فى اندكاك السد وما الى ذلك من البحوث الهامة.

هذا - وانى حاولت التسهيل على القارى فى فهم مطالب السورة واجتهدت فى ايضاح ما يتعلق بالتفسير واستوعبت شرح جميع الكلمات والموضوعات التى لم يذكرها المفسرون فى تفسير سورة الكهف اعتمادا على شرحهم اياها فى السور السابقة ولكنى مع هذا الجهد البليغ أتيقن انه قد بقى كثير من الجوانب الهامه لم يشرح شرحا مناسبا وذلك لقصور علمى وقلة خبرتى فى فن التاليف فان وجدت فيها ايها القارئ من الفوائد فهذا من فضل الله تعالى ثم هى ثمرات اوراق التفاسير للمتقدمين والمتأخرين وان عثرت على خطأ فمنى .

اللهم تقبل منا هذا العمل المتواضع واجعل كتابك ربيع قلوبنا ونور ابصارنا وجلاء احزاننا وارزقنا تلاوته آناء الليل وآناء النهار واجعله لنا حجة يارب العالمين ، والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسوله خاتم النبين وعلى خلفائه الراشدين وسائر اصحابه المكرمين وآله المطهرين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

شكـــر وتقديـــر

ويسعدنـــى ان اتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الاسلامية وعلى رأسهم سماحة الشيخ د . عبدالله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية الذى أتاحت لنا معاشر الطلبة هذه الفرص الذهبية للاستفادة العلميـــة فى جو اسلامى محاط بالطمأنينة والراحة فى اطيب البقاع مهبط الوحى ودار الهجرة المدينة المنورة زادها الله شرفا وبهاء كما اتقدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلة استاذى الجليل الشيخ / ابى بكر بن جابـــر الجزائرى حفظه الله تعالى الذى أشرف على الرسالة وأنار لى الطريق بتوجيهاته القيمة ومنحنى اوقات اضافية فى مسجده ومنزله ، ولا يفوتنـــى ان اشكر كل من قدم الى من الملاحظات الطيبة والآراء النيرة - جزاهـــم الله تعالى خير الدنيا وثواب الأخرة .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

تسمية السورة :

سميت هذه السورة بسورة الكهف لانها تبين قصة أصحاب الكهف التي يدور حول قطبها (١) سائر موضوعات السورة من القصص والأمثال والتذكير والمواعظ وترد لفظ الكهف فيها ست مرات وهي من السور التي نزلت بمكة في الظروف التي يعاني فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين كل شدة ومرارة وبلغ صراع الحق والباطل أقصى حدوده وكان صوت القرآن يعلو على أصواتهم مع محاولتهم أنواع التدابير والحيل .

استعانة المشركين في معارضة القرآن باليهود في رده حتى اضطروا الى معونة اليهود فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى المدينة المنورة (٢) ، ليسألاهم عن محمد فانهم أهل كتاب وعندهم من العلم وليعلموهما ما يمكن لهم في محو الدعوة القرآنية ، فأشاروا عليهم بطرح الأسئلة الثلاثة المعقدة عندهم أمام صاحب هذه الدعوة متيقنين بأنها حيلة

---

(١) وهو غرس عقيدة التوحيد والبث في قلوب الناس .

(٢) كما يأتي في بيان نزول هذه السورة ص ٩ .

ناجحة في حبس صوت القرآن اذ لا يستطيع أحد ان يجيب عنها غير النبي صلى الله عليه وسلم ،ففرح المشركون بهذا الاقتراح واعتمدوا هذا المعول اليهودي هادما لهذا الدين الجديد وما شعروا بأن الله سيحقق بتدبيرهم هذا انبلاج الحق وكبت الباطل حين يشهدون الجواب السماوي الحاسم على صدق رسالته واعجاز كتابه وينبه اليهود بان لا يفتروا بعلمهم القليل فان علم نبيهم الجليل موسى عليه السلام ما هو الا قطرة من بحار علومه تعالى ويؤبخ المشركين بان لا يفتروا بثرواتهم المادية ولا يكذبوا الحق ولا يعتدوا على المسلمين المقلين كما يشجع هذا الجواب الثاني المؤمنين المظلومين على الثبات والاستقامة ويلمح الى الهجرة تلميحا لطيفا ويطمأنهم في أطواء قصة أصحاب الكهف ببشرى الفتوحات القريبة .

* محتـــويات الســـورة

يدور معظم آيات السورة حول القصص الثلاث ، قصة اصحاب الكهف وقصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام وقصة ذى القرنين لان الأيات المشتملة على هذه القصص تبلغ احدى وسبعين آية - وعدد آيات السورة مائة وعشر آيات وهذه القصص مليئة بالمبادىء الأساسية والمعانى السامية من عقيدة التوحيد والرسالة والبعث ورصع مبدأ السورة ومنتهاها بجواهر البينات القرآنية من اثبات جميع المحامد لله تعالى وعظمة القرآن الكريم ومنصب الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكل قصة معقبة بالنتائج المستلهمة من ثناياها للاعتبار والا تعاظ مع اشتمال السورة على المثلين الموضحين بأروع بيان فناء الدنيا وبقاء الآخرة - وانفردت هذه السورة الكريمة بذكر هذه القصص الثلاث اذ لم تتكرر فى سورة اخرى من السور القرآنية كما أمتازت جوانب هذه القصص بتضارب أقوال المفسرين فيها لانها قضايا لا نكاد نجد التصريح بها لا فى الكتاب ولا فى السنة الثابتة (١) .

---

(١) كموقع الكهف وعهد اصحاب الكهف ، وعددهم ، وحياتهم ومماتهم - وحيوة الخضر عليه السلام ووفاته - ونبوته - وعهد لقاء موسى به ، وموقع مجمع البحرين وشخصية ذى القرنين وسبب لقبه - ونبوته - ومحل السد - ومن هم يأجوج ومأجوج وما شابه ذلك من الموضوعات .

" الموضوع الرئيسى " فى السورة

ولعل الموضوع الرئيسى الذى تعالجه السورة فى ضمن هذه القصص والأمثال هو تكوين رجال العقيدة والاشادة بجلال التضحية فى سبيل الثبات على الحق - ويدور حول هذا الموضوع سائر القصص والأمثال فان قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (٤) فى مبدأ السورة وقوله تعالى " اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا (١٤) فى مبدأ قصة أصحاب الكهف وقوله تعالى " فمن كان يرجوا لقاء ربه ليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " فى خاتمة السورة تركز على توحيد الألوهية فى أعماق قلوب قارئيها والقصص تشهد على أنه لا يعلم الغيب الا الله وحده لا شريك له فأصحاب الكهف لم يعلموا مدة لبثهم فى الكهف التى تتعلق بأنفسهم ولم يعلموا ما حدث بعد ايوائهم الى الغار من الانقلاب الدينى وسيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم لم يعلم ما سيحدث غدا (١) .

وموسى عليه السلام لم يعلم العبد الصالح - الخضر عليه السلام ولم يعلم مكانه ولم يعلم أسرار الامور الكونية ، والخضر لم يعلم الا قطرة من بحار علوم الله عز وجل ولو كان عالما بالغيب لما سأل موسى

---

(١) كما سيأتى فى بحث سبب نزول هذه السورة صـ ٢٩ .

مـن أنت ؟ (١) .

وأن ذا القرنين مع سطوته لم يعلم لغة القوم وفوض علم اندكـاك السد الى الله تعالـى .

وكل هذه القضايا تشهد بأنه لا يعلم الغيب الا الله فلا معبـود الا هو فهذا هو جانب العقيدة واما جانب التضحية فهو ظاهر مـن مجابهة أصحاب الكهف مخاطر الحكام الفاشمين واستقامتهم على جـادة الحق بفتوتهم الفذة وتركهم المناصب والمصالح فى سبيل الاحتفـاظ بعقيدتهم وكذا من محاورة المؤمن الفقير الرجل الغنى غير ميال بثروتـه ونخوته وكذا من تحمل موسى عليه السلام متاعب السفر فى سبيل طلـب العلم الالهى وكذلك من أعمال ذى القرنين المضنية فى صالح الرعية .

ويمكن أن نحدد موضوع السورة فى " أن مدار الفوز فى الداريـن على اصلاح التعلق بالله وقال الاستاذ سيد قطب آما المحور الموضوعـى للسورة الذى ترتبط به موضوعاتها ويدور حوله سياقها فهو تصحيح العقيدة وتصحيـح منهج النظـر والفكـر وتصحيـح القيـم

---

(١) كما روى عن ابى عباس قال حدثنى أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما لقى موسى الخضر عليهما السلام جاء طير فألقى منقاره فى الماء فقال الخضر لموسى تدبر ما يقول هذا الطير قال وما يقول قال يقول ما علمك وعلم موسى فى علم الله الا كما اخـذ منقاره من الماء المستدرك كتاب التفسير ٣ / ٣٦٩ وصححـه الحاكم وقال على شرط الشيخيـن .

بميـزان هذه العقيدة (١) .

وقال الشيخ ابو الحسن على الندوى ان موضوعها الصراع بيـــن الايمان والمادية (٢) وسمعت الشيخ احمد على (٣) يقول " ان موضوعهـا (تمثيل حياة الانسان بأنواعها الأربعة) وبيـــان ان الطمأنينة والبركة فى سائـر انواعهـا موقوفتـان على التوكل على الله .

(١) فحياة طالب الآخرة الكامل مذكورة فى ضمن حياة أصحـــاب الكهـف .

(٢) وحياة طالب الآخرة الأكمل مذكورة فى ضمن حيـاة موسى والخضر عليهما السـلام .

(٣) وحياة طالب الدنيا الكامل مذكورة فى ضمن حياة صاحـــب الجنتيـن .

(٤) وحياة طالب الدنيا الأكمل مذكورة فى ضمن حياة ذى القرنيـن فكلهم نالوا الطمأنينـة فى حيوتهم بسبب توكلهم على الله عز وجل سوى صاحب الجنتين اذ لم يعتمد على الله تعالى بل اعتمـد على نفسه وأموالـه .

---

(١) فى ظلال القرآن ١٥/٢٢٥٧ .

(٢) " الصراع بين الايمان والمادية " " تأملات فى سورة الكهـف " كتـاب معروف للشيـخ .

(٣) الشيخ احمد على من كبار المشائخ - حارب الاستعمار البريطانى وجاهد فى سبيل نشر العقيدة السليمة وقاوم الفرق الباطلـة ، وكان أميرا لجمعية العلماء توفى رحمة الله تعالـى سـنة ١٣٨١هـ .

وعلى كل حال اذا كان الموضوع هذا او ذاك يستطيع القارئ المتدبر أن يطبق التعاليم القرآنية على حياته الفردية والاجتماعية ويدرك بوحدة الموضوع ترابط المعانى فيما بينها مثل ترابط الدرر فى سلك واحد وتحديد الموضوع للسورة - المستنبط من فحوى الآيات عمل عظيم الجدوى فى تركيز المعانى فى ذهن القارئ وربط موضوعات السورة بعضها ببعض. فمن فسر سورة الفيل وسرد قصة أبرهة بن الصباح الأشرم (١) بتمامها لأدى واجب التفسير ولو زاد على هذا بتحديد الموضوع للسورة وقال " ان تحقير شعائر الله يوجب الذل والدمار " لأنسار الهدف للقارئ وركز فى ذهنه الاعتبار والتأويل (٢) فيتجنب الاستخفاف بالشعائر الاسلامية وهكذا اذا حدد موضوع سورة الماعون اوصاف منكرى البعث وموضوع سورة الكوثر اصول هزيمة الكفار (٣) لسهل على الطالب تطبيق المعارف القرآنية واعتبارها وتحديد الموضوع ليس من قبيل التفسير بالرأى المذموم الذى يراد به تعضيد الباطل كما هو دأب الباطنية وأهل البدع - قال المفسر القرطبى فى بيان التفسير بالرأى المذموم " أن يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه يتأويل القرآن على وفق رأيه وهواه

---

(١) ابرهة الاشرم من جبابرة اليمن اتى بجيش عظيم لهدم الكعبة فأهلكه الله بطير ترميهم بحجارة من سجيل .

(٢) التأويل بمعنى الواقع الخارجى .

(٣) هذه الموضوعات من افادات الشيخ احمد على .

ليحتسج على تصحيح غرضـــه (١) .

وقال الشيخ ابو حيان الأندلسى ليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل فى ذلك الحديث (٢) وقال الحافظ ابن كثير من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير (٣) فعلى هذا استنباط الموضوع الشامـــل لمعظم معانى السورة الموافق للمطالب القرآنية أمر مستحسن سبق اليـه العلماء وهو داخل تحت قول على رضى الله عنـه الا فهم يعطى رجل فـى كتابـــه (٤) .

---

(١) تفسير قرطبى ١/٣٣ .

(٢) البحر المحيط ١/١٣ أراد بالحديث قوله عليه السلام من قـال فى كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ رواه ابو داود فـى سننه فى باب الكلام فى كتاب الله بغير علم ٤/٩٣ - ٩٤ حديث رقـم ٣٩٥٣ .

(٣) تفسـير ابن كثيـر ١/٦ .

(٤) فتح البارى كتاب الديات - باب لا يقتل المسلم بالكافر حديـث رقم ٦٩١٥ ١٢/٢٦٠ حينما سأل على رضى الله عنه هـــل عندكم من رسول الله شيء بعد القرآن قال لا والذى خلق الحبة وبرأ النسمة الا فهم الى آخر الحديث وفى مسند احمـــد - الا فهم يوتيـه الله رجلا ١/٧٦ .

" ربط السورة بما قبلها "

ترتبط سورة الكهف بسورة بنى اسرائيل ارتباطا وثيقا بوجوه شتى فأول سورة الكهف يناسب أول سورة بنى اسرائيل وآخرها بآخرها - وأولها بآخرها وآخرها بأولها وكل السورة بكل السورة .

اما ارتباط اول سورة الكهف بأول سورة بنى اسرائيل فمطلع سورة بنى اسرائيل التسبيح ومطلع سورة الكهف التحميد وهما مقترنان فى سائر القرآن (١) وكذا فى الميزان (٢) والتسبيح تنزيه الذات عن كل عيب والتحميد بيان ثنائه والثناء يتأتى بالصفات فما يتعلق بالذات يستحق التقديم على ما يتعلق بالصفات وأما ارتباط الآخر بالآخر فخاتمة سورة بنى اسرائيل قوله تعالى " وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا " وخاتمة سورة الكهف قوله تعالى " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا " .

وكلتا الخاتمتين لنفى الشرك واثبات توحيد الألوهية أما ارتباط

---

(١) كقوله تعالى فسبح بحمد ربك الآية (النصر) .

(٢) راجع تفسير روح المعانى ١٥ / ١٨٤ .

وحديث كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان - سبحان الله وبحمده سبحان العظيم رواه البخارى ٩ / ١٣٠ فى آخر الكتاب .

أول سورة الكهف بآخر سورة بنى اسرائيل فظاهر فان أول سورة الكهف تحميد وآخر سورة بنى اسرائيل تحميد واما ارتباط آخر سورة الكهف بأول سورة بنى اسرائيل ففى آخر الكهف نفى الشرك واثبات توحيد الألوهية وفى أول بنى اسرائيل التسبيح الدال على تعظيم شأنه وتوحيده فى الالوهية والربوبية وأما ارتباط السورة بالسورة فلما روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادى (١) .

وثانيا أن المشركين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فأجاب القرآن عن الأول فى سورة الاسراء وأجاب عن الثانى والثالث فى سورة الكهف ولما كان الجواب عن الروح خارجا عن ادراك العقول البشرية أورده فى سورة الاسراء لأن حقيقته ايضا مما لا تدركه الأفهام او أن الاسراء تمهيدا للعروج الى الأعلى والروح متصفة بالهبوط منه والصعود اليه (٢) .

---

(١) رواه البخارى : سورة الانبياء ٩ / ٨٠ - تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠ ابن مسعود هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود صحابى مشهور أحد السابقين الأولين والفقهاء والمقرئين صاحب النعلين والسواك والوساد مات بالمدينة سنة ٣٢هـ او ٣٣هـ. من العتاق الاول اى القدامى فى النزول - والتلاد المال القديم .

(٢) راجع لباب النقول فى اسباب النزول " والأجوبة العراقية" للمفسر الألوسى - كتاب نفيس مشتمل على أجوبة السائل التى سألها بعض روافض " ايران " من علماء العراق فتصدى الألوسى للجواب عنها .

وقال الفخر الرازى " التسبيح لله لكماله فى ذاته والتحميد لـنـه لاكماله المخلوقات والاسراء كمال يختص بالنبى صلى الله عليه وسلـم "لنريه من آياتنا " تناسب بسورة سبحان وانـزال القرآن عليـه لاكمال العباد " لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين" فناسب ان يذكر بسورة الكهف المفتتحة بالتحميد وايضا الاسراء أول درجات كماله وانزال الكتاب عليه منتهى درجاتـه (١) .

وأجاب القرآن عن السؤال الثانى والثالث فى سورة واحدة لكونهما من القصص (٢) .

وثالثا ان سورة بنى اسرائيل تخاطب اليهود بقولها "وما أوتيتم من العلم الا قليلا وسورة الكهف تؤيدها بما حدث لموسى مع الخضر عليهما السلام التى كان سببها ذكر العلم والأعلم (٣) ثم تسجل ذلـك بقولها " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفـد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا" .

وهذا التسجيل بعد ما بينت السورة أن اصحاب الكهف وموسى والخضر عليهما السلام وذا القرنين والنبى محمدا صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير كبير للرازى ٥/ ٧٢ .

(٢) لباب النقول فى اسباب النزول والأجوبة العراقية - جواب السؤال الخامس عشر .

(٣) روح المعانى نقله عن السيوطى ١٥/ ١٩٩ .

كلهم لم يعلموا الغيب وعلومهم جميعا بالنسبة الى علم الله تعالى كنسبة القطرة الى البحار (١) .

ورابعا في سورة بني اسرائيل قوله تعالى " فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا "

وفي سورة الكهف قوله تعالى " فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكفرين عرضا (٢) .

---

(١) روح المعاني ١٥/١٨٤ .

(٢) نفس المرجع .

" ربط السورة بما بعدها "

وكما أن سورة الكهف مرتبطة بما قبلها فكذلك لها علاقة متينة بسورة مريم لما مر في الوجه الاول من وجوه ارتباطها بما قبلها ، ولاشتراكهما في تنزيه الله تعالى عن اتخاذ الولد .

أما في سورة الكهف فقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا (٥) .

وأما في سورة مريم فقوله تعالى " ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣٥) .

وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا (١) .

وأيضا في آخر الكهف بيان بشرية خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى (٢) .

---

(١) سورة مريم ٩١ - ٨٨ .

(٢) الكهف ١١٠ .

وفى مريم ببيان عبودية عيسى عليه السلام مع بيان عبودية جميع الخلق - " ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا (١) .

وايضا ذكرت فى السورتين نماذج الرحمة الربانية على أهل الكهف وعلى الخضر عليه السلام وعلى ذى القرنين (٢) وعلى زكريا وكلمة الله عيسى ابن مريم وخليل الله ابراهيم وكليم الله موسى عليهم السلام (٣) .

وقال الرازى ان السور الثلاث (٤) تشتمل كل منها على حالة عجيبة ففى الاول واقعة المراج بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حصة من الليل وفى الثانية بقاء اهل الكهف احياء نياما مدة مديدة وفى الثالثة حدوث الولد بدون الأب فاشتمال كل واحدة منها على الأمر العجيب بسبب ارتباطها (٥) .

---

(١) مريم ٩٣ .
(٢) كما فى قوله تعالى ربنا آتنا من لدنك رحمة الاية .
وقوله تعالى ينشر لكم ربكم من رحمته الاية .
وقوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا .
وقوله تعالى قال هذا رحمة من ربى الاية .
(٣) كما فى قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله تعالى ولنجعله آية للناس ورحمة منا وقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا .
(٤) اى سورة بنى اسرائيل والكهف ومريم .
(٥) تفسير كبير ٥/٧٠٨

" فضل سورة الكهف "

ومما لا ريب فيه أن جميع القرآن بسوره وآياته ملوء بالفضائل .

تتباهى السموات السبع بنزوله من اللوح المحفوظ وتفخر الأرض بمنزله فيها - وتعتز ليلة القدر ويتسامى شهر رمضان بظرفيتهما لنزوله . يؤمن بسماع آية من آياته من هو ألد اعدائه . ويجذب اعجازه الانس والجن وتسجد بلاغة البلغاء أمام نظمه ومعناه . وتطرب الدواب حينما تشاهد نزول الملائكة لسماع آياته ، وتغشى السكينة والطمأنينة محفل قراءته وتنزل الرحمة السماوية على متدارسيه .

ومع هذه الفضائل الشاملة العامة خصت العناية الالهية بعض السور والآيات بمزايا زائدة كسورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة يس وسورة الاخلاص وآية الكرسي والايات الاخيرة للزهراوين (١) والايات الثلاث الاخيرة من سورة الحشر . وسورة الكهف احدى هذه السور الخاصة وآياتها العشر الأولى والعشر الاخيرة حلقات من سلسلة هذه الآيات المختصة بمزيد الفضائل والخصائص .

ففي فضل السورة ما رواه البراء قال قرء رجل الكهف وفي الدار

---

(١) اى سورة البقرة وسورة آل عمران .

دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضبابة او سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ فلان فانها السكينة تنزلت عند القرآن او تنزلت للقرآن (١) .

وروى ابو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيامة (٢) .

وروى عنه قال من قرأ سورة الكهف كما نزلت ثم خرج الى الدجال لم يسلط عليه او لم يكن له عليه سبيل (٣) .

أما الروايات التى وردت فى فضيلة آياتها العشر الاولى او الأخيرة فما روى ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ

---

(١) رواه مسلم فى باب نزول السكينة لقراءة القرآن - شرح النووى ٢٤٧/٢ حديث رقم ٧٩٥ - وهذا الذى كان يقرأ هو اسيد بن حضير كما صرح به الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٩/ ٩٧ حديث رقم ٥٠١١ البراء هو البراء بن عازب بن الحارث الانصارى الاوسى له ولابيه صحبة استصغر يوم بدر نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى كتاب الجمعة ٣/ ٢٤٩ .
ابو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن شيبان او سنان الانصارى الخزرجى شهد بيعة الرضوان من كبار المحدثين والمكثرين مات ٥٤

(٣) المستدرك كتاب الفتن والملاحم ٤/ ٥١١ .

عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (١) .

وروى عنه هذا المتن وفيه من آخر سورة الكهف بدل من اول سورة الكهف (٢) .

وفي رواية النواس بن سمعان (٣) قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع (٤) حتى ظننـاه في

---

(١) رواه مسلم ١/ ٥٥٥ حديث رقم ٢٥٧ .

ابو الدرداء :- هو عويمر بن زيد او عويمر بن عبد الله او عويمر بن مالك أسلم يوم بدر وشهد أحدا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه يوم أحد " نعم الفارس عويمر " وهو يقول كنت تاجرا قبل البعث ثم حاولت التجارة بعد الاسلام فلم يجتمعا ، ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم توفي بدمشق ٣٢هـ .

(٢) قال شعبة من آخر الكهف وقال همام من أول الكهف .

(٣) نواس بن سمعان : بن خالد بن عمرو بن قرط العامري الكلابي شامي له ولابيه صحبة الاصابة ٣/ ٥٧٩ .

(٤) فخفض فيه ورفع . خفض كناية عن تحقير شان الدجال بانه أعور او يعجز عن قتل الرجل مرة ثانية الذي يخرج اليه من المدينة . ورفع كناية عن عظمة فتنة الدجال بسبب تلبيسه على عامة الناس . او أنه عليه السلام خفض صوته مرة لأجل التعب لطول الكلام ثم رفعه ليسمع كل واحد .

طائفة النخل (١) فقال غير الدجال اخوفنى (٢) عليكم ان يخـــرج وأنا فيكم فأنا حجيجه (٣) دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرء حجيـــج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط (٤) عينه طافئة (٥) كأنى أشبهه بعبد العـــزى بن قطن (٦) فمن ادركه منكم فليقرء عليـــه فواتح سورة الكهف انه خارج حلة (٧) بين الشام والعراق فعـــاث يمينا (٨) وعاث شمالا .

ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يارســول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم . قال لا أقدروا لـــه قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرتـــه

---

(١) طائفة النخل - اى قطعة النخل .

(٢) أخوفنى - اسم التفضيل ولحرف النون الوقاية لشبهه بفعل التعجب او هو فى الأصل اخوف لى فابدلت اللام بالنون كما فى لعـــل لعن - وعل فى عن .

(٣) فأنا حجيجه - اى معارضه اى انا اكفيكم لمعارضة .

(٤) قطط - اى شعره قصير جعد .

(٥) طافئة - اى خارجة .

(٦) عبد العزى بن قطن - ابن عمرو بن جيندب بن سعيد اسم رجل مـــن خزا فى الجاهلية .

(٧) حلة - بالحاء المهملة بمعنى الجهة والجانب - وبالخاء المعجمة بمعنى الفرجة ما بين البلدين اى الطريق بينهما او حله مـــن الحلول بمعنى النزول .

(٨) فعاث - صيغة ماض اواسم فاعل من العيث بمعنى الفساد .

الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيوٴمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم (١) أطول ما كانت ذرى (٢) وأسبغه (٣) ضروعا (٤) وأمده (٥) خوا . ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه (٦) قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين (٧) ليس بايديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة (٨) فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب (٩) النحل ثم يدعو رجلا ممتلء شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين (١٠) رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل

---

(١) سارحتهم - اى ماشيتهم التى تسرح صباحا الى المرعى .

(٢) ذرى - جمع ذروة بمعنى السنام - اى اسنمة الماشية طويلة .

(٣) وأسبغه - اى أتمه وأكمله .

(٤) ضروعا - جمع ضرع وهو مدر اللبن .

(٥) وأمده - اى خواصرها ممتدة طويلة لا متلائها من الشبع.

(٦) فيردون عليه قوله - اى ينكرون ما يدعى من الالوهية والنبوة.

(٧) ممحلين - اى مجدبين . المكان الماحل والممحل - الذى اصابه محل وجدب . وممحل اللبن الذى ذهبت عنه حلاوة الحلب وتغير طعمه قليلا .

(٨) الخربة - اى بالأرض الخراب بفتح الخاء وكسر الراء وسكونها .

(٩) يعاسيب - جمع يعسوب ذكر النحل .

(١٠) جزلتين - اى قطعتين او يجعل بين الجزلتين مقدار رمية . او فيه تقديم وتأخير اى يرميه رمية الغرض فيقطعه جزلتين .

وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينـــزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (١) واضعا كفيه علـى اجنحة ملكين اذا طأطأ راسه (٢) قطر (٣) واذا رفعه تحدر منـه جمان (٤) كاللؤلؤ فلا يحل (٥) لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسـه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد (٦) فيقتلـــه ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح (٧) عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان (٨) لأحد بقتالهم فحـــرز (٩)

---

(١) مهرودتين - بالدال المهملة والذال المعجمة اى ثوبيـــن مصبوغين بورس ثم بزعفران . او بمعنى شقتين .

(٢) طأطأ راسه - اى خفضه وحطه .

(٣) قطر - سال قطرة قطرة .

(٤) جمان - مفرده جمانة حبة مدورة من الفضة .

(٥) فلا يحل - اى فلا يمكن (٦) لد - بلدة معروفة في فلسطين

(٧) فيمسح - اى يمسح عيسى عن وجوهم رحمة عليهم او هو كناية عـن ازالة ماهم فيه من الحزن والخوف .

(٨) لا يدان - تثنية يد بمعنى القوة لان الدفاع انما يكون باليـــد فكأن يديه معدومتان لعجزه عن الدفع .

(٩) حرز - اى اجعلهم في حرز وأمان وفي رواية حزب اى اجمعهم وفي روايـة حوز بالواو نحيهم عن الطريق الى الطور .

عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب (١) ينسلون (٢) فيمر أوائلهم على بحيرة طبريه فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف (٣) فى رقابهم فيصبحون فرسى (٤) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم (٥) ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن (٦) منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (٧) ثم يقال للأرض

---

(١) حدب - المكان المرتفع .

(٢) ينسلون - اى يمشون سراعا .

(٣) النغف - جمع نغفة دودة فى أنوف الابل والغنم .

(٤) فرسى - جمع فريس بمعنى قتيل .

(٥) الزهم - اى الريح المنتنة .

(٦) لا يكن - اى لا يستر ولا يقى .

(٧) زلفة بالفاء والقاف وبفتح اللام واسكانها اى كالمرآة فى الصفاء وقيل معناه كالأجانة الخضراء وقيل كالصحفة وقيل كالروضة .

أنبتى ثمـــرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانـــة ويستظلون بقحفها (١) ويبارك فى الرسل (٢) حتى أن اللقحة (٣) من الأبل لتكفى الفئام (٤) من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ (٥) من الناس فبينما هـم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كـل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمـر (٦) فعليهم تقوم الساعة (٧) وفى فضل هذه السورة روايات كثيرة مرفوعـة وموقوفة صحيحة وضعيفة وفيما ذكرناه كفاية (٨) .

---

(١) القحف - قسر الرمانة - وعظم الجمجمة .

(٢) الرسل - بالكسر فالسكون بمعنى اللبن .

(٣) اللقحة - الماشية القريبة العهد بالولادة .

(٤) فئام - بالهمزة او الياء الجماعة الكثيرة .

(٥) الفخذ - الجماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة .

(٦) التهارج الجماع تهارج الحمر اى بحضرة الناس
شرح الكلمات ماخوذ من شرح الامام النووى لصحيح مسلم .

(٧) م كتـــاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه ١٨ / ٩٣ نقلت حديث الدجال بطوله اقتداء بالسلف الصالـــح لأنهم كانوا يهتمون بأمثال هذه الروايات الواردة فى شـــــان الدجال . ويقرءونها فى مواعظهم ليكون الناس على حذر منـــه .

كما قال الشيخ السفاريني " ينبغي لكل عالم ان يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال . ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع - انتهى لوامع الاسرار البهية ٢/١٠٩ وقال الامام ابن ماجة - سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي ان يدفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب سنن ابن ماجه كتاب الفتن والكتاب بمعنى المدرسة والمراد بالحديث المروي عن ابي امامة الباهلي القريب في بيان الدجال الى ذلك الحديث .

(٨) ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع الدر المنثور للسيوطي ٤/٢٠٩ وفضائل القرآن لابي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم م ٦١٩ .

فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

وقد ورد فى فضيلة قراءتها يوم الجمعة أحاديث مثل حديث "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له النور ما بينه وبين الجمعتين (١) وأمثاله وذلك ان يوم الجمعة أفضل الأيام وسيدها فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة والصعقة (٢) فقراءة سورة الكهف فى هذا اليوم العظيم تقوى اعتماد القارئ على الله وتقرر مشاعر التضحية فى سبيل الايمان فى قلبه وتحفظه من الفتن وخاصة فتنة الدجال .

وذلك أن هذه السورة مشتملة على عجائب قدرة الله تعالى والوقائع الخارقة للعادة - فمن واظب على قراءتها وداوم التدبر فيها كل يوم جمعة لم يفتتن بالفتن فكما أنجى الله أصحاب الكهف من مكائد الملك الجبار ودجله ووقاهم من الانخداع ببريق المصالح المادية فهكذا قارئها سيحفظ من دجل الفتانين وكما أن المؤمن الفقير لم يغتر بتزوير صاحبه الغنى وحواره المزيف فقارئها سيحفظ من سحر الدنيا وابنائها .

اذ أساس الفوز والفلاح هو اتباع الحق لا اتباع المزيف الباطل فمن يتبع الحق ويترك المزيف يصعد الى معارج السعادة فى الدنيا

---

(١) المستدرك وصححه الحاكم ٣/٣٦٨ .

(٢) كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح تحفة الأحوذى حديث رقم ٤٨٢/١/٦١٣ .

والآخـرة ومن يكب على المزيف المزور يهلك ويخسر .

وكما أن الوقائع الشلث فى سفر العبد الصالح تتكرر فى بـــادئ النظر وهى فى الحقيقة مطابقة لأمر الله فللقارئ أن يتمسك بالحـق وان كان مرا ويتجنب الباطل وان كان حلوا ، " وعسى أن تكرهـــوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (١) وكما أن ذا القرنين بلغ قمة الكمال ولم يغتر بالجـاه والملك بل نسب الفضل الى الله وحده وصرف حياته ومملكته العظمـــى فى صالح الانسانية .

فهكذا القارئ يسلك مسلكه فى رعاية رعيته (٢) والله اعلـــم بأسرار كلامه وهو خبير بمزايا سوره وآياتـه .

---

(١) سورة البقرة ٢١٦ .

(٢) وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الامـام راع ومسئول عن رعيتـه والرجـل راع فى أهلـه وهو مسئـول عن رعيتـــه والمرأة راعيـة فى بيـت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخـادم راع فى مـال سيـده ومسئول عن رعيتـه فتح البـــارى حديـــث ٨٩٣ - ٢ / ٣٨٠ .

الوقت المناسب لقراءتها : -

يوم الجمعة او ليلتها لورود الروايات فيها واذا كان يقرء يوم الجمعة فعلى القارئ ان يقرأها فى وقت مبكر بحيث يفرغ من قرءتها قبل شروع المؤذن فى الأذان الاول او يقرأها صباحا أو بعد صلوة الجمعة بحيث لا يشوش بقراءته اياها على المصلين .

ومن قرأها ليلة الجمعة فقد نال الأجر والبركة . والأولى ان يقرأها ليلة الجمعة ويومها فان الامام الجليل الشافعى يقول " يستحب ان يقرأها ايضا ليلة الجمعة " ودليل هذا ما رواه ابو محمد الدارمى باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له النور فيما بينه وبين البيت العتيق (١) .

---

(١) سنن الدرامى ٢/٤٥٤ باب فضل سورة الكهف .

البيان فى آداب حملة القرآن لابى زكريا بن شرف الدين النووى الباب الثانى ص ١٠٧ (فى الآيات والسور المستحبة فى اوقات مخصوصة) .

اضاء له النور - كناية عن الأجر العظيم .

واما سبب نزولها

فقد ذهب المفسرون الى أنها نزلت جوابا عن سؤال المشركين بتلقين اليهود - عن الأمور الثلاثة كما نقل الطبرى برواية ابن عباس رضى الله عنهما (١) أنه لما شاعت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة اضطربت قريش فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة ابن ابى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة ليسألاهم عن محمد فانهم أهل كتاب وعندهم من العلم فأتيا المدينة وسألاهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل والا فهو كاذب فى دعواه - سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول وما كان من أمرهم فانه كان لهم أمر عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما ذا كان نبأؤه - وسلوه عن الروح - فرجع النضر وعقبة الى مكة وبينا لقريش ما تعلماه من اليهود طريقة لاختباره عليه السلام ففرحوا وذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم وسألوه عن هذه الأمور الثلاثة فقال النبى صلى الله عليه وسلم غدا أخبركم ونسى كلمة " ان شاء الله " فاستمسك الوحى عنه خمسة عشر يوما فأرجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا تركه

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم علمه الحكمة - وفى رواية اللهم فقه فى الدين ، وعلمه التأويل توفى بالطائف ثمان وستين ٦٨هـ تذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ .

رفيقه الذى كان يأتيه من الجن .

وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه فشق ذلك عليه فلما أنقضى ذلك جاءه الوحى بجواب الاسئلة مع بيان وجه تاخير الوحى " ولا تقولن شيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله " وما يتعلق بهما (١) .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٥/ ١٢٧ والقرطبى ١٠/ ٣٤٧ ولباب النقول فى اسباب النزول ١/ ١٤٤ - تفسير ابن كثير ٣/ ٧١ .
فأرجف به كفار قريش اى خاضوا فى الاخبار السيئة بأنه ليس نبى (العياذ بالله) .

" العرض الاجمالى لمحتويات السورة "

كما اتضح من بيان سبب نزول السورة أن معظم الآيات فى جواب أسئلة طرحتها قريش باقتراح اليهود اختبارا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاستهل مطلع السورة أروع استهلال ، اذ أوحى من أول الامر فى آية (١) - أن الله هو المستحق لجميع انواع الحمد بدليل أنه أنزل على عبده الكتاب القيم للانذار والتبشير ليقرع هذا الافتتاح السماوى آذان السائلين من أول وهلة بأن الجواب قطعى الصدق يشهد بصدق النبى الأمى أولا ويرشدكم الى العقيدة الصحيحة ثانيا وينذركم ويحذركم عواقب الشرك فى الدنيا وفى الآخرة ثالثا أما فى الدنيا فبيوم بدر وفتح مكة وأما فى الآخرة فمصيركم الى النار .

ويبشر المؤمنين المضطهدين بالفوز فى الدارين ثم بين القرآن فى نفس الآية مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بانه عبد الله ورسوله ومكانة الكتاب المنزل عليه بانه قيم لا عوج فيه ثم بين وظيفة الرسول والغرض من تنزيله الكتاب الانذار والتبشير فى آية (٢) .

وكرر الانذار للمشركين واليهود والنصارى فى آية (٤) القائلين " اتخذ الله ولدا " وقبل ان يسجل القرآن جوابهم سلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى آية (٥) بان لا يحزن شفقة عليهم ان لم يؤمنوا بعد سماع الجواب الربانى .

وبين سبب عدم ايمانهم في آية (٦) وهو ابتلاؤهم بزخارف الدنيا التي أعمت أبصارهم اذ لا اعوجاج في الدعوة ولا قصور في اداء وظيفة الرسالة . وفي نفس الآية بشر المؤمنين الفقراء بخلود أعمالهم الصالحة وفناء أعمال الكفار بفناء الدنيا .

ثم أوضح القرآن الجواب من السؤال الأول مجملا ومفصلا وذلك أنه أوجز الجواب في أربع آيات من التاسعة الى الثانية عشر ٩ - ١٢ غاية الايجاز بأسلوب رائع مشوق للتفصيل بأنهم فتية ايمان آووا الى الكهف احتفاظا بعقيدتهم الغالية فأنمناهم مدة مديدة ثم بعثناهم اختبارا للحزبين في احصاء مدة اللبث .

ثم فصلته في أربع عشر آية ١٣ - ٢٦ تفصيلا دقيقا ليتمكن في نفوسهم أفضل تمكن ويحل في المشاعر حلولا تاما . ورصع التفصيل بتمهيد جليل ١٣ وهو قوله تعالى " نحن نقص عليك نبأهم بالحق " ليتوجه السائلون الى الجواب التفصيلي بأذن واعية ويصغوا الى ما أرادوا به اختبار هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم اصغاء اعتبار وبين ايمانهم الراسخ في غرة القصة " انهم فتية آمنوا بربهم اظهارا لموقفهم الحاسم أمام الملك الطاغي . واعتزازهم بتوحيد الربوبية والألوهية ردا على السائلين " مشركي مكة " المنكرين لتوحيد الألوهية وتشجيعا للمؤمنين على صمودهم أمام اعتداءات المشركين وصبرهم كما صبر هؤلاء الفتية حيث صدعوا بالحق واعتزلوا كل غال ونفيس في سبيله حتى أهلهم

وديارهم وآثروا الآخرة على الدنيا فآواهم ربهم الى كهف محفـــوف بالطمأنية - وحفظهم من الآفات والعاهات ومن عليهم بالرقود التـــام لينسوا ما عانوه من استبداد الملك الجبار ويغفلوا عن وساوس هجومهم عليهم . ورباهم نائمين بالتقليب يمينا وشمالا كى لا تأكل الأرض أجسادهم . وليجسبهم الرائى أيقاظا وغشاهم بالقاء الرعب علـــى مـــن اطلع عليهم كى لا تعبث بهم أيدى العابثين فان المنظـــر الرهيب المخيف يدفع كل عابث من الدواب والانسان . ثم بعثهـــم لتقوم الحجة على منكرى البعث وركز القرآن على اصلاح السائليـــن بغرس العقيدة الصحيحة أثناء الجواب عن سؤالهم ووضع يـــده الشفيقة على موضع النبض حرصا على هدايتهم وارشادهم .

وهذه هى الميزة القرآنية حيث يصرح بالأهداف الجوهريـــة والمبادئ الأساسية فى جميع قصصه . ففى قوله تعالى فتية آمنـــوا بربهم (١٣) وقوله تعالى " فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها " (١٤) وقوله تعالى " واذ اعتزلتموهم وما يعبـــدون الا الله "(١٦) تنبيهات صارخة تقرع آذان المشركين السائلين عـــن قصة أصحاب الكهف . وتوصيات ربانية تدعوهم الى الايمان بتوحيـــد الألوهيـــة وكذلك فى قوله تعالى " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلمـــوا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها (٢١) ضرب حاسم علـــى على موقف المشركين حول مسئلة البعث بعد الموت .

وتجنب القرآن الكريم مناقشة مبعوث أهل الكهف وأهل القرية ومنع النقاش في مدة لبثهم وعددهم لعدم علاقة التذكير والاعتبار بهذه البحوث وأشار القرآن الكريم اشارة لطيفة في أطواء قوله تعالى " وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا "(٢٤) الى ايواء النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الى غار ثور ومنه الى المدينة المنورة وفتح مكة .

ثم أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم (٢٧) بمواظبة تلاوة القرآن - تاكيدا للآية الاولى من السورة لأن الفوز في الدارين والسرور الدائم لا يحصل الا بالاعتصام به . ثم أمره في آية (٢٨) بملازمة أصحابه الأولياء الذين يعبدون الله ليلا ونهارا فانهم نخبة الأمة المحمدية ودعاة الحق وهداة الاسلام . وبشره بأن الحق قد انبلج مثل فلق الفجر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " وشجع المؤمنين بالثبات على جادة التضحيات والصبر على الفقر وعدم الاهتمام بحالة الكافرين وعدم الالتفات الى زخارف الدنيا فان حبها يورث التفرق بين أفراد الأسرة المسلمة ويمزق صفوفهم ويجعل بأسهم بينهم يتزاحمون على البلاد والأموال .

وضرب لذلك مثل الرجلين المؤمن الفقير ، والغني المشرك في آيات (٣١ - ٤٤) ثم أكد المثل الشخصي بمثل كلي آخر بلغ في دقة التعبير الى أقصاه (٤٥) ورغب الناس في الباقيات الصالحات

التى ترجى مرافقتها (٤٩) يوم القيامة . ثم بين هول الساعة وعرض الناس على الله تعالى ووضع الكتاب وحيرة الكافرين بتسجيله جميع مخازيهم .

ثم حذرهم من ابليس وذريته (٥٠) فى ضمن قصة آدم بالايجاز كى يتجنبوا دسائس عدوهم القديم . وذكر عجز الآلهة الباطلة وفجيعة المجرمين يوم لم يجدوا مصرفا عن الوقوع فى النار (٥٣) .

وأفصح القرآن عن الغرض من التكرار وتصريف الأمثال بأنه التذكير وهو يتطلب الأسلوب الخاص أسلوب الواعظ المرشد لا أسلوب الفلسفى فى درسه (٥٤) .

وبين أن شقاء المنكرين لآيات الله قد بلغ أقصاه حيث آثروا الجدال على قبول الحق وما انتفعوا بتصريف الآيات بل استمسكوا الاستهزاء بالأيات بدل الاعتبار بها (٥٦) .

وهذا الاستخفاف بالآيات أفسد عقولهم (٥٧) - فلا يميزون بين النفع والضر وبين الخير والشر . ثم بين سبب تاخير العذاب مع عصيانهم المتتابع " وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب " (٥٨) بأنه تعالى يمهل المجرمين ويرخى لهم العنان ولكن أخذه أليم فالقرى المدمرة تأخذ بالألباب وترهب نفوس أهل الاعتبار وتشرح عواقب المجرمين وبطش القوى العزيز (٥٩) .

ثم أوضحت الآيات (٨٢ ـ ٦٥) فى ضمن الوقائع الثلاث التى حدثت فى رحلة موسى مع العبد الصالح أن العقول البشرية لا تدرك الحقائق المكنونة فى بواطن الظواهر المكشوفة . فكثير من المحاسن فى بادى النظر مخاطر فى الواقع وكم من المكاره فى الظاهر تختبئ فيها المحاسن لا تظهر الا بعد حين .

فابتلاء المؤمنين بأنواع المتاعب والمنغصات وتمتع الكافرين بشتى حظوظ الدنيا أمور لا يعلم أسرارها الا العليم الخبير " وعسى أن تكرهوا سيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (١) .

وهذه السنة الكونية مكنونة فى الحوادث والوقائع حفظا لهذا النظام الجارى واحتسابا للايمان بالغيب . اذ لو كشفت الأستار عن خبايا هذه الحقائق التى تقع فى الكون كل حين وآن لتغيرت حال الدنيا ولصار الايمان بقدرة الله تعالى ايمان مشاهدة .

وقوض الحديث عن هذه الرحلات الثلاث فى قصة موسى والخضر عليهما السلام دعاوى اليهود بأنهم أتوا علما كثيرا بسبب التوراة ومن اوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا . وزعموا أن هذه الاسئلة الثلاثة لا يجيب عنها أحد فنبهت هذه الآيات أن موسى عليه السلام مع نبوته ومكانته العظيمة لم يحط علما بالوقائع المشاهدة البسيطة فما وزن علمكم أنتم .

وصرح العبد الصالح حينن أخذ الطائر قطرة من البحر فقال " والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر " (١) .

ثم بين القرآن في (٨٣-١٠١) قصة ذى القرنين جوابا عن سؤالهم الثاني في السؤال مبينا ايمانه بالله وابتهاله اليه عز وجل وعدله التام وسلوكه اللين مع الرعية وأداءه هذين الحقين حق الخالق جل جلاله وحق المخلوق جملا شخصيته محبوبة الى الأداني والأقاصي وكان متواضعا لله جل شانه شاكرا لأنعمه غير جاحد له مثل المتمردين من قريش الذين يستهزؤن بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعتقدون جاههم أبديا ويكفرون بآلاء الله تعالى وآياته .

ثم ذكر القرآن أمارة من أمارات الساعة من خروج يأجوج ومأجوج ووقوع الساعة بنفخ الصور ومنظرها الهائل . وعرض جهنم على الكافرين وخسرانهم لأعمالهم الفاسدة . وصور لخسرانهم تصويرا دقيقا بأنهم يعملون ليحسنوا مستقبلهم ويزعمون أنهم يدخرون لأنفسهم أطواد الخير وقناطير الأعمال ولكنهم لا يعلمون أن جهودهم لا تساوى حبة

---

(١) فتح الباري ٨/٤٠٩ حديث رقم ٤٧٢٥ .

من خردل اذ هـي محرقة بنار الكفـر والشرك والرماد لا يوزن .

ثم ذكر نعيم الجنة وأهله وخلودهم فيها وعقبت آية (١٠٩) سائر القصص المذكورة في السورة بأنها براهين دالة على أن علم الله لا نهاية لـه .

واما الأنبياء والأولياء والملائكة والجـن فعلومهم متناهية ونسبتهـا الى علمه تعالى كقطرة من البحار .

ثم ختمت السورة بآية جامعة لسائر محتويات السورة تبين بشريـة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنصبه العالى وتبين هدف الوحـي - الدعوة الى توحيد الألوهية وترغب المشتاقين الى لقائه تعالى بارتكـاب الاعمال الصالحة والاجتناب من جميع انواع الشـرك .

التفسيـــــــــــر

بعد أن عرضت السورة اجمالا مع ربطها بالسورتين (الاســـــراء ومريم) وبيان فضلها وسبب نزولها بحول الله وقوته . أبدأ فى تفسير آياتها على ضوء التفاسير القديمة والحديثة مستعيذا بالله السميـــــع العليم من الشيطان الرجيم ومستعينا بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (١) قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملـــــون الصالحات أن لهم أجرا حسنا (٢) ماكثين فيه أبدا (٣) وينـــــذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (٤) مالهم به من علم ولا لآبائهم كبـــرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا (٥) .

تبدأ سورة الكهف بالمبدء السامى الذى يوجه المشاعر ويهـــــز العواطف فى مستهل القراءة الى التدبر فيما تشتمل عليه السورة .

وهذا النموذج الفذ نشاهده فى مطالع السور الخمس حيث بدأت بالحمد هكذا .

١- الحمد لله رب العالميـــــن (سورة الفاتحة) .

٢- الحمد لله خلق السموات والأرض الاية (الأنعام) .

٣- الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب الاية (الكهف) .

٤- الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الاية (سبأ) .

٥- الحمد لله فاطر السموات والارض الاية (فاطر) .

وهذا التشابه بين أوائل هذه السور الخمس يتطلب منا أن نفكر في هذه المفتتحات وموضوعات هذه السور كي ندرك بها القدر المشترك وسر الافتتاح بالتحميد .

فان ايراد جملة الحمد لله في غرر السور الخمس لأسرار عظيمة يعلمها الله تعالى . ولعل بعضا منها والله اعلم أن هذه السور الخمس تبين أمهات النعم الالهية وأصولها من نعمة الايجاد والابقاء في الدنيا ونعمة الايجاد والابقاء في الآخرة ففي كلمة رب العالمين بعد التحميد في سورة الفاتحة وجملة خلق السموات والأرض في سورة الأنعام وجملة الذي أنزل على عبده الكتاب في الكهف وهكذا في سبأ وفاطر اشارات الى هذه النعم الأربع وذلك أن الله تعالى من على عباده بخلقهم ثم من عليهم بالبقاء في الدنيا يتمتعون بما في الارض والسماء من النعم .

ثم يمن عليهم بالبعث يوم القيامة ويد خلهم بمحض لطفه وعميم فضله جنات النعيم يتمتعون فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولما كانت سورة الفاتحة أم الكتاب والوافية والكافية وسورة الكنز اشتملت على هذه النعم الأربع ونصت سورة الأنعام على النعمة الأولى (١) وسورة الكهف على الثانية (٢) وسورة سبأ على

---

(١) نعمة الايجاد في الدنيا (٢) نعمة الابقاء في الدنيا .

الثالثة (١) وسورة فاصر على النعمة الرابعة الأخيرة (٢) .

وتفصيل ذلك أن قوله تعالى الحمد لله رب العالمين تذكير العباد بنعمة الايجاد الأول والابقاء الأول . وقوله تعالى مالك يوم الدين تذكرهم بنعمة الايجاد الثانى والابقاء الثانى . وأما سورة الانعام فتبين نعمة الايجاد الأول كما هو ظاهر من قوله تعالى " الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمت والنور " الاية و تدل عليه محتويات السورة . وأما سورة الكهف فتبين نعمة الابقاء الاول وذلك أن التمتع به لا يمكن ولا يتحقق الا بالكتاب السماوى والرسول . لأنه يدعو الخلق الى الخالق العظيم بواسطة الكتاب المنزل عليه ويمنعهم من التنازع والتفكك ليتمتعوا بنعمة الابقاء الأول .

اذ فى ظلمات الجاهلية الجهلاء يتبع كل هواه ويتزاحم أفراد الأسرة البشرية على المنافع والمناصب يبتغى كل فريق منها ما يستطيع أن يناله من حقوق الأخرين .

وذكرت هذه السورة قصة أصحاب الكهف لتدل على نعمة الابقاء الأول فان حفظهم فى الكهف ثلثمائة سنين وصونهم من أيدى العابثين

---

(١) نعمة الايجاد فى الآخرة .

(٢) نعمة الايجاد فى الآخرة .

ظاهرة من ظواهر نعمة الابقاء الأول .

وكذا قصة الخضر عليه السلام المشتملة على خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار ظاهرة اخرى من ظواهر نعمة الابقاء كما هو الظاهر .

وكذا قصة ذى القرنين تتعلق بهذه النعمة لانه استعمل الأسباب فى بسط الأمن والسلام شرقا وغربا وبنى السد ليصفو العيش للمظلومين ويتمتعوا الى اندكاك السد بهذه النعمة. وأما سورة سبأ فتشير بقوله " وله الحمد فى الآخرة " الى النعمة الثالثة نعمة الايجاد فى الآخرة وتشهد على ذلك الآية الثالثة " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم " الاية وكذا الآية الرابعة (١) والسابعة (٢) والسادسة والعشرون (٣) والتاسعة والعشرون (٤) والآية الثلثون (٥) وكذا الآية الاربعون (٦) والثانية

---

(١) "ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم"

(٢) " وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذ مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد .

(٣) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم

(٤) " وقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين " .

(٥) " قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون " .

(٦) " ويم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهولاء اياكم كانوا يعبدون " .

والأربعون (١).

وأما سورة فاطر فتبين النعمة الرابعة نعمة الابقاء فى الآخرة بدليل قوله تعالى " ليوفيهم أجورهم ويزيد هو من فضله انه غفور شكور (٢) وقوله تعالى " جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٣) وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور (٤) الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب" (٥).

وبالحسن ترتيب القرآن حيث ذكر النعمتين الاوليين فى النصف الأول والآخريين فى النصف الأخير ليجعل كل ربع من أرباعه محلى بالتحميد شكرا على كل نعمة من هذه النعم الكبرى (٥) .

---

(١) " فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ".

(٢) فاطر : ٣٠

(٣) فاطر : ٣٣

(٤) فاطر : ٣٤

(٥) فاطر : ٣٥

(٦) راجع تفسير " السراج المنير " للخطيب الشربينى فانه أجاد البحث فى هذا وأفاد (فى تفسير سورة سبأ) ٣/٢٧٧.

وقال الفخر الرازى ما ملخصه ان فى الفاتحة ذكر ربوبيته العامة فان العالم يشمل جميع ما سوى الله وفى الانعام ذكر نوع منه فـــان خلق السموات والأرض قسم منه وكذا فى الكهف ذكر الكتاب وهـــو سبب للتربية الروحانية وهو نوع من التربية العامة وكذا ما ذكر فى سبأ وفاطر داخل فى الربوبية العامة (١) .

فبنـاء على هذا أن القدر المشترك فى هذه السور الخمس بيـان النعم الأربـع .

ويمكن أيضا أن الصفات الالهيـة كصفة الربوبية وصفة الخلـق وانزال الكتاب وارسال الملائكة والبعث بعد الموت واهلاك المجرميـن وانجاء المؤمنين والنفع والضر واجابة الدعوات وغيرها من الصفـات المختصة بالله تعالى تستوجب الحمد أولا اوآخرا تصريحا بأنـه تعالى متصرف فيهـا وحده ففى فواتح هذه السور الخمس وكذا فـى غيرهـا من الآيـات بذكر الحمد أولا اوآخرا اشعارا بأنه تعالـى مستحق للمحامد كلهـا لأجل اختصاص جميع الصفات الكماليـة به تبارك وتعالى ففى سورة الجاثية من قوله تعالى " ولله ملـك

---

(١) تفسير كبيـر ١٨١ - ١٨٠ .

السموات والأرض " الى آخر السورة (١) بيان حصر التصرف في الله تعالى ونفيه عن جميع ما سوى الله تعالى من الانبياء والأولياء والملائكة والجن ثم بعد الانذار بعذاب النار عقب بالتحميد بقوله " فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم " اى اذا كان المالك والمتصرف هو الله تعالى وحده فالمحامد كلها له فقط .

---

(١) ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩) فاما الذين آمنو وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠) وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين (٣١) واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سيأت ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٣) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤) ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين (٣٦) سورة الجاثية .

وكذلك فى سورة الأنعام ذكر ما يختص بالله تعالى من صفاته العظيمة كالخلق (١) وعلم الغيب (٢) واهلاك الظالمين من الأمم السابقة وانجاء المؤمنين (٣) والتصرف فيما سكن فى الليل والنهار (٤) والرزق (٥) والضر والنفع (٦) والقهر (٧) والهداية والاضلال (٨) وما الى ذلك من شئونه تعالى ففرع عليه القرآن قوله تعالى "فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٩) . تعريضا للمشركين بأن جميع هذه التصرفات لله وحده لا يوجد فيمن سواه شروى نقير من صفة واحدة من هذه الصفات فكيف تدعونهم لحوائجكم .

---

(١) كقوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض الاية (١) وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين الاية (٢) .

(٢) كقوله تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون - الاية الثالثة من سورة الانعام .

(٣) كقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض اية (٦) .

(٤) كقوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار آية (١٣) .

(٥) كقوله تعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم آية (١٤) .

(٦) كقوله تعالى وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو .

(٧) وان يمسك بخير فهو على كل شئ قدير آية (١٧) .

(٧) وهو القاهر فوق عباده آية (١٨) .

(٨) ولوشاء الله لجمعهم على الهدى ٣٥ .

(٩) آية (٤٥) .

وهكذا فى سورة النمل بين القرآن قصة موسى عليه السلام (١) وفرعون (٢) وسليمن وداؤد عليهما السلام وعبادة بلقيس وقومها للشمس واتيانها الى سليمان (٣) وقصة صالح عليه السلام وقومه (٤) وقصة لوط عليه السلام وقومه (٥) ثم أمر الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم " قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون " (٦) للاشعار بأن انجاء الأنبياء وأتباعهم واهلاك الكافرين من تصرفه تعالى لايقدر عليه أحد من الانبياء والأولياء فهو المحمود بجميع المحامد لأنه يتصف بجميع صفات الكمال .

وكذا ذكر القرآن فى سورة الصافات قصص الأنبياء (٧) ثم عقبها فى آخر السورة قوله تعالى " وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين تصريحا بأن صون الأنبياء من الهلاك واهلاك الكافرين

---

(١) من الآية السابعة الى الثانية عشر .
(٢) من نصف الثانية عشر الى الرابعة عشر .
(٣) من الخامسة عشر الى الرابعة والأربعين .
(٤) من الخامسة والأربعين الى الثالثة والخمسين .
(٥) من الرابعة والخمسين الى الثامنة والخمسين .
(٦) التاسعة والخمسون .
(٧) كقصة نوح عليه السلام ولقد نادنا نوح فلنعم المجيبون ٧٥ ونجيناه واهله من الكرب العظيم ٧٦ وقصة خليل الله ابراهيم عليه السلام وانكاره عبادة قومه الأصنام وانجاءه من النار وواقعة الذبح من الآية الثانية والثمانين الى اثنتى عشر ومائة ثم قصة موسى وهارون والياس ولوط ويونس عليهم السلام .

من تصرفه تبارك وتعالى لا من تصرفات الأنبياء عليهم السلام وكذا حمد الكافرين يوم يدعوهم الله لمشاهدتهم باعينهم انه تعالى هو المتصرف وحده فيعترفون به . " يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا " وما الى ذلك من الايات الكثيرة فالحاصل أن جملة الحمد لله تصرح بأن جميع التصرفات في الدنيا والآخرة تختص بالخلاق العليم ردا على ما زعمه المشركون (١) ولقد اتضح بهذا البيان " والله أعلم " سر افتتاح الخلق "بالحمد لله " الحمد لله الذى خلق السموات والارض (٢) وكذا اختتامه بالحمد " وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (٣) فان خلق السموات والأرض من صفاته تعالى وتصرفاته جل وعلا ، والقضاء بينهم حكاما ومحكومين ايضا من تصرفاته فله الحمد أولا وله الحمد آخرا قال الفخر الرازى قال أهل التحقيق - لما كانت هذه الكلمة فاتحة الشكر جعلها الله فاتحة كلامه ولما كانت خاتمته جعلها خاتم كلام أهل الجنة فقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين (٤) وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبدا المعبود على طول المدى.

---

(١) من اثبات بعض التصرفات الى آلهتم الباطلة .

(٢) سورة الأنعام ١ .

(٣) سورة الزمر ٧٥ .

(٤) تفسير كبير ١ / ٢٨٤ .

ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله حيث يقول تعالى " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " " الحمد لله الذى خلق السموات والارض " الى غير ذلك من الأحوال التى يطول بسطها وأنه المحمود فى الأولى والآخرة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فى جميع الأحوال .

ولهذا جاء فى الحديث "ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس (١) وانما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزداد فليس لها انقضاء ولا أمد فلا اله الا هو ولا رب سواه (٢) .

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة ١٤٧/٨ .

(٢) تفسير ابن كثير تفسير اية ١٠ من سورة يونس ٤٠٨/٢ .

الحمد لله

آل للاستغراق اوالجنس او العهد .

فالمعنى على الأول أن جميع أفراد الحمد وألفاظه ثابتة لله تعالى . وعلى الثانى أن حقيقة الثناء وماهيته مختصة بالله عز وجل . وعلى الثالث أن حمدا لله لنفسه يليق بجلاله او حمد المرسلين والملائكة ثابت لله تعالى .

واختار جمهور المفسرين الأول والزمخشرى الثانى وابن النحاس النحوى الثالث . ولكل وجه الترجيح فمن راعى النعم الالهية التى يحمد بها المحمود الأزلى الأبدى وشاهدها بجميع أنواعها من فيوض المنعم الحقيقى (١) رجح أن اللام للاستغراق .

---

(١) فان النعم على نوعين ، دنيوية واخروية .
فالاولى وهبية وكسبية ثم الوهبية جسمانية وروحية .
فالجسمانية كبدن الانسان المتناسب مع هواسه الخمسة وتتميته بالأغذية المتنوعة وصونه بالملابس والمساكن وانبساطه بالازواج والأولاد . وتلذذه بالصحة والقوة حتى سواد الشعر وتماسك الجسم وصلابة العظام . والروحية كنعمة الروح ووظيفته فى البدن وتنويره بالعقل وقوى الادراك . والكسبية كاكتساب العلوم والفنون والتخلق بالأخلاق الفاضلة والتزين بالمحاسن الجسميه والمعنوية والاخروية فكالمغفرة والعفو والفوز بالجنة والنجاة من النار والاعتزاز بشفاعة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم والتشرف برؤية الله جل وعلا فكل هذه النعم من هباته تعالى " وما بكم من نعمة فمن الله " - نحل ٥٣
راجع تفسير البيضاوى فى تفسير قوله تعالى "انعمت عليهم" ١/٥

اذ كل من يحمد الذكي بذكائه او الجميل بجماله او الخطيب ببلاغته او يمدح الثمرة بحلاوتها والزهرة برائحتها فهو في الحقيقة يحمد الله المنعم بهذه النعم فالمستدفئ بحرارة الشمس او المستنير بنورها مستدفئ في الحقيقة بقرص الشمس لأنها مبدؤ الحرارة ومنطلق النور .

فالله هو المحمود بجميع المحامد من الملائكة والرسل والانس والجن فالحمد له حقيقة ولغيره مجاز " وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون "(١) ومن راعى أن لام الجنس أدل على قصر المحامد وانحصارها في الله تعالى من لام الاستغراق رجح لام الجنس .

ومن لاحظ أن حمد العباد جنسا واستغراقا لا يفي بحق الحمد المناسب لمقام جلاله اختار اللام للعهد . وأراد بالحمد الحمد المعهود الذي حمد الله به نفسه لأنه هو الحمد الكامل . والراجح عندي والله أعلم أن الحمد المذكور في القرآن يطلق على حمد الله لنفسه وأما قول العبد بعد فراغه من الأكل او الشرب "الحمد لله الذي اطعمني وسقاني" أو قوله

---

(١) سورة الروم ١٨ .

بعد المطاس الحمد لله وما الى ذلك فيراد به حمدهم لله تعالى حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده وهذا الحمد المستطاع مطلوب من العباد اذ العبد مكلف بما فى وسعه .

ولنعم ما قيل - أتت سليمان يوم العرض قنبرة (١) تهدى اليه جرادا كان فى فيها. وأنشدت بلسان الحال قائلتان الهدايا على مقدار مهديها. لو كان يهدى الى الانسان قيمته لكان قيمتك الدنيا وما فيها .

الحمد مبتدأ .

لله خبره .

اى الحمد واجب او ثابت لله تعالى .

والأصل فى أمثال هذه المصادر النصب والعدول منه الى الرفع لافادة الدوام (٢) .

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى بقصد التعظيم فالثناء القلبى او الثناء على غير الجميل او على الجميل الغير الاختيارى او الثناء بقصد الاستخفاف ليس بحمد .

---

(١) قنبره وقبرة بالنون وبدونها - طائر معروف مختار الصحاح صـ ٥١٨ .

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين ٢/٣ تفسير كشاف ٤٨/١ .

وحمد الله عبارة عن الثنـاء عليه تعالى بالفضيلة (١) والشكـــر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما . والنسبة بينهما مساواة (٢) او نسبة الأعم والأخص من وجه فكل منهما أعم من الآخر بوجه وأخص مـن الآخر بوجـه (٣) .

فالحمد أعم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بعكـس ذلك وتفصيله أن الحمد لا يتوقف على وجود النعمة والشكر يتوقف عليها ، والحمد يؤدى باللسان فقط (٤) والشكر يؤدى باحدى الآلات الثلث (٥) واليه أشار الشاعـر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثـة

يدى ولسانى والضمير المحجبا

للـه : اللام للاستحقاق (٦) او للاختصاص (٧) اى الحمد مستحق

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى صـ ١٣ .

(٢) كما ذهب اليه الامام الطبرى قائلا " ان الحمد لله قد ينطق بـه فى موضع الشكر وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد لان ذلك لو لـم يكن كذلك لما جاز ان يقال " الحمد لله شكر " تفسير الطبرى ١ / ٣٣٨

(٣) كما ذهب اليه الحافظ ابن كثير قائلا " والتحقيق ان بينهمـــا عموما وخصوصا " تفسير ابن كثير ١ / ٢٢ .

(٤) فهو أخص باعتبار الألـة والمورد .

(٥) اللسان والقلب والجوارح .

(٦) روح البيان ١٥ / ٢١٤ - بحر المحيط ١ / ١٨ .

(٧) فتح القديـر ١ / ١٩ .

لجلاله او الحمد حق له وملكه (١) لانه هو المنعم الحقيقي وجميع النعم منه بالذات او بالواسطة (٢) .

اذ وجود كل شيء نعمة من نعمه حتى التوفيق للحمد منة من منه لولاه لما حمده حامد .

ولله در القائل :

لك الحمد يارب على كل نعمة

ومن أعظم النعماء قولي لك الحمد

وقال آخر :

اذا كان شكري نعمة الله نعمة

على له في مثلها يجب الشكر

فلست اوفي نعمة الله حقها

ولو طالت الأنفاس وانقطع العمر

"له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (٣) .

الله : اسم الجلالة علم للواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي اختيار اسم الجلالة من بين

---

(١) تفسير كبير ١/٢٦٨ .

(٢) وما بكم من نعمة فمن الله نحل ٥٣ .

(٣) سورة تغابن ١

الاسماء الحسنى اشعار بأنه مستحق للحمد من حيث ذاته ولا يقتصر حمده على صفة من صفاته وان كان هو محمود بصفاته ايضا كما هو ظاهر من قوله تعالى " الذى أنزل على عبده الكتاب " بأن الحمد لله لأجل انزاله الكتاب على عبده .

وايضا فى اختيار اسم الجلالة اشارة الى الدليل على أن جميع المحامد له تعالى لأن اسم الجلالة علم للأحد الصمد الموصوف بجميع الصفات التى بينها القرآن والسنة فهو يستحق جميع المحامد (١) .

الحمد لله : جملة خبرية لفظا وانشائية معنى (٢)

قال الشوكانى علم عباده كيف يحمدونه على افاضة نعمه عليهم (٣) اى احمدوا الله او قولوا الحمدلله .

والاخبار بالحمد لله تعالى عين الحمد لله تعالى كما أن الاخبار بأن الله واحد عين التوحيد . بل كل منهما أبلغ فى مقام

---

(١) اذ لوقيل الحمد للرحيم او الغفور لم يصلح دليلا .

(٢) قال السيوطى " هل المراد الاعلام بذلك للايمان به او انشاء به او هما احتمالات افيد ها الثالث - اى خبرية قصد بها الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع المحامد جلالين ٢/٢ .

(٣) فتح القدير ٣/٢٦٩ تفسير كبير ١/١٨٤ .

الحمد والتوحيد فان الادعان للمعنى متحقق في صورة الاخبار دون الانشـــاء .

ولعل القارئ لهذه الجملة القرآنية " الحمد لله " حامد للـــه تعالى بتلاوته والقائل لها في شئون حياته حامد له تعالى انشـــاء والله اعلم وعلمه أتم وأحكم .

" المطالب العالية فى التحميد "

جملة الحمد لله بأيجازها المعجز (١) تفيد اثبات جميع المحامد لله تعالى . وأنه خالق كل نعمة فى الداريين وأنه واحد فى ألوهيته وأنه المستحق للحمد لذاته وأنه محمود أزلا وأبدا .

وذلك أن ملاحظة أل الجنسية او الاستغراقية ولام الاستحقاق وكذا مراعاة اسم الجلالة من بين اسمائه الحسنى واسمية الجملة ومفهوم الحمد تؤدى هذه المبادى السامية (٢) .

كما أن المواظبة على ذكرها عند كل نعمة تملأ النفس ثقة بالمنعم جل وعلا وتتطلب المزيد من نعمه . وتحفظ قارئها من جميع الأمراض القلبية وخاصة داء الحسد والتكبر . فان العبد اذ اعتقد أن الله وحده مفيض النعم وموزع المحاسن قنع بما ينال من خير ولا يتصدى للمقارنة بين حظه وحظ من هو أسعد منه حالا ولا يحسد أحدا (قريبه كان او قرينه) اذا رأه منعما عليه بل يزيد ذلك حبه له لما يرى فيه من النعمة الالهية .

وايضا أنه اذ أحس بمنقبة فى نفسه (٣) وقال " الحمد لله

---

(١) المؤلفة من الاسمين والحرفين .

(٢) ويتضح بذلك ما ذهب اليه المحققون من فضيلة كلمة التحميد على كلمة التوحيد .

(٣) من فضيلة العلم والمجد او الحسن والغنى وماشابه ذلك .

اعتقد أن سائر هذه الفضائل منح الهيـة لا دخل له فيها فحفظـه الله من داء التكبر .

فاذا زالت أمهات الأمراض زالت فروعها لا محالة فانها تتولـد من الحسد والتكبـر .

فالحسد داء الجسد يذيبه وهو لايشعر ويرى الحاسد راحـة قلبـه في تشويه سمعـة المحسود وتنقيصـه أمام الناس وهو لا يـدرى أنه يطعن في الحقيقة قضاء الله ويكسب لنفسه سخطه تعالى مع علمـه بأن النعم الالهية لا تسلب فهو في حزن مستمر .

واما التكبر فيجعل المستكبر ممقوتا في أعين الناس لانه يزعـم تفوقه على الآخرين فيمنعه من التألف والتآخـي .

الذى أنزل على عبده الكتاب :

الانزال النقل من علو الى سفل وهو يرادف التنزيل وقد يراد بالتنزيل الانزال نجما نجما وسورة وسورة وبالانزال الانزال دفعة واحدة .

عبده : اى محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه الجملة بمنزلة البرهان للجملة السابقة حيث أجرى الموصول على موصوفه . اى أنه تعالى يستحق المحامد كلها لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المشتمل على اصلاح المعاش والمعاد . وايضا تذكر هذه الجملة بالنعمتين الجليلتين انزال أشرف الكتب على أشرف الرسل وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه بأنه صادق أمين وليس بمتقول كما زعم اليهود والمشركون .

وفى اضافة العبد الى ضمير الجلالة تنويه بشأن محمد صلى الله عليه وسلم (١) . خص نبيه بأشرف صفاته - صفة العبودية - من بين صفاته الكثيرة اشارة الى أنه عبد بلغ فى عبوديته قمة الكمال بحيث لا يدانيه أحد فيها .

---

(١) روح المعانى ١٥/٢٠٠ .

وبهذه المنقبة العظيمة فاق اخوانه المرسلين (١) .

وأما الخلة والرسالة فهى ثمرات العبودية ومن ثم قدمت صفة العبودية على صفة الرسالة فى كلمة الشهادة وكذا كلما يذكر القرآن النعمة العظيمة على محمد صلى الله عليه وسلم يذكره بصفة العبودية (٢) لأنها صفة مليئة بالمحبة الالهية - عبده - يعرفها العباد الصالحون

---

(١) فان الانبياء والمرسلين كلهم متساوون فى الرسالة وهو المراد بقوله تعالى " لا نفرق بين أحد من رسله واليه أشار النبى صلى الله عليه وسلم " ما ينبغى لعبد ان يقول انى خير من يونس بنى متى " فتح البارى كتاب احاديث الأنبياء حديث ٣٤١٣ ٦/ ٤٥٠ وأما العبودية فهى ذات مراتب وأكملها فى سيد المرسلين وخاتم النبين صلى الله عليه وسلم وتشير اليه الآية " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات الاية - البقرة ٢٥٢ " ولقد فضلنا بعض النبين على بعض وآتينا داؤد زبورا" اسراء ٥٥ .

(٢) كقوله تعالى " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا - البقرة: ٢٣ وقوله تعالى " ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان" يوم التقى الجمعان " انفال : ٤١ .

وقوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى " الاية بنى اسرائيل ١ .

وقوله تعالى " فأوحى الى عبده ما اوحى " النجم ١٠ .

وأشار اليه القاضي عيـــاض (١) قائـلا :

ومما ادنـى شرفا وتيهـــــا

وكدت بأ خمصي اطأ الثريـــا

دخولي تحت قولك ياعبـادي

وأن صيرت احمد لي نبيا

وفي الآية اشعار بأن أشرف الخلق عبد لله تعالى ومنقاد لأوامـره فما بال الملائكة والمرسلين كما أن فيها توبيخا شديدا للمشركيـــــن واليهود والنصارى حيث زعمو في أنبيائهم والملائكة البنوة لله (٢) .

ولما كان المقام مقام اثبات نبوته ببيان الأمور الثلثة المسئول عنها قدم القرآن كلمة "عبده" على الكتاب اهتماما بشانه واعتناء برسالته . وأما فـي مطالع سورة الفرقان "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالميـــن نذيرا" فقدم كلمة الفرقان على كلمة عبده .

لأن المقـــام مقـام الاهتمـــام بتنزيلـــــــه لان

---

(١) صـــاوي ٣/٣ .

قاضي عياض بن موســى بن عياض من أعلام المغرب صاحب التأليف القيمة كالشفاء وطبقات المالكية وغيرهما تولى القضاء بسبتـــه ثم غرناطـــة .

(٢) مات ٥٤٤ بمراكـش .

روح المعانـي ١٥/٢٠٠ .

الكافرين كانو ينكرونه كما تشهد له الآيـة الرابعة " وقال الذين كفـروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون " وكذلك الآيـــة الخامسة " وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكـــرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كـــان غفورا رحيما " .

الكتـــاب : اى القرآن اذ التعريف للعهد وكلما يطلق الكتـاب فى مفتتح السور يراد به القرآن لانه هو الكتـاب الكامل المحفوظ من أيدى العابثين على عبر القرون ومر الدهـور .

ولم يجعل له عوجا : واختار حفص السكت على عوجا (١) .

الواو للحال واللام بمعنى فى والعوج بكسر العين يستعمـل فـــى المعانى وبفتحها يستعمل فى المحسوسات (٢) وعنـد البعض المكسور أعم من المفتوح وعند البعض بينهما ترادف (٣) . اى انزل على عبده الكتاب حال كونه لم يجعل فيه عوجا ما (٤) لا لفظيا

---

(١) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسد الكوفى ويكنى ابا عمرو ويعرف بحفص, قرأه على عاصم مات ١٨٠ سنة ثمانين ومائة .

(٢) يقال فى رأيه عوج بالكسر وفى الجدار عوج بالفتح ـ لسان العرب ٣ / ٣٣٢ .

(٣) روح المعانى ١٥ / ١٨٥ .

(٤) وقال القاسمى يمكن رجع الضمير فوله الى عبده اى لم يجعل له زيغا وميلا الى الغير ما زاغ البصر وما طغى تفسير قاسمى ٤٠٢٢/

ولا معنويا لأنه نزل بلسان عربى مبين مضى على نزوله أربعة عشر قرنـــا ولم يظهر لأحد من البلغاء اى تناقض وخلل فى الفاظه ومعانيه .

وبلاغته فى قمة الاعجاز وايجازه مشحون بالمعجزات ونفس هـــذه الجملة الوجيزه دليل على محتواها كقرص الشمس دليل على وجودهـــا فانها تستوعب جميع جوانب الحجة على استقامة القرآن مع دقة تعبيرها فان عوجا نكرة وقعت فى سياق النفى فأفادت العموم فاذا انتفى الاعوجاج انتفاء كليا تحققت الاستقامة بجميع لوازمها البتة .

ومن ثم عقبها القرآن كلمة قيما بدون اى تاكيد اذ خلو الكتـــاب عن الاختلال اللفظى والمعنوى عبارة عن استقامته لفظا ومعنى - وقـــد شاهد التاريخ من عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنـــا هذا اعجاز هذا الكتاب وحفظه من التحريف والتغيير .

وهذا الحفاظ من أجل البراهين على أنه كتاب سماوى وذلـــك أن القوى المعادية له من الانس والجن مع الجهود الجبارة لم تستطـع تغيير حرف من حروفه او حركة من حركاته من يوم نزوله الى يومنا هذا .

ألا ترى ايها القارئ - أن الطفل العجمى الصغير يحفظ هـــذا القرآن العظيم بكل جودة واتقان فى مدة قصيرة وهو لا يقدر التكلـــم بلغته العجمية بالطلاقة . ثم لا تشاهد فى المجالس والمحافل ان عالما كبيرا او مقرئا ماهرا اذا نسى كلمة من كلماته او اخطأ فى اعرابـــه

ترتفع الأصوات من كل جانب تصحيحا لخطائه .

واذا أنعمت النظر في مطالبه وتوجهت الى عباراته الرائعة وتدبرت في معانيها القيمة تيقنت أنه كتاب الله جل جلاله .

قيما : منصوب بمقدر اى جعله قيما او منصوب على الحال من الكتاب او من ضميره (١) .

وقيل من نوع المقدم والمؤخر اى انزل عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (٢) قيما اى مستقيما (٣) او قيما على الكتب اى انه يصدقها (٤) او قيما بمصالح العباد (٥) فعلى الاول تاكيد اذ قد يوجد في المستقيم أدنى عوج - عند السبر - فأكده بكلمة قيما دفعا لهذه الشبهة . وعلى الثاني والثالث تاسيس واليه مال الفخر الرازي ولكن بأسلوب آخر فانه قال " قيما بمعنى كونه سببا لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيما للأطفال .

---

(١) التبيان في اعراب القرآن ٢/١٣٧

ويمكن نصبه على البدلية من قوله لم يجعل له عوجا لان معناه جعله مستقيما .

(٢) معاني القرآن للأخفش المتوسط ٢/٣٩٣ .

(٣) تفسير الطبري / ٩٥ .

(٤) اختاره الفراء معاني القرآن للفراء ٢/١٣٣ .

(٥) تفسير بحر المحيط ٦/٩٥- كذا في المفردات للاصفهاني ص٤١٧

فالأرواح البشرية كالأطفال والقرآن كالقيم المشفق القائم بمصالحهم وكما أنه لا بد في القيم من أمرين احدهما أن ينذر مكفوله عن أعدائه وعن كل ما يضره في الحال وفي المستقبل وثانيهما أن يبشره بفوائد أعماله الحسنة ليجتنب السيأت ويفعل الحسنات فكذا القرآن ينذر العباد من السيأت ويبشرهم بالحسنات .

فقوله لم يجعل له عوجا اشارة الى الكمال الذاتي بأنه كامل في ذاته وقيما اشارة الى أنه مكمل لغيره كما في أول البقرة " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لم يجعل له عوجا قائم مقام لا ريب فيه وقوله قيما قائم مقام قوله هدى للمتقين (١) .

وما ذهب اليه الرازي فهو أليق بالسياق لأن القرآن ينعى على المشركين الذين كانوا يحاولون رد الدعوة الاسلامية بكل ما عندهم من الحيل حينما زلزل صوت القرآن العالم الذي يتموج بأمواج عبادة الاصنام والأهواء .

فادعوا تارة أن القرآن كهانة وسموه سحرا تارة اخرى وتارة شعرا ليستروا بهذه خجلهم بين الناس حتى مدوا أيديهم الى

---

(١) تفسير كبير ٢١/ ٧٥ - ٧٤ .

يهود المدينة ليمدوهم بما يقاوم السلاح المحمدى من الآيات القرآنيه فأعانوهم بالسؤال عن الأمور الثلاثة فان أجاب عنها فهو نبى صادق والا فهو متقول .

فتصدى القرآن للرد عليهم فى مطلع السورة بأنه صوت حق مستقيم فى نفسه ومقوم للآخرين .

وهل رأيتم الكهنة والسحرة والشعراء على أديم الأرض صيروا بفنونهم مثل هذا الانقلاب العظيم الذى أوجده محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب الخالد . حيث نظف عقائدهم وهذب أخلاقهم ورقق عواطفهم ووحد كلمتهم حتى هيمنوا على الشرق والغرب . وعلموا ملوك الأرض وقادة العالم دروس العدل والرحمة .

وأى ساحر أو شاعر كون فى مثل هذه المدة القصيرة من أبناء الأعداء واخوانهم رجال الايمان وشخصيات التضحية . وأى كلام قلب عزائم الأعداء الذين جاءوا ليقتلوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه ندموا على ما قدموا له و شهدوا شهادة الحق .

وأى كتاب انسانى أجبر الد أعدائه بالانقياد أمام اعجازه والاعتراف بمكانته . فهذا الوليد بن المغيرة حينما يسمع بعض الآيات القرآنية يتأثر به ويقول أمام قومه والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه

لطـــــلاوة (١) . وان اعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلـــو وما يعلـــى . ويقول تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنـــق ، وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن . وتزعمون أنه شاعر فهـــل رأيتموه يتعاطى شعرا . وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه مـــن الكذب ؟

فيجيبونه في سائر الأسئلة الهـــم لا ؛

ثم يستشيرونه فيما يواجهون به دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فماذا تقول فيه كي نرد به ما يلقيه في أسماع العرب من ذلك الكلام الذي يدعوه قرآنا - فيفكر الوليد تفكيرا عميقا ويشير بأن اقرب القـــول فيه أن تقولوا هو ساحـــر .

أما ترونه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فيفرح النـــــاس فرحا ويستبشرون معجبين بقوله متعجبين منه (٢) .

فهذه شهادة أعدى الأعادي على استقامة القرآن الكريم في نفـــس الوقت الذي تنزل فيه آياته " اذ لو وجدوا أدنى عوج في معانيـــــه

---

(١) طلاوة بضم التاء وفتحها الحسن . - مختار الصحاح صـ ٣٩٧

(٢) روح المعاني ١٢٣/٢٩ في تفسير آية انه فكر وقدر فقتـــل كيف قدر .

او ركاكة فى كلماته لأقاموا الدنيا وأقعدوها . وما أحسن ما قال الجاحظ

كلمة الجاحظ فى اعجازه :

قال الجاحظ " فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز . وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال ان يطبقوا ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الأمر الجليل المنفعة فذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه (١) .

كلمة الرافعى فى اعجازه : ولقد أجاد الرافعى فى هذا الموضوع حيث قال : -

" فلو أن هذا القرآن غيرفصح او كانت فصاحته غير معجزة فى أساليبها التى ألقيت اليهم . . . لكانت سبيلهم سبيل

---

(١) اعجاز القرآن للرافعى ١٩٤ .

القصائد والخطب والأقاصيص .....

ثم لنقضوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم ولكان لهم وله شأن غير ما عرف (١) .

ثم أليس هذا من أعظم آيات كونه فيما أنه لا يوجد حافظ واحد للتوراة ولا للانجيل ولا لصحيفة سماوية أخرى . لا فى اليهود ولا فى النصارى بينما القرآن محفوظ فى صدور الملايين من المسلمين صغارا وكبارا ، رجالا ونساء .

" بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون " (٢) .

ولله در القائل : -

جاء النبيون بالآيات فانصرمت

وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد

يزينهن جمال العتق والقدم

---

(١) اعجاز القرآن للرافعى صـ ٢٠٩ .

(٢) سورة عنكبوت ٤٩ .

والقارى المنصف اذ قارن بين القرآن والكتب السابقة الموجـــودة بين أيدينا مقارنة دقيقة لوصل الى نتيجة حاسمة بأن الكتب الأخـــرى غير القرآن أصابها ما أصابها من التحريف والتبديل .

وأما القرآن فهو كتاب قيم لم يغير ولم يحرف . ومن لم يجد فرصة المقارنة كليا فعليه أن ينعم النظر فى فاتحة الانجيل وفاتحة القرآن ثم يقيس عليهما جميع ما فيهما .

فالفاتحة التى يقرؤها النصارى فى صلواتهم هى " أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ،لتكن مشيتك كما فى السمـــاء كذلك على الأرض - خبزنا كفافنا - أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كمـــا نغفر نحن ايضا للمذنبين ولا تدخلنا فى التجارب ولكن نجنا من الشرير آميـن (١) .

هذا - ونجد فى التوراة والانجيل والكتب الاخرى الموجودة مـــن التناقضات والأباطيل (٢) . التى يعجها الطبـــع السليم ويتقـــزز

---

(١) انجيل متى اصحاح السادس الفقرة (٩) .

(٢) من ذكر الصفات الدنية لله تعالى والأنبياء عليهم السلام راجـــع سفر التكوين اصحاح ١٩ والفقره ٣٠ - واصحاح ٢٠ والفقرة ١١ واصحاح ٢١ - والفقرة (١٤) واستوعب الامام ابن حزم الأندلسى هذه الاباطيل فى رسالـــته الرد على ابن النغريله اليهودى " وتولى الرد عليـه .
وكذا فى " الملل والأهواء والنحل " للامام ابن حزم الظاهرى .

منهـا السمع النظيف (١) .

" أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــــه اختـلافا كثيرا " (٢) .

" ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٣) .

وكفى لكونه قيما اعتراف أعدائه الذين يحاولون ليلا ونهارا الطعـــن فيهويستعمل دائما أنواع الحيل والتدابير لاطفاء نوره الا أن أقلامهـــــم تسطر اضطرارا من غير شعـور صدق هذا الكتاب وصدق النبى محمـــــد صلى الله عليه وسلم .

فالعدو المعروف "سيـل " مع تعصبه الشديد يقول " ان أسلوب القرآن جميل وفياض . ومن العجب أنه يأمر بأسلوبه أذهان المسيحيـــن فيجذبهم الى تلاوته سواء فى ذلك الذين آمنوا بـه ومن لم يؤمنوا بـــه وعارضوه " (٤) .

---

(١) راجع " الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة " لاستاذنا الشيـخ عبد القادر شيبة الحمد صـــ ٢١ .

(٢) النساء : ٨٢ .

(٣) حم السجدة : ٤٢ - ٤١ .

(٤) كتاب التوحيد لعبد المجيد عزيز الزندانى الجزء الاول ٦٢- ٦١ .

وقال " هرشفلد " ليس للقرآن مثيل فى قوة اقناعه وبلاغته التركيبية . واليه يرجع الفضل فى ازدهار العلوم بكافة نواحيها فى العالم الاسلامى " . وقال الدكتور موريس الفرنسى " أن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبنى البشر وانه كتاب لا ريب فيه" (١) .

حقا انه أشرف الكتب نزل بسفارة أشرف الملائكة على أشرف الرسل بأشرف اللغات فى أشرف بقاع الأرض وبدء نزوله فى أشرف الليالى فى أشرف الشهور فكمل من كل الوجوه (٢) .

وعلينا أن نراعى عند قراءة هذه الجملة " ولم يجعل له عوجا قيما " الجو الذى نزلت فيه والأسباب التى اقتضت نزولها . فانها تصرح فى مبدء السورة بأن ما يذكر فيها من القصتين المسؤل عنهما هى حقائق صادقة مجردة عما اخترعته ألسنة اصحاب القصص وسجلته أقلام التاريخ من زيادات موهمة .

لينذر بأسا شديدا : - اى عذابا شديدا .

تحدد الآية وظيفة القرآن - الانذار والتبشير لأن الوحى الالهى دائما يبشر العباد بنتائج الايمان والعمل الصالح ويخوفهم عواقب الكفر

---

(١) نفس المرجع السابق ٦٢ - ٦١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦٦ .

والعصيـــان .

والضمير في الفعل راجع الى الكتاب او الى اسم الجلالة او الـــى عبده اى لينذر الكتاب او الله او الرسول . ومآل المراجع الثلاثـــة واحد (١) الا أن ارجاعه الى الكتاب أولى لانه أقرب المراجع .

حذف المنذرون استخفافا بشانهم او لوضوحهم بقرينة التقابل .

وفي التنكير شم الوصف بالشدة - بأسا شديدا - اشعار بتصور العذاب المدهش .

من لدنه : - اى نازلا من عند الله تعالى لا من عند المخلوق عذاب يتضاءل أمامه كل عذاب " فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد " (٢) .

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحـات : -

اى يأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه . واجرى الموصول علـى موصوفه للاشعار بأن مدار القبول للاعمال هو الايمـان . وأن الايمـان

---

(١) لأن الله تعالى ينذر الكافرين بكتابه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) الفجر ٢٥ - ٢٦ .

المعتبر هو ما يصحب الأعمال الصالحة . وفى صيغة المستقبل اشارة الى المداومة عليها بأنهم لا يكتفون بمجرد الايمان بل يعملون دائما حسب مقتضاه . وتقديم الانذار على التبشير للأشعار بأن الخوف من عذاب الله مقدم على رجاء رحمته .

والعمل الصالح كل عمل مطابق للشريعة المطهرة مبتغى به وجه الله تعالى .

أن لهم أجرا حسنا : والمراد بالأجر الحسن الجنة وما فيها من النعم الأبدية . وفى تقديم الجار والمجرور اشارة الى اختصاص المؤمنين بهذه المنحة الأخروية .

ماكثين فيه أبدا : المكث اللبث مكث بالمكان توقف وانتظر ماكثين حال (١) من الضمير المجرور فى "لهم والضمير المجرور فى "فيه" راجع الى الأجر الحسن . اى يتمتع المؤمنين فى الآخرة بحظوظهم المعدة لهم فى الجنة الى أبد الأباد .

ابدا : منصوب على الظرفية .

وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا : خصوا بالذكر مرة ثانية

---

(١) معانى القرآن للاخفش المتوسط ٢/ ٤٩٣ والعامل فى الحال الاستقرار وقيل ماكثين صفة لأجر والعائد الضمير فى فيه - املاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٨ .

استعظاما لكفرهم وتقبيحا لما ارتكبوا من الشرك حيث نسبوا العجز لله تعالى بنسبة الولد اليه وهم بعض العرب واليهود والنصارى (١) .

فالمشركون من العرب زعموا أن الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقال اليهود عزير ابن الله . ولم يذكر المنذر به لذكره فيما سبق كما لم يذكر المنذرون فيما سبق لذكرهم فيما بعد (٢) .

وفي صيغة الماضي اشارة الى رسوخ الشرك في قلوبهم .

مالهم به من علم : - الضمير المفرد اما راجع الى القول او الولد او الى الاتخاذ او الى الله تعالى أما المراجع الثلاثة الاول فمعناها ظاهر . والمعنى على التقدير الرابع مالهم بالله من علم اذ لو علموا قدره وشأنه لما تفوهوا بهذه الكلمة الشنيعة فانه واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (٣) .

وما بعد من في محل الرفع على الابتداء ومن لتاكيد النفي (٤) .

ووقوع النكرة في سياق النفي أفاد العموم اى ليس عندهم بهذا القول شيء قليل من العلم ولا حجة بسيطة من الحجج القاطعة

---

(١) بحر المحيط ٩٦/٦ .
(٢) تفسير مدارك ١١١/٣ .
(٣) بيضاوى ٢/٢ .
(٤) فتح البيان ٤٢٢/٥ .

" وخرقوا له بنين وبنات بغير علم (١) "

ولا لآبائهم : - اى كذلك أسلافهم (٢) لا يعلمون أصلا من أصول الادراك بهذه العقيدة الشركية . فهم يقلدون صنيع آبائهم تقليد الأعمى ويتوارثون هذه الترهات جيلا بعد جيل وهذا أمر قبيح جدا . فان الولد لا يتبع الوالد فى أمر بسيط من أمور الدنيا اذا تحقق عنده خطأ الوالد . فما بال هؤلاء الغافلين يقلدون آبائهم فى هذه العقيدة الباطلة التى تجرهم الى العذاب فى الدنيا والأخرة .

---

(١) الانعام : - ٦ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٢/١٣٣ .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

كلمة :- بالنصب تميز وبالرفع فاعل (١) فالمعنى على الاول "كبرت تلك الكلمة كلمة وعلى الثانى "عظمت الكلمة" . قال الحافظ ابن كثير والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فان هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لافكهم (٢) . وذلك أن مادة كبرت" ترسم بلفظها ومعناها المظمة والخطورة وكذا حذف المخصوص بالذم (٣) ثم تميزها بكلمة واطلاقها على الجملة (٤) ثم وصفها بقوله تخرج من أفواههم (٥) تعظم هذه الفظاعة . لأن الكلمة لا تصدر الا من الفم فوصفها بهذه الجملة تؤكد هذا الاستعظام لجرأتهم على النطق بهذه الكلمة الرديئة فانها لخستها لا تليق بأن تخطر ببال أحد فما بالها اذا

---

(١) قرأ الجمهور كلمة بالنصب اى ما اكبرها كلمة والبعض بالرفع معانى القرآن للفراء ٢/١٣٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٧١ .

(٣) لان كبرت بمعنى بئست .

(٤) لتكرارها على ألسنتهم فصارت كأنها كلمة مثل كلمة التوحيد .

(٥) فعلى هذا جملة تخرج من أفواههم فى موضع النصب وقيل هى فى موضع الرفع تقديره كبرت كلمة كلمة تخرج فالكلمة الثانية المخصوص بالذم - املاء ما من به الرحمن ٢/٩٨ .

خرجت من الأفواه (١) . " تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا " .

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا - لقد جئتم شيأ ادا - تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا - أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (٢) . ثم أكد القرآن بهتانهم هذا بقوله ان يقولون الا كذبا مفعول به او صفة لمصدر محذوف اى قولا كذبا ، اى ليس عندهم على اثبات هذه الكلمة الخبيثة مكان البواهين الا الكذب الخالص . اذ لا اشتراك بين الخالق العظيم والمخلوق العاجز نوعا ولا جنسا فنسبة الولد اليه ممتنعة عقلا والامتناع العقلى يستأصل الصدق .

والآية تحذر من التلفظ بأمثال هذه الضلالات واعتقادها .

---

(١) فان الافتراء أمر شنيع يتقزز منه الضمير الحى فما أشنع قباحته اذا كان على الله علام الغيوب .

(٢) سورة مريم ٨٨ - ٩٢ .

فلعلك باخع نفسك على أثارهم ان لم يؤ منوا بهذا الحديث اسفا (٦)

انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا (٧)

وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (٨) .

يجدر بنا أن نقف وقفة مناسبة للتدبر فى أسلوب هذا الكلام الكاشف عن مدى شفقة هذا النبى الأمى نبى الرحمة ورسول السلام على الأمة (صلى الله عليه وسلم) ورحمة الله العظيم بهذا الرسول الكريم .

فالفاء :- لجواب الشرط المؤخر (١) .

باخع :- اى قاتل نفسك من بخع الرجل (٢) اذا قتلها غما وغيظا .

وقال الفراء اى مخرج نفسك وقاتلها وقال ذو الرمة ألا ايها الباخع الوجد نفسه . بشئ نحته عن يديك المقادر (٣) .

على آثارهم :- اى بعد اعراضهم عنك وابائهم عن الايمان مثل هلاك الحزين بعد مفارقة أهل مودته (٤) .

---

(١) وهو قوله ان لم يؤ منوا .

(٢) فتح البارى ٨/٤٠٦ .

(٣) لسان العرب ٨/٥ .

(٤) بيضاوى ٢/٣ .

قال النسفـــى : شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا بـــــه وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقـــط حسـرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (١)

" ان لم يؤمنوا بهذا الحديث " شرط مؤخـر (٢) .

والمراد من الحديث القرآن وهو قديم لفظا ومعنى وتسميتـــــه بالحديث باعتبار نزوله اى بهذا القرآن المحدث نزوله .

أسفـا مفعول له او مصدر او حال (٣) وهو شدة الحزن والغضب.

تصور - ايها القارئ كيف تبين الآية كمال شفقة النبى صلى اللـه عليه وسلم على الأمة وعظيم حرصه على ايمانهم وعلى أداء وظيفة الرسالة . ولاحظ الجو المحاط بالجفاوة والقساوة ثم انظر الى قوة قلب هذا الرسول الأعظم وهمته الكبرى ومواطفه الجياشة فى نشر الدعوة الاسلامية واصـلاح النفوس البشرية . كأنه يتمنى أن يجعل الايمان لقمة هنيئة يطعمهـــا اياهم او شربة عذبة يبرد بها قلوبهم الظمئ لينجوا من عذاب النـــار ويدخلوا الجنة مع الأبرار. والكفار مع هذه الرأفة الوارفة الظلال مصـرون على عقيدة الشرك ممتزون بهذه الكلمة الخبيثة " اتخذ اللـه ولـــدا "-

---

(١) تفسير مدارك ٣/١١١.

(٢) ان قرئ " ان لم " بالكسر كما هو قول الجمهور - وان قرئ بالفتح أن لا يؤمنوا اى لان لا يؤمنوا فلا شرط ولا جزاء املا ما من بـه الرحمن ٢/٩٨ .

(٣) نفس المرجع ٢/٩٨ .

ونبى الرحمة يأسف أسفا أشد من أسف الأب الحنون حينما يرى أفلاذ كبده يتسارعون الى الجرائم عقب نصائحه المتتابعة .

فيسليه ربه الرحمن بهذه الكلمات المليئة باللطف الربانى ليقوى به عزيمته ويشجعه على دعوته ، " فلعلك باخع نفسك " اى لا تهلك نفسك حزنا عليهم " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات "(١) لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٢) .

اللهم آت هذا النبى الكريم خاتم المرسلين القائل " انما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه (٣) آته من أعلى درجات رحمتك وزد أفضل صلاتك عليه وعلى آله واصحابه اجمعين .

---

(١) سورة فاطر ٨ .

(٢) سورة الشعراء ٣ .

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل باب شفقة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى امته ٧/٦٣ .

الحجز جمع حجزة وهى معقد الازار والسراويل - تقحمون أو يتقحمون من قحم فى الأمر اذا رمى بنفسه فيه - مختار الصحاح صـ ٥٣٣ مادة ق ٢٦ .

انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا

ما على الأرض :- اى من المواليد الثلاثة الحيوان و المعـــــــدن والنبـــات (١) .

وقيل المراد به الرجال .

وقيل المراد به العلماء .

وقيل المراد به الرجال العباد العمال (٢) .

والظاهر العموم واما ما ورد من الخصوص فهو تفسير بالمثـــال الأشرف ويلايم العموم قوله تعالى " فيما بعده وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا - تبين الآية سبب عدم الأسف على كفرهم وسبب اعراضهم عن قبول الحق بأن الله جعل الدنيا بما فيها دار ابتلاء يبلو فيها عباده وهذا الامتحان صعب جدا لا ينجح فيه الا أصحاب البصيـــرة فان لذائذ الدنيا عاجلة مستحضرة ونعم الأخرة آجلة مستورة فطـــلاب الآخرة يتحملون لنيلـــها المتاعب والشدائد والمفرمون ببريق الدنيـــا أقبلوا على زخارفها وأعرضوا عن الأخرة فلا تحزن عليهم لأنهم ظلمـــوا انفسهم وقيل فى وجه الربط بأن الله يخاطب نبيه بأنى خلقت الأرض

---

(١) نظم الدرر ١٢/١٣ بيضاوى ٢/٣ - والأحسن التعبيـــــر بالمخلوقات بدل المواليد .

(٢) الدر المنثور ٤/٢١١ .

وزينتها ابتلاء للخلق ثم هم يكفرون فلا أقطع عنهم هذه النعم فأنت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد أن لا تأسف عليهم (١)

زينة لها : - منصوب على أنه مفعول ثان او حال او مفعول له (٢)

وفي كلمة زينة لها " اشارات لطيفة ،اشارة الى أن زخارف الدنيا من القصور والملابس والمأكل والمشارب والأزواج والأولاد والزهور والمطور حتى المناصب الجذابة والمصالح البراقة كلها زينة للدنيا وليست هي بزينة للأخرة .

فان هذه المناظر الخلابة ستفنى عن قريب فكيف يزان بها في الآخرة . واشارة الى سرعة زوالها فما تتزين به الفتاة سرعان ما يزول عنها . فان الزينة من الأعراض وهي في معرض الزوال . واشارة الى بشارة لمن لم ينخدع بهذه الزينة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين اقبلوا على الطاعات والعبادات وتحملوا في سبيل الدعوة الى الله من المحن والمخاطر وآثروا الفقر والتقشف على زخارف الدنيا مثل أصحاب الكهف الذين آثروا ظلمة الكهف على بريق المناصب ووحشة الغار على زينة القصر الملكي لم يخافوا في سبيل الدعوة والارشاد

---

(١) روح المعاني ١٥/٢٠٨ .

(٢) املاء ما من به الرحمن ٢/٩٩ .
فعلى الاول الجعل بمعنى التصيير وعلى الثاني والثالث فهو بمعنى الخلق .

من ارهاب الجبابرة ولم يزلزل عزائمهم ترغيب القياصرة ،

لنبلوهم ايهم أحسن عملا : -

اى لنختبرهم ليمتاز المحسن من المسئ والمراد بالعمل الحسن الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة او كل عمل مرافق للشرع خالص لوجه الله تعالى .

وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا :-

صعيدا - ترابا او ارضا مستوية (١) .

جرزا - يابسا " الأرض الجرز " التى لا تنبت (٢) .

اى انا لجاعلون جميع ما عليها ترابا يابسا مستويا " فيذرها قاعا صفصفا - لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (٣) .

تصرح الآية بفناء الدنيا ترغيبا فى الزهد عن زخارفها . ولا ريب أن هذه القصور المشيدة والبساتين المخضرة وجميع ملذات الدنيا لا تشيع صاحبها الى القبر ولا تبقى الى يوم الحشر . وأما الايمان والأعمال الصالحة فيرافق كل منهما صاحبه فى القبر ويوم الحشر .

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ص ١ .

(٢) لسان العرب ٥/٣١٦ .

(٣) طه : ١٠٦ - ١٠٧ .

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) .

ام بمعنى بل للانتقال من كلام الى آخر لا للابطال وتقدر عندها بل وهمزة الاستفهام عند الجمهور او بل عند البعض (١) اى بل أحسبت اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . وقيل ام بمعنى الهمزة (٢) .

تجيب الآيات عن السوال الثانى الذى سأل المشركون النبى صلى الله عليه وسلم عنه فى ضمن الاسئلة الثلاثة بتعليم اليهود اياهم اختبارا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ كانوا يعتقدون أن قصتهم الصحيحة لا يعرفها الا الله تعالى .

---

(١) روح المعانى ١٥/٢٠٨ - بحر المحيط ٦/١٠٠ .

(٢) بحر المحيط ٦/١٠٠ ويصح الاستفهام التقريرى والانكارى.

فالمعنى على الأول أحسبت أنهم كانوا من آياتنا العجيبة .

والمعنى على الثانى انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان السموات والارض وما فيهما مع نظامهما المحكم وبث الأفراد البشرية من آدم وحواء عليهما السلام وارسال الرسل فيهم وما الى ذلك من أعجب الآيات تفسير ابن كثير ٣/٧٢ - ٧٣ .

ويبينه الرسول بعد تعليم الله اياه بالوحى والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى أن قصة أصحاب الكهف آية من آيات الله تعالى .

وما بلغت قمة الاعجاب فصفحات الكون مليئة بأعجب العجائب التى لا تعد ولا تحصى . وفى كلمة " من آياتنا " اشارة الى أن الامور الخارقة للعادة لا تستغرب من قبل الله تعالى لأنه الخلاق العليم يخلق ما يشاء ويختار .

فهذه القصة وان كانت فى حد ذاتها من العجائب ولكنها بالنسبة الى قدرة الله فهى أقل اعجابا من الآيات الاخرى . وفى تبادر هذا السؤال الى أفهام اليهود حكم ومصالح . اذ جوابه الحاسم حجة قاطعة على رسالته صلى الله عليه وسلم وبرهان ساطع على صدق الكتاب المنزل عليه .

وذلك أنهم لما سمعوا الجواب القرآنى عن هذا السؤال وكذا الجواب عن السؤالين الأخرين اقتنعوا بدون اى تردد ونقاش . كما أن فيه تنبيها للمشركين على عنتهم ضد المسلمين واشارة الى هلاكهم فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هلك دقيانوس فى حياة أهل الكهف .

وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حينما كانوا يعانون فى نفس هذه الأونة أنواع الآلام من أيدى المشركين . وكانت

حالهم كحال اصحاب الكهف أمام الملك الجبار .

وبشارة للمؤمنين بأن الله سيريهم من آياته ما هو أشد اعجابا من فلاح أصحاب الكهف . فيصم نبيه فى الكهف ويؤويه وأصحابه الى دار الهجرة ومقر الايمان المدينة المنورة زادها الله شرفا وبهاء .

وكما خرج أصحاب الكهف من مدينتهم حينما كانت مصرفى الكفر والشرك ودخلها أحدهم للطعام فكانت مركزا للتوحيد وهكذا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيهاجرون مكة وهى تموج بأمواج الكفر والشرك وسيرجعون اليها وهى تابعة للرايات الاسلامية .

الكهف :- بفتح الكاف وسكون الهاء كالمغارة في الجبل الا أنه أوسع منها فاذا صغر فهو غار (١) .

الرقيم :- بفتح الراء وكسر القاف من الرقم بمعنى النقش والكتابة.

مالمراد من الرقيم ؟ .

لقد بلغت الأقوال في تعيين المراد به حوالى عشرة أقوال .

١- الرقيم بمعنى المرقوم اى المكتوب والمراد به اللوح من الحجر او من الرصاص المكتوب فيه أسماء أصحاب الكهف مع أنسابهم وسبب فرارهم المعلق على باب الغار او المدفون عنده (٢) .

٢- الرقيم اسم واد فيه الجبل الذى فيه الغار (٣) .

٣- الرقيم اسم قريتهم التى خرجوا منها بقرب البلقاء من أطراف الشام (٤) .

٤- قيل الرقيم اسم كلبهم (٥) .

٥- قيل الرقيم كتاب شريعتهم التى يدينونها (٦) .

---

(١) لسان العرب ٩/ ٣١٠ والكهف كالبيت المنقور في الجبل مختار الصحاح ٥٨١ .

(٢) وهو أظهر الاقوال وأرجحها وهو المشهور بين معظم المفسرين وهو المنقول عن ابن عباس رضى الله عنهما فتح البارى ٨/ ٤٠٧ . واختاره سعيد بن جبير ومجاهد فتح القدير ٣/ ٢٧٢ .

(٣) اختاره قتاده تفسير الطبرى ١٥/ ١٩٨ .

(٤) اختاره كعب الاحبار عمدة القارى ٧/ ٤٦٣ .

(٥) رواه ابن ابى حاتم وسعيد بن جبير عمدة القارى ٧/ ٤٦٣ - الصاوى ٣/ ٤ .

(٦) الصاوى ٣/ ٤ .

٦- قيل دراهمهم التى كانت معهم (١) .

٧- قيل الكهف سمى به لرقم أسمائهم فيه (٢) .

٨- قيل اسم الصخرة التى أطبقت على الوادى الذى فيه الكهف (٣) .

٩- قيل اسم الجبل الذى فيه الكهف (٤) .

١٠- المراد به الغار الذى آوى اليه الثلاثة من أجل المطر (٥) ثم سد باب الغار بالصخرة فتوسلوا بأعمالهم الصالحة (٥) .

وهذا القول الحاشريفهم من صنيع البخارى حيث أورد قصة الثلاثة بعنوان حديث الغار بعد عنوان أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ففهم البعض (٦) أن أصحاب الكهف جماعة وأصحاب الرقيم جماعة اخرى والحق أن أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم اسمان مترادفان ينطبقان على طائفة واحدة ولا نجد رواية صحيحة ولا قولا صحيحا من أقوال الصحابة يدل على تغاير مدلوليهما - وما تبادر الى أفهام بعض الناس فمسئوليته على الفاهم لا على الامام البخارى

---

(١) نفس المرجع .

(٢) ذهب اليه الفراء عمدة القارى ٧/٤٧٣ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) تفسير بيضاوى ٢/٣ .

(٥) كما هو مروى فى كتب الحديث - فتح البارى كتاب احاديث الانبياء حديث رقم (٣٤٦٤) (٣٤٦٥) ٦/٥٠٦ .

(٦) كما فهم ابو اسحق الثعلبى - راجع قصص الانبياء له ١/٥٥٦ - ٥٥٧ والبيضاوى ٢/٣ .

رحمة الله تعالى فان دأبه دائما فى تراجم الأبواب الايجاز وايراد الأمور الكثيرة لاشتراكها فى أمر واحد فلما كان الاشتراك بين أصحاب الكهف وبين الثلاثة هو البقاء فى الغار أحياء أوردها فى باب واحد ومن ثم نبه الحافظ العسقلانى على هذا الفهم بقوله " أنه لا توجد الحجة الصريحة فى الأحاديث بأن أصحاب الرقيم هؤلاء الثلاثة .

الا ان بعض الرواة (١) أتى بزيادة حيث قال " انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم فقال انطلق ثلاثة فكانوا فى كهف فوقع الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم فذكر الحديث (٢) .وهذه الزيادة التى ذكرها الحافظ العسقلانى قد رواها الامام احمد بن حنبل (٣) . وقد تفرد النعمان بن بشير بهذه الزيادة . ولم يذكرها أحد من الرواة - لهذا الحديث - ورواية البخارى ايضا مجردة عن هذه الزيادة واذا تفكر القارئ فى العبارة التى زادها النعمان علم أنها لا تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم أطلق على هؤلاء الثلاثة اسم أصحاب الرقيم بل الأقرب الى الفهم (والله اعلم) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يذكر قصة أصحاف الكهف فذكر لأجل المناسبة قصة الثلاثة .

---

(١) وهو النعمان بن بشير أحد رواة قصة الغار - وهوابن سعد الانصارى الخزرجى وهو اول مولود فى الاسلام من الأنصار بعد الهجرة استعمله معاوية على الكوفة م ٦٥ - اصحابه ٣/٥٥٦

(٢) فتح البارى كتاب احاديث الانبياء حديث رقم ٣٤٦٤ - ٣٤٦٥ ٦/٥٠٦ فأوصد اى أطبق واغلق .

(٣) فى مسنده ٤/٢٧٤ .

وأيضا يمكن أن تكون فى ذلك اشارة الى أن الذى آوى اليه أصحاب الكهف هو عين الكهف الذى آوى اليه الثلاثة ولا استحالة فى ذلك (١) ولو أن أصحاب الرقيم هؤلاء الثلاثة كما فهم بعض الناس لما اختلف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعهم فى تعيين مدلول الرقيم . وهل يتصور اختلافهم فى مصداق كلمة بعد ما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم .

ولما قال ابن عباس كل القرآن اعلمه الا أربعا غسلين وحنانا واواه والرقيم (٢) . فالحق أن أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم جماعة واحدة (٣) . كما هو ظاهر من القرآن الكريم حيث ذكر الرقيم مرة واحدة على سبيل عطف التفسير ليميز أصحاب الكهف المسئول عنهم عن أصحاب الكهوف والمغارات الأخرى . ولم يكرر القرآن كلمة " الرقيم " مرة اخرى حينما كرر كلمة الكهف ست مرات اشارة الى أن اصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وكذا قوله تعالى "نحن نقص عليك نبأهم " يدل على أنهما اسمان مترادفان لمسمى واحد (٤) ومن

---

(١) فتح البارى ٩/٥٠٦ .

(٢) در منثور ٤/٢١٢ .

(٣) وقال الشيخ انور شاه والتحقيق أن اصحاب الرقيم هم أصحاب الكهف فيض البارى كتاب بدء الخلق ٤/٤٩ .

(٤) حيث بين قصة اصحاب الكهف تفصيلا بعد ما ذكره اجمالا ولم يذكر قصة الثلاثة كما زعم البعض تفصيلا بعد ما ذكره اجمالا حسب زعمهم .

ثم قال الحافظ العسقلانى " وقال قوم أخبر الله عن قصة اصحاب الكهف ولم يخبر عن قصة أصحاب الرقيم قلت وليس كذلك بل السياق يقتضى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم (١) .

ثم تضاربت أقوال المفسرين فى تعيين الكهف وفى زمنهم (٢) وفى مدة نومهم وعددهم وهل هم أحياء فى العهد الحاضر ؟ .

أين الكهف ؟

أقوال العلماء فيه متضاربة .

فقيل هو فى أفسوس (٣) .

" " " غرناطة (٤) .

" " " فى الشام (٥) .

" " " بتراء (٦) .

---

(١) فتح البارى ٦/٥٠٤ .

(٢) هل كانوا قبل المسيح عليه السلام او بعده .

(٣) هو رأى اكثر المفسرين عمدة القارى ٧/٤٦٢ - افسوس مدينة معروفة بمسافة سبعة وثلاثين ميلا من " أزمير " وهى معروفة اليوم باسم " ايازبوك " .

(٤) قرطبى ٩/٣٥٦/٣٥٧ - بحر المحيط ٦/١٠٢ .

(٥) نفس المرجعين السابقين .

(٦) ويؤيده قول من قال انه بين أيلة وفلسطين او بالقرب من ايلة عمدة القارى ٧/٤٦٢ .

فقيل هو في قرب عمان (١) .

" " " نينوى (٢) .

" " " اسكندنافية (٣) .

والمفسر القرطبي ذكر أقوالا عديدة . فمرة نقل رواية الضحاك "أن الرقيم اسم مدينة في الروم وفيها كهف فيه واحد وعشرون نائما" ثم نقل عن ابن عطية أنه سمع من كثير من الناس" أن كهفا بالشام فيه أجساد الموتى وجسد الكلب الميت .... ولكن لم يعرف أحوالهم بسند صحيح هل هم أصحاب الكهف ام لا .

يقول ابن عطية " لما سمعت هذا الخبر ذهبت بنفسي سنة اربع وخمسمائة فوجدت الأجساد على هذه الحالة المسموعة . وعند ذلك الكهف مسجد وعمارة قديمة من طراز الروم وهذه العمارة تسمى بالرقيم وقال ان هناك آثارا قديمة على أعلى جانب غرناطة تدل على مدينة قديمة من نماذج الروم ويقولون ان اسمها كان " رقيوس" (٤) .

---

(١) ويؤيده قول من قال بالبلقاء عمدة القارى ٧/ ٤٦٢ .

(٢) كما قال ابن اسحق - تفسير ابن كثير ٣/ ٧٥ والبداية والنهاية ٢/ ١١٥ .

(٣) كهف اهل الكهف لرفيق وفا الدجاني ص ٢٢ "سكاندينافيا" . SCANDINAVIE اسم منطقة في اوروبا الشمالية يشمل السويد والنرويج والدانمارك وفيها جبال تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي في السويد والنرويج .

(٤) تفسير قرطبي ٩/ ٣٥٦ - ٣٥٧ بحر المحيط ٦/ ١٠٢ .

والمفسر ابو حيان الأندلسي يرجح هذا القول بعد نقله مشاهدة ابن عطية حيث يقول " ويترجح كون أهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى هي بلاد مملكتهم العظمى . ولأن الاخبار بما هو أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد ان يعرفه أحد الا بوحي من الله تعالى (١) .

وأما المفسر القرطبي فلم يرجح هذا الرأي ولم يجزم بانه الكهف القرآني .

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذين ذكر الله تعالى في القرآن . فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس - ليس ذلك لك ، قد منع الله تعالى ذلك من هو خير منك . فقال " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا . فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث رجالا وقال اذهبوا فادخلوا الكهف وانظروا فذهبوا فلما دخلوه بعث الله تعالى عليهم ريحا فأخرجتهم . قيل وكان معاوية انما لم يجر على مقتضى

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٠٢ .

كلام ابن عباس ظنا منه تغيرت حالهم عما كانوا عليه او طلبا لعلمهم مهما أمكن (١) .

فهذه الواقعة تؤيد ما بينه القرطبي وابو حيان وكذا يؤيده ماروه قتادة " قال قزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة غمروا بكهف في بلاد الروم فرأوا فيه عظاما فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة (٢) .

فقول ابن عباس في الواقعتين يؤيد أن كهفهم في بلاد الروم. اذ قوله لمعاوية " ليس ذلك لك قد منع الله تعالى ذلك من هو خير منك دليل على جزمه بأنه الكهف المعهود . وكذا قوله لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة دليل على جزمه بأن الكهف كهفهم ولكن العظام لغيرهم من المدفونين الجدد .

ورد المفسر ابن جزى هذا القول - بقوله " ان معاوية لم يدخل الأندلس قط وايضا ان الذين رأوا الموتى في كهف لوشة لم يدرك أحدا منهم الرعب (٣) .

---

(١) روح المعاني ١٥/ ٢١٠ في تفسير اية لو اطلعت عليهم لوليت منهم الآية .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٨٣ .

وذهب معظم المفسرين الى أن الكهف المبحوث عنه واقع فـــــى "أفسس" (١) المعروف بطرسوس . لانه كان مركزا هاما لعبادة الأصنام ولما آمن بعض شبان هذه المدينة حسب فطرتهم السليمة أجبرهـــــم الملك الجبار على عبادة الأصنام فأووا الى كهف واقع فى جبـــــل بمسافـــة من المدينـــة .

---

(١) عمدة القارى ٧/ ٤٦٢ تفسير ١٥/ ٤٢٢

وذهب الشيخ أحمد ابو الكلام آزاد (١) أن الكهف المعهود واقع فى بتراء (٢) . وايد رأيه الشيخ حفظ الرحمن سيوهاروى (٣) بدليل ماروى كعب الأحبار ووهب بن منبه عن ابن عباس قال الرقيم واد بين عسفان وايلة دون فلسطين وهو قريب من ايلة (٤) وبما نقل الطبرى عن ابن عباس أن الرقيم واد فى أسفل فلسطين دون ايلة (٥) وقال نجد كلمة " الراقيم " فى التوراة (٦) وهى القرية

---

(١) فى تفسيره ترجمان القرآن ٢/٣٩٣ .

وهو تفسير قيم بلغة أردو بأسلوبه الخاص الأدبى وابو الكلام محى الدين احمد بن خير الدين من قادة السياسين نهج منهج شيخ الاسلام ابن تيميه وخالف أباه الذى كان شيخ طريقة - فى الرسوم والبدع - حارب الاستعمار البريطانى طول حياته صاحب الكتب القيمة والرسائل العلمية - سجن عشر سنين مات ١٩٥٨

(٢) البتراء مدينة أثرية فى الأردن لها مكانة تاريخية فى الدولة القبطية

(٣) فى كتابه قصص القرآن ٣/٢٦٠ بلغة أردو فى ثلث مجلدات ضخمة والشيخ حفظ الرحمن ابن شمس الدين من كبار العلماء فى الهند ، مؤلفاته كثيرة ومن أشهرها قصص القرآن ، وحفظ الرحمن لمذهب النعمان ، ونظام الاقتصاد فى الاسلام مات ١٣٨٢هـ .

(٤) تفسير طبرى ١٥/١٣١ - ايلة مدينة معروفة بمسافة خمس كيلو مترا من عقبة الأردن .

(٥) نفس المرجع .

(٦) كتاب ليشوع باب ١٨ آيت ٢٧ .

التى سميت فى العهد الاخير باسم بتراء وفيها كهوف يمتد عمقهـــا فى الجبال واقعة شمالا وجنوبا حيث لا تنفذ فيهـا أشعة الشمس شروقا وغروبا ولها مداخل ومنافذ ومن بين الكهوف كهف مركزى على مدخلـــه آثار عمارة قديمة كأنها قواعد أسطوانات عديدة لمعبد قديم ثم يقـــول "آزاد" أن الآية الكريمة أم حـــبت أن اصحاب الكهف والرقيم الا يـــة تصرح أن قصتهم كانت متداولة فى العرب يتباحثون فيها متعجبين بها .

فان الأسلوب القرآنى عن التعبير من هذا السؤال يغاير التعبير ن السؤال عن الروح وذى القرنين .

فكلمة "أم حـــبت أن اصحاب الكهف" الاية تدل على تـــداول القصة بينهم . ومن ثم نجد هاتين الكلمتين فى شعر أمية بن ابـــــى الصلت - وليس بها الا الرقيم مجاورا - وصيدهم والقوم فى الكهـــف هجد .

الا أن مرور القرون وتداول القصة من بلد الى بلد أحدثا فيهـا زوائد ونقائص فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ما يميز بين الصحيـــح والمغشوش .

وهذا التداول يدل على أن موقعها متاخم لبلادهم والبتـراء قريبة الى قرى الحجاز وهى ممر القوافل التجارية فتصحب معهـــــا قصة هـــؤلاء الفتيـــة .

ويؤيد قوله ما قال ابن جزى " ان الكهف بمقربة من فلسطين (١) واما ما ورد فى بعض الأقوال المروية عن ابن عباس" قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق " نحو الروم فمررنا بالكهف (٢) .

فلا ينافى ما ذكرنا لأن بتراء كانت تحت سيطرة ملوك الروم فكانت تعتبر من بلادهم (٣) .

والحق أن قرب بتراء الى الحجاز لا يقوى ما ذهب اليه آزاد بل بعد موقع الكهف يورث الغرابة .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ١٨٣ .

(٢) راجع حاشية رقم ١ فى صفحة ١٠٠ .

(٣) قصص القرآن للسيوهاروى ٣/ ٢٦٠ .

وقال الأستاذ رفيق وفا الدجاني والأستاذ محمد تيسير طبيان (١) ان الكهف الواقع عند قرية رجيب من ضواحي عمان (٢) "الأردنية هو الكهف القرآني . واستدل بأدلة تاريخية واكتشافات أثرية بأن الرجيب هو الرقيم وغير لفظ الرقيم بمرور الزمان وتداول الأجيال بالرجيب .

كما قال المقدسي الرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون أن من دخل الكبير ولو يمكنه الدخول من الصغير فهو ممدر (٣) .

وقال الياقوت الحموي "الرقيم" بفتح أوله وكسر ثانيه وهو الذي جاء ذكره في القرآن بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له الرقيم يزعم بعضهم ان به أهل الكهف (٤) .

و ذكر الواقدي قصة سعيد بن عامر حينما بعثه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رأس جيش الى الشام وأخطأ سعيد

---

(١) ألف الدجاني كتابا سماه "اكشاف كهف أهل الكهف" ومحمد تيسير كتابا باسم أهل الكهف .

(٢) رجيب قرية معروفة بمسافة ثمانية كم جنوب شرقي عمان .

(٣) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٧٥ - ممذر خبيث النفس - فاسد الطبع من مذرت البيضة اذا فسدت صحاح الجوهري ٢/ ٨١٣

(٤) معجم البلدان ٣/ ٦٠ .
البلقاء محافظة في المملكة الأردنية قاعدتها السلط .

وقال الياقوت الحموى وكان يزيد بن عبد الملك ينزل الرقيم .

وفى حقه قال بعض الشعراء .

أمير المؤمنين اليك نهوى - على البخت الصلادم والعجوم

اذا اتخذت وجوه القوم نصبا - أجيج الواهجات من السموم

انكم غادرن دونك من جهيض - ومن فصل مطرحة جذيم

تنائيه يذرن على تنائيه يزيدا - بأكناف الموقر والرقيم .

وقال الحموى ايضا ان البلقاء بأرض العرب من نواحى دمشق موضعا يزعمون أنه الكهف والرقيم قرب عمان وذكروا أن عمان هى مدينة دقيانوس (١) .

وقارن الدجانى كهف الرجيب بكهوف أخر وأثبت أن كهف الرجيب هو الذى ينطبق عليه ما بينه القرآن الكريم لوقوع باب الغار جانب الجنوب . وأما كهف أفس فبابه واقع فى الجهة الشرقية الشمالية والقرآن يقول " وترى الشمس اذا طلعت الاية " .

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٦٠ - البخت نوع من الابل - الصلادم - جمع صلدم بمعنى القوى العجوم - شديد العض على اللجام - أجيج تلهب النار - الواهجات الرياح شديدة الحر السموم الريح الحارة - جهيض ساقط - مطرحة اى بعيدة تنائيه تباعده - موقر والرقيم اسمان للجبلين - (الصحاح للجوهرى) .

وأما دقيانوس فعهده قبل ثيودوسيس بمائتى سنة والحق أن أمثال هذه الوقائع قد تعددت فى مختلف الأزمة والأمكنة فكلما اشتد الخناق على الدعاة ورجال الايمان آووا الى كهف من الكهوف حفاظا على عقيدتهم وايمانهم فمرة وقعت فى رجال أفسس ومرة فى انطاكية وكذا فى غرناطه وبتراء ورجيب وأمكنة اخرى ومرة حدثت هذه الوقائع فى عهد تراجان (١) ومرة فى عهد دقيانوس (٢) وفى عهد فاليريان (٣) فكل ينسب قصتهم الى ما حدث لرجال بلدتهم واما الكهف المذكور فى القرآن فلم يصرح القرآن ولا الحديث بموقعه ، وأما ما روى عن ابن عباس (٤) فهو يعارض بمروياته فان عمرو بن دينار يروى عن عكرمة يقول قال ابن عباس ماأدرى ما الرقيم كتاب أم بنيان ؟ ويروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن اعلمه الا حنانا والأواه والرقيم (٥) فالأليق تفويض هذه الأمور الى علم الله تعالى كما قال الحافظ ابن كثير " وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا

---

(١) ١٠٦ م ١١٠ م - كهف اهل الكهف صـ ١١٥ - ١١٦ .

(٢) سنة ٣٠٠ م .

(٣) ٢٥٧ - ٢٥٨ م .

(٤) كما موفى صـ ١٠٠ و صـ ١٠٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٣ - الدر المنثور ٤/ ٢١٢ وفيه كل القرآن أن اعلمه الا اربعا غلين وحنانا والا واه والرقيم .

الكهف في أى البلاد من الأرض اذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعى وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا فتقدم عن ابن عباس انه قال هو قريب من ايلة وقال ابن اسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله اعلم بأى بلاد الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله اليه فقد قال صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئا يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أعلمتكم به فأعلمنا الله تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه فقال وترى الشمس اذا اطلعت الاية (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٥ .

اذ أوى الفتيـة الى الكهـف :

أوى : بمعنى اتخذ منزلا ومسكنا من آوى يأوى ومنه المأوى .

الفتية: جمع فتى وهو الشاب والأنثى فتاة - والفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم . والفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يزكى نفسه بعد الفعل (١) .

فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا :

الفاء للتعقيب

من لدنك رحمة : تقديم الجار والمجرور للاختصاص والاهتمام .

وهيئ لنا : اى أصلح لنا من هيأت الشئ أصلحته (٢) .

من أمرنا : المراد بالأمر هجر الأسرة والبلد والفرار بعقيدتهم الصافية من العدو الغاشم واستقامتهم على الحق وجعل الكهف مأمنا ومرفقا .

كلمة من للتجريد أى اجعل أمرنا رشدا كله (٣) .

رشدا : اى هداية من رشد بمعنى اهتدى .

---

(١) تفسير مدارك ٣/١١٣ .

(٢) الصحاح للجوهرى ١/٨٥

(٣) بيضاوى ٢/٣ .

اى حينما اتخذ الفتية الكهف مسكنا وأنابوا الى الله تعالى وتضرعوا اليه فى طلب الرحمة والرشد . وسألوا رحمة مختصة من خزائن رحمته والمراد بها الأمن والسلامة وحفظهم من الأعداء وكفايتهم من الرزق فى الغار وثباتهم على الحق وفوزهم فى الأخرة .

وفى كلمة " ربنا " استعطاف لطيف من ربوبيته تعالى . فالرب الذى يربى الجنين فى ظلمات ثلث جدير بأن يربى عباده المجاهدين فى سبيل العقيدة الطاهرة فى ظلمات الكهف ويهيئ لهم الثبات والاستقامة على جادة الحق .

وفى الآية درس عظيم للمؤمنين وخاصة الدعاة بان يتضرعوا الى الله تعالى فى الشدائد والمخاطر (١) ويتوجهوا فى شئون الدعوة الى الدعاء بالابتهال التام . لان الدعاء سلاح المؤمن (٢) والداعى حينما يبتهل الى الله وحده ويعتمد على نصرته يشعر بقوة روحية يتغلب بها على جميع المشاكل والأكدار .

---

(١) كما قال الجصاص - يدل على انه اذا اراد الهرب بدينه خوف الفتنة ان يدعو بالدعاء الذى حكاه الله عنهم لان الله تعالى قد رضى ذلك من فعلهم وأجاب دعاءهم وحكاه لنا على جهة الاستحسان احكام القرآن للجصاص ٣/٢٦١ .

(٢) وفى الحديث الدعاء سلاح المؤمن ونور السموات والأرض - المستدرك : كتاب الدعاء ١/٤٩٢ .

فضربنا على آذانهم : الفاء للتعقيب والضرب على الآذان كناية عن الانامة اى أنمناهم (١) . وأما ما ذهب اليه ابو الكلام حيث جعل " الضرب على الأذان " كناية عن جعل آذانهم بعيدة من أصوات اهل البلاد (٢) . فهو احتمال بعيد لا يلائم قوله تعالى " ثم بعثناهم " ، وأما قوله بأن " الضرب على الأذان " غير مستعمل فى معنى الانامة فهو محل النظر .

اذ من المشاهد أن الأم اذا ارادت ان تنيم ولدها فتحركه فى حجرها وتضربه ضربا خفيفا تارة على أذنه وتارة على صدره او ظهره (٣) .

وتخصيص الأذان مع أن المشاعر كلها محجوبة عن اليقظة عند النوم لأنها الطريقة للتيقظ بسماع صوت (٤) . وايضا فى الضرب على الأذان اشارة الى النوم التام فان النعاس يغلق العينين دون الأذنين فاذا ارتقى النعاس الى درجة الرقود فتترك الاذنان وظيفتهما - السماع .

---

(١) لسان الميزان ٢/٣٨ - اى ضربنا على آذانهم حجابا من النوم - تفسير مدارك ٣/١١٣ .

(٢) وقال ايضا " لو حملنا الضرب على النوم فهو أمر ممكن " ترجمان القرآن ٢/٣٩٥ .

(٣) قصص القرآن للسيوهاروى ٣/٢٧٠ .

(٤) روح البيان ٥/٢٢٠ .

وايضا أن التيقظ يؤثر أولا على الأذنين ثم على العينين ، وفى أيراد الظاهر - " فى الكهف " - محل الضمير اشارة الى رحمته العظيمة حيث جعل الكهف الموحش آنس لهم من مهد الام فناموا فيه نومة غرقة مثل ما ينام الولد فى حجر الام .

سنين عددا : كلمة عددا صفة لسنين اى سنين معدودة او مصدر اى نعدها عدا (١) .

وهى تحتمل القلة والكثرة الا أن القرينة هنا تعين الكثرة . اذ لو كان المراد به المقدار القليل لما احتاج الى ان يعد وأما العدد الكثير فيحتاج الى أن يعد (٢) .

وايضا أن اظهار كمال القدرة فى المدة الطويلة أجلى وأقوى وفى الآية تصريح بأن الله أجاب دعوتهم على الفور لأنهم كانوا فى تعب شديد ، يدبرون فى أن يستريحوا ليلة فأراهم الله تعالى دهرا طويلا بالنوم الغرق ولا شك أن النوم الثقيل فى مثل هذه الظروف المريرة أمنة الهية . لأن من هاجر الأهل لما هول والدار المألوف وأوى كهفا غير مسكون وترك وراءه عدوا غشوما ذا قوة وجنود يتتبع

---

(١) معانى القرآن للأخفش المتوسط ٢/ ٣٩٤ .

(٢) نظم الدرر ١٢/ ٩ نقله المفسر البقاعى عن الزجاج وقال هو وجه وجيه .

آثاره لكان فى قلق دائم يتململ فى مضجعه لا يقربه النعاس لمعالجته أنواع الحيل فى دفع الأهوال التى ستقع عليه من العدو اذا اطلع عليه ثم يتفكر فى شئون بيته ، يتذكر الاخوان والخلان واحدا واحدا وترهف احاسيه تجاه دعوته وارشاده .

وفى هذه التقلبات المزعجة يستقبله النوم اللذيذ الثقيل بحيث لا تنبهه الأصوات وفوضى المشاغبين فلا شك فى عظم هذه المنحة الربانية .

قيل اختلف أصحاب الكهف فى بعث الروح والجسد فقال قائل يبعثان وقال قائل يبعث الروح فقط وأما الجسد فتأكله الأرض فأماتهم الله ثم أحياهم (١) .

ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا : -

ثم بعثناهم : اى أيقظناهم من النوم الطويل وفى كلمة بعثناهم بدل ايقظناهم رد على منكرى البعث . فان نومهم ثلثمائة وتسع سنين بمنزلة الموت فالا يقاظ منه بمنزلة البعث بعد الموت.

---

(١) فتح البارى ٨/٤٠٧ .

لنعلم : اللام الغاية اى ينتهى أمر بعثهم الى نتيجة حاسمة اذ كان الناس آنذاك باحثين فى البعث بعد الموت فمنهم من يؤمن به ومنهم من يكفر به .

اى الحزبين : مبتدأ وأحصى خبره .

الحزب الطائفة والجماعة .

(احصى - فعل ماض من الاحصاء أحصيت الشئ عددته (١) .

اى اى الحزبين ضبط مدة اللبث ، وليس " احصى " بأفعل التفضيل لعدم وروده من المزيد .

لما لبثوا : ما مصدرية او موصولة فالمعنى على الأول اى أحصى للبثهم والمعنى على الثانى أى أحصى للذى لبثوا .

أمدا : اى غاية ومنتهى أو عددا (٢) مفعول لأحصى .

قال ابن جريج انهم كتبوا اليوم الذى خرجوا فيه والشهر والسنة (٣) . وقيل أحصوا ذلك بضرب النقد الذى وجد معهم (٤) . والحكمة فى جعل العلم - باحصائهم المدة - غاية للضرب

---

(١) الصحاح للجوهرى ٦/٢٣١٥ .

(٢) فتح البارى ٨/٤٠٧ .

(٣) فتح البيان ٥/٤٢٨ .

(٤) نظم الدرر ١٢/٢٠

على آذانهم زيادة ايمانهم بكمال العناية الربانية بمشاهدة الأمر باعينهم . و تطمين المؤمنين الآخرين في عهد بعثهم واتمام الحجة على منكرى البعث . فأحق القضاء الالهى قول المعترفين بالبعث ببعثهم المشاهد وأظهر أن أصحاب الكهف ربحوا في تجارتهم وكانوا أعرف الناس في عهدهم بقيم الحيوة وسفزاها . حيث اتبعوا الحق فانجحهم الله تعالى في الدنيا حيث شاهد مندوبهم رايات التوحيد مرفرفة على ربوع مدينتهم ووهبهم القرآن الخلود الأبدى . حيث تتلى قصتهم فيه في سائر العصور الى يوم القيامة وخاصة يوم الجمعة او ليلتها لتتير هذه اللوحة التذكارية أمام كل داعية أن نجاح المستقيمين على الصراط المستقيم حتمى . ومدة جور المنحرفين قصيرة جدا ، وأن الاستقامة على العقيدة السليمة تفتح دائما أبواب الفوز والنجاح في معركة دعوة الحق .

ما المراد من الحزبين ؟

ساق المفسرون أقوالا عديدة في المراد بهما .

١- هما حزب اهل الكهف (١) وحزب أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم وهذا قول الجمهور من المفسرين وهو الظاهر من الآية (٢) .

٢- هما أصحاب الكهف صاروا فيما بينهم حزبين في تعيين مدة المكث في الغار (٣) .

٣- هما الكفار من قوم أهل الكهف اختلفوا فيما بينهم (٤) .

٤- هما المسلمون والكافرون من قوم أهل الكهف (٥) .

٥- هما طائفتان من المسلمين في عهد أهل الكهف اختلفوا في مدة لبثهم (٦) .

والقول الأول أرجح لأن أهل المدينة كانوا يتباحثون في البعث فلما ذهب أحد أهل الكهف لشراء الطعام ودار ما دار من النقاش مع أهل البلد علم المنكرون للبعث فساد عقيدتهم وصحة عقيدة البعث وقدرة الله عليه . ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم

---

(١) الذين ظنوا لبثهم قليلا .

(٢) بحر المحيط ٦/١٠٣ .

(٣) بيضاوي ٢/٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٥/١٢٧ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) كما نقله الشوكاني من الفراء فتح القدير ٣/٢٧٢ .

ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم .

وقد أجاب المفسرون عما يختلج فى قلوب بعض القارئين عند قراءة قوله تعالى لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا وأمثاله (١) من شبهة حدوث العلم الالهى فى المستقبل مع أنه تعالى علام الغيوب وعالم بالاشياء كلها وبما كان وبما يكون من الأزل الى الأبد " وكان الله بكل شئ عليما "(٢) .

أجابوا عنها بأجوبة متعددة أود أن أجمعها اتماما للنفع وتسهيلا للقارئ .

١- المراد بالعلم التمييز اى لنميز أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا فهو من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب اذ العلم سبب التمييز (٣) . ومن نوع هذا الجواب جواب من يقول المعلم

---

(١) كقوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم الاية سورة البقرة - ١٤٣

وقوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين - عنكبوت - ٣ .

وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء الاية آل عمران ١٤٠ .

(٢) الأحزاب ٤٠ .

(٣) كقوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب - آل عمران ١٧٩ .

بمعنى الامتحان اى لنمتحن ، او يقول العلم بمعنى الرويـة والمشاهدة اى لنرى ونشاهـد (١) .

٢- حدوث العلم بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنيـن فنسب فعل الأتباع الى المتبوع نحو " بنى الامير المدينة "والنكتته فيه التنبيه على تنويه شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابـه بكرامة القرب والاختصاص .وهذه النسبة من أجل النعم الالهيـة فان الله يعلم بعلمه الأزلى كل ما فى الكون من الأزل الى الأبد . ولكنه أعطى الاختيار لعباده بلطفه العميم كى يميز به المطيـع والعاصى حتى يعلم المرتكب ما يرتكبه من الأعمال ويشهد علـى نفسه (٢) .

٣- المراد به العلم الحالى الذى يتحقق بعد وجود المعلوم وتقـوم به الحجة على العبد . ويترتب عليه الثواب والعقاب والمـدح والذم فالمعنى على هذا . ليتعلق علمنا تعلقا حاليا فى زمان وجود المعلوم او ليظهر معلومنا . فتعلق العلم الالهى بذلك المعلوم بسبب وجوده فى الحال وفى هذه الصورة يقيد العلـم

---

(١) فتح القدير للشوكانى ١٥١/١ . وكما قال على بن ابى طالب معنى لنعلم لنرى قرطبى ١٥٦/٢ .

(٢) فتح القدير ١٥١/١ - فحدوث العلم بالنسبة الى المخاطبين اى لتعلموا انتم وفيه ايضا تنبيه على اللطف بعباده بنسبة فعلهم الى نفسه .

بالحادث ولكن الحدوث راجع الى القيد لا الى المقيد (١) .

٤- صيغة المستقبل بمعنى الماضى - اى لما علمنا لى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا .

٥- المراد بالعلم الجزاء اى لنجازى الطائع والعاصى فعلى هذا يراد بالعلم العلم الذى يتعلق به الجزاء وهذا الجواب قريب الى الجواب الثالث .

٦- وقيل انه متكلم مع الغير فالمراد بهذه الصيغة أن العلم مشترك بينى و بين الرسول الأمين ،ولكن هذا التوجيه غير وجيه اذ يوهم كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بالغيب . مع أن الجواب الثانى يؤدى هذا المعنى مع خلوه عن هذه الشائبة واحتوائه الأدب الشرعى .

٧- هو تمثيل اى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم (٢) .

٨- ولقد أجاب الشيخ محمود الحسن(٣)بجوابين تحقيقين .

---

(١) تفسير ابن جزى ١/ ٦٢ .

(٢) تفسير روح المعانى ٢/ ٦ فى تفسير قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على نفسه البقرة ١٤٣ .

(٣) الشيخ محمود الحسن ابن ذو الفقار على م ١٣٣٩هـ - المشهور بشيخ الهند من كبار اساتذة الحديث فى دار العلوم ديوبند (الهند) حارب الاستعمار البريطانى وحاول انقلاب الحكومة البريطانيةالا أنه سجن قبل الموعد .

أحدهما - أن جميع الأشياء مستحضرة بين يدى الله تعالى وعلمه محيط بها بدون نسبة التقدم والتأخر .

" وأن الله أحاط بكل شى علما (١) .

فاذا كانت الأشياء كلها بمنزلة شىء واحد مستحضر فلا يتصور هناك الماضى والحال والمستقبل بالنسبة الى علمه تعالى وان كانت المعلومات فى حد ذاتها متقدمة ومتأخرة حسب الأزمنة الثلاثة .

فالله جل جلاله قد يتكلم حسب علمه وقد يتكلم حسب المعلومات (٢) ففى الصورة الاولى تستعمل صيغ الماضى والحال فقط لا المستقبل وفى الصورة الثانية تستعمل الصيغ حسب الأزمنة (٣) فقد علمنا حسب هذه القاعدة أن القرآن اذا بين الوقائع المستقبلة بصيغة الماضى نحو قوله تعالى " ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين "(٤) .

---

(١) الطلاق ١٢ .

(٢) اى الوقائع الماضية والمستقبلة .

(٣) فتستعمل صيغة الماضى اذا كانت الواقعة فى الزمن الماضى . وتستعمل صيغة الحال اذا كانت الواقعة فى الزمن الحالى وهكذا صيغة المستقبل فى الحادثة القادمة .

(٤) سورة الاعراف ٤٤ .

فقد لاحظ فيها أن كل الأشياء مستحضرة بين يدى الله تعالى وأما اذا بين الوقائع الماضية بصيغة المستقبل (١) فهو بالنسبة الى ما قبلها مستقبل لا بالنسبة الى العلم الالهى حتى يوهم حدوث علمه تعالى .

وثانيهما - أن العلم بالاشياء نوعان :-

أحدهما العلم بها بالذات كمشاهدتنا النار .

وثانيهما العلم بها بالواسطة كمشاهدتنا الدخان الدال على النار .

وقد يجتمع النوعان كمشاهدتنا الدخان والنار معا وفى هذه الصورة الثالثة الأخيرة يحصل لنا العلم بالنار بطريقين بالذات - لرؤيتنا النار - وبالواسطة لرؤيتنا الدخان الدال عليها - وهذان العلمان متلازمان فيما بينهما يتحققان معا بدون تقدم أحدهما على الآخر الا أن العلم بالواسطة فى هذه الصورة الثالثة قد انمحى أمام العلم بالذات حتى لا يخطر بالبال . فكما أن الكاتب بالقلم يحرك يده وقلمه معا والتحرك ثابت لليد اولا وبالذات

---

(١) كقوله تعالى لنعلم اى الحزبين أحصى لما لبثوا امدا .

وللقلم ثانيا وبالواسطة . فهكذا العقل السليم يتصور تقدم العلم الحاصل بالذات على العلم الحاصل بالواسطة مع كون المعلومين متحدين بالذات . فعلى هذا نقول أن علم الله تعالى بالأشياء ثابت بالذات وبالواسطة . وكلا العلمين متحدان من الأزل الا أن العلم بالواسطة يحصل عند وجود العلم بالذات فاذا استعملت الصيغة الدالة على العلم الالهى فى صورة الاستقبال فهو باعتبار العلم بالواسطة لا باعتبار تفاوت الزمان .

واذا استعملت فى صورة الماضى او الحال فهو باعتبار العلم بالذات - والحكمة فى اعتبار العلم بالواسطة اتمام الحجة واثبات الالزام على الانسان لأن مخاطب الكلام الالهى هو الانسان وعلمه على أكثر الأشياء بالواسطة فتستعمل صيغة الاستقبال فى أمور لا يعلمها الانسان بالذات مراعاة لاقامة الحجة عليه .

وحيث لم تلاحظ هذه المصلحة والحكمة فتستعمل صيغة الماضى والحال باعتبار العلم بالذات . ولما كان الانسان لا يعلم هذه الأشياء الا بالواسطة ولا يعلم هذه الوسائط الا بعد تحققها فهو يقيس علم الله تعالى على علمه الناقص الحادث .

ويتبادر (من هذا القياس الفاسد) الى ذهنه حدوث العلم الالهى نظرا الى صيغ الاستقبال ويقع فى ورطة الحيرة .

وأما المتدقق العارف لهذه المصالح والحقائق فهو على بينة

وبرهـــان لا يشتبـه عليه الأصل والنقل وهو على يقين جـازم أن كـل هذه الصيـغ مطابقـة للأخـرى . (١)

---

(١) التفسير العثماني في تفسير قوله تعالى " الا لنعلم من يتـبع الرسول " وهـو تفسير قيم بلغة أردو .

نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية أمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) واذا عتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (١٦) .

بين القرآن الكريم قصتهم اجمالا ثم فصلها تفصيلا دقيقا لتتمكن في القلوب أشد تمكن . ومثل هذا الاجمال والتفصيل لا يقدر عليه أحد من الخلق مهما أوتى من البلاغة والمقدرة على الصياغة . والأليق بنا أن نتأمل في هذه الآيات كلمة كلمة لتتضح لنا روعة التعبير القرآني حيث عبر عن ذاته تعالى بضمير العظمة - نحن نقص - الصريح في الاجلال .

وأكد الاخبار بتأكيدين أحدهما اسمية الجملة الدالة على الدوام والاستمرار وثانيهما تكرار الاسناد مرة في الجملة الفعلية واخرى في الجملة الاسمية .

فما حال ما قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم عززهما بتأكيد ثالث وهو لفظ نقص فان القص لغة تتبع الأثار وكذلك النبأ بمعنى الخبر الهام الذي له شان ثم التأكيد الرابع بكلمة بالحق .

بهم .

وهم أجدر بان يخلد ذكرهم فى الكتاب الخالد ليستأسى بهم الى يوم القيامة كل شاب مؤمن فى التفانى والفداء . ومن ثم صرح القرآن بكلمة الكهف ست مرات اشارة الى تصلبهم فى العقيدة حيث رحبوا بظلمته ووحشته وآنسوا الكهف حتى لقبوا بأهل الكهف وأصحاب الكهف .

آمنوا بربهم : فيه التفات من التكلم الى الغيبة اشعارا بتربيتهم النموذجية فان صفة الربوبية تنوه بشأن تربيتهم فى الجلوة وفى الخلوة . وهذه التربية الربانية ألهمتهم الاعراض عن زخارف الدنيا وهم فى سن التأثر والانفعال الذى يجذب صاحبه الى اللهو واللعب ولكنهم أقبلوا على الأخرة ولم يبالوا بالترهيب ولا بالترغيب فى المناصب الحساسة والمصالح . وهذه التربية منحتهم الاستقامة على عقيدة التوحيد فى جو محاط بالجور والعدوان . وصانت أقدامهم عن التزعزع والتردد أمام الاستبداد الأليم وأنارت لهم ظلمات الكهف وآنست لهم وحشتها .

وزدناهم هدى : فيه التفات من الغيبة الى التكلم بصيغة العظمة اشعارا بأن هذه الزيادة الايمانية من قبل الخلاق العظيم . فاذا زاد نعمة عظم قدرها وهذه الزيادة الايمانية أقامتهم مثل الصخرة الصماء امام العواصف والقواصف التهديدية .

هـــدى : يقينا وتصديقا (١) .

وفى الآية تشجيع لفتية محمد صلى الله عليه وسلم واشعار بـــأن الحرص على اصلاحهم وتربيتهم أمر أهم . فانهم رجال الدعوة ودعاة المستقبل وعهد الفتوة وفترة الشباب تتضمن المشاعـــــر الحارة من الفداء فاذا تنورت قلوبهم بنور الايمان والعقيـــدة استصغروا جميع المراقيل فى سبيله .

وقال القرطبى " فى تفسير قوله تعالى انهم فتية آمنـــوا اى شباب أحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة (٢) .

والنبى صلى الله عليه وسلم " حرص على اصلاح الشبـــاب وحثهم باغتنام هذه النعمة العظيمة فقال اغتنم خمسا قبل خمـــس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبـل فقرك وفراغـــك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (٣) .

وعد النبى صلى الله عليه وسلم فى السبعة الذين يظلهم اللـــه فى ظله يوم لا ظل الا ظله شابا نشأ فى عبادة ربه (٤) .

---

(١) تفسير مدارك ٣/١١٣ . (٢) قرطبى ١٠/٣٦٤ .
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك : - كتاب الرقاق ٤/٣٠٦- وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخيـــن ولم يخرجاه .
(٤) صحيح البخارى كتاب الاذان - فتح البارى ٢/١٤٢ وتمام الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق فى المسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصـــب وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلـــم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

وقال الحافظ ابن كثير أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فى دين الباطل . ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابا . واما المشائخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل (١) .

وهكذا شباب بنى اسرائيل آمنوا بموسى عليه السلام دون الشيوخ فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم الاية (٢) اى طائفة من ذرارى بنى اسرائيل آمنوا بموسى عليه السلام (٣) .

" موضع العظة "

الاية ترشد أرباب القلوب المؤمنة ان يهتموا باصلاح الفتيان وتربيتهم . فانهم اذا نالوا التربية فى أحضان الصلحاء وغذوا بالوعى الاسلامى الخالص صاروا جنود الاسلام وشباب الايمان . واذا أهملوا لاهين فى المنتزهات وميادين الملاهى لصاروا كلا على الأسرة المسلمة وحربا على الاسلام .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٣ - ٧٤ - قد عتوا اى كبروا وشاخوا .

(٢) سورة يونس ٨٣ .

(٣) تفسير كشاف ٢/ ٢٤٨ .

استدل الجمهور من السلف والخلف بمثل هذه الآية (١) على أن الايمان يزيد وينقص . ونسب الى ابى حنيفة انه يقول " ان الايمان لا يزيد ولا ينقص " قال الشيخ انور شاه الكشميرى ، " هذا وان اشتهر عن الامام الأعظم لكنى متردد فيه بعد وذلك لانى لم اجد عليه نقلا صحيحا صريحا . ثم قال لو كان الأمر كذلك فلعل الامام أنكر زيادته باعتبار زيادة المؤمن به . اذ كانت هذه الزيادة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم حينما يأتيه الوحى يوما فيوما واذ اكملت الشريعة استحالت الزيادة فى الايمان باعتبار المؤمن به فلا تعارض بين القولين فقولهم " الايمان يزيد وينقص " اى الأيمان بنفسه يزيد وينقص وقولهم " الايمان لا يزيد ولا ينقص اى باعتبار المؤمن به .

وقيل ان الامام تعرض الى أمر لم يتعرض اليه السلف فانه تكلم فى مرتبة محفوظة . وهى التى يدور عليها أمر النجاة وليس بعدها الا الكفر وهذا التصديق بمعنى انتفاء الشك لأن نظر الفقيه يتعلق بالخلود والنجاة اوليا كان او مآليا .

---

(١) كقوله تعالى " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل -
آل عمران : ١٧٢
وقوله تعالى " واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنو فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون -
التوبة ١٢٤ وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
وآتاهم تقواهم محمد ١٧ وأمثالها من الآيات وكذا الروايات .

ونظر المحدث يقتصر على النجاة الكاملة الأولية التى لا تمكن الا بالاعمال الصالحة . فالفقيه يبحث عن مراتب التصديق عما هو مدار للنجاة ولو مآلا ومن الكفر عما يوجب الخلود وايضا أن من قال "الايمان يزيد وينقص" فهدفه الرد على المرجئة الذين ألغوا الأعمال وقالوا "الايمان هو التصديق فقط ولا يضر مع الايمان معصية" .

فاهتم السلف الصالحون بجعل الأعمال داخله فى حقيقة الايمان وقالوا الايمان يزيد بها وينقص بتركها . وأما الامام ابو حنيفة فحارب فتنة الاعتزال والخروج الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار. فأراد الرد عليهم بأن الايمان لا يزيد ولا ينقص فانه لوقال فى مقابلتهم ايضا مثل ما قال السلف لكان اعانة لهم . فغير عنوانهم وقال انه لا يزيد ولا ينقص بأن الأعمال ليست كما قلتم . بل هى وان كانت أهم فى نفسها الا أن أمر الايمان ايضا ليس بهين . فهو أمر مستقل وليس بتابع بل أصل وعليه يدور أمر النجاة . فلو لم يعمل أحد طول عمره وكان آخر كلامه لا اله الا الله تصديقا من قلبه دخل الجنة لا كما قلتم " ان الرجل لو آمن وصدق اى تصديق ثم صدر عنه كبيرة لا يغفر له . فجعل الأعمال كالمطروح فى العبارة فقط دون الحقيقة ليظهر استقلال الايمان وتماميتها بدونها .

فأراد أن يكشف عن حقيقة الحال لئلا ينخدع أحد بعبارة السلف فيجعل الأعمال داخلة فى الايمان فينفى النجاة بترك الاعمال .

وكان الشيخ انور شاه يقول "الايمان قول وعمل يزيد وينقص" . اى بالطاعة والمعصية بمعنى أنه فرق بين المؤمن الكامل والعاصي فمن زاد ايمانا - يكون مؤمنا كاملا ومن نقص طاعة نقص ايمانا . "ومعنى لا يزيد ولا ينقص" أن الايمان لا يتبعض بل يكون بمجموع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم بحيث لا يشذ عنه شاذ (١) .

وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا (١٤) .

والمراد بالربط على قلوبهم تقوية قلوبهم بكمال رسوخ الايمان فى أعماقهما .

اذ قاموا : منصوب بربطنا .

لن : للتوكيد والتابيد . الها اى معبودا .

شططا : اى كذبا (٢) او بعيدا عن الحق (٣) من شط اذا بعد ويعبر به عن الجور .

هذه الآية ايضا تستدعى التأمل من المؤمنين تأملا دقيقا . ليعلموا مزية التفانى فى الحق وأبعاد اللطف الربانى بعباده المخلصين .

---

(١) فيض البارى ١/٥٩-٦٠ .

(٢) فتح البارى ٦/٥٠٤ .

(٣) مفردات للراغب صـ ٢٦٠ .

فأصحاب الكهف لما آمنوا بربهم وصدعوا بالحق قواهم الله تعالى بالثبات والاستقامة ليكونوا قدوة للمؤمنين ومثلا للمجاهدين . فكل من يؤمن بالله ورسوله ويجاهد في سبيل العقيدة يزيده الله ايمانا وتصديقا . ويؤيده بمزيد لطفه وهو الربط على القلب الذى يهب المرء قوة معنوية تلين الحديد وتفجر الصخور . وهذا هو الربط الذى قوى قلوب البدريين وجعل قلتهم غالبة على الكثرة المتطاولة ثلثة أضعاف .

" اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطن وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام " (١) . وهذا الربط قوى فؤاد ام موسى عليه السلام ووهبها الثبات والصبر .

" واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (٢) . وهذا الربط درجة كمال الايمان وهى الدرجة النهائية التى تحصل بعد الاستقامة ، وتفصيل ذلك أن أول درجات الايمان الانابة ثم الهداية ثم الاستقامة ثم

---

(١) انفال ١١ .

(٢) قصص ١٠ .

الربط على القلب (١) . وذلك أن التوحيد يقبله أهل الانابة واما اهل العناد فيجحدون به " قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من ينيب (٢) .

الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (٣) . فالانابة اولى الدرجات ومقدمة للهداية . والهداية فى المرتبة الثانية واذا استقرت الهداية فى القلب حصلت درجة الاستقامة . " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (٤) .

ثم يشرف الله تعالى أولى الاستقامة بنعمة الربط على قلوبهم ويحفظهم بهذه الجائزة عن التزعزع والتردد . ويقابله الختم على القلب الذى هو آخر درجات الزيغ والتمرد . " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم "(٥) .

وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا

---

(١) من افادات الشيخ غلام الله خان ،أحد أعلام الدعوة فى باكستان حارب الفرق الباطلة طيلة حياته توفى سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) رعد : ٢٧ .

(٣) شورى : ١٣ .

(٤) حم السجدة : ٣٠ .

(٥) بقرة : ٧ .

وبينك حجاب فاعمل اننا عملون (١) .

" ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ، انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا (٢) .

وكان أصحاب الكهف فى أمس حاجة الى هذا الربط الربانى فان هجر الأهل والديار أمر صعب . وأصعب منه كلمة الحق أمام الطاغية السفاك " دقيانوس (٣) . فقوى الله قلوبهم فاستصغروا أضخم التضحيات واستحلو مرارة الحق .

وأظهروا موقفهم الجرئ من العقيدة الطاهرة أمام القوى الجبارة بدون استشعار خوف ولا وهن .

وفى قوله اذ قاموا فقالوا : اشارة الى تألفهم بسبب الايمان بالله وحده حيث قاموا كقيام شخص واحد وصدعوا بالحق كصدع رجل واحد .

وهذا التأخى يجعل المجتمع الاسلامى وحدة قوية متماسكة . ويوحد كلمة المسلمين وصفوفهم ومبلغ جهدهم .

---

(١) حم السجدة ٥ .

(٢) الكهف ٥٧ .

(٣) كان دقيانوس ملكهم عمدة القارى ٧/ ٤٦٢ .

اين كان هذا القيام ؟

ومتى كان ؟

ذهب اكثر المفسرين أنه كان في الديوان الملكي حينما أجبروا على السجود للأصنام فقاموا كلهم احتجاجا على رؤوس الأشهاد قائلين " ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا .

وذهب البعض الى أنهم لما تشاوروا خارج المدينة في فرارهم من الملك فقاموا وقالوا هذه المقالة (١) .

وما ذهب اليه الجمهور فهو أليق بملحمة البطولة وشان الفتوة وأنسب بسياق الآيات (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هو عليه فأجابوه بالحق ودعوه الى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى بقوله " وربطنا على قلوبهم " الاية (٣) .

استدلال بقيام اهل الكهف على استحسان القيام في الموالد والرد عليه .

---

(١) ذهب اليه مجاهد - تفسير مجاهد ١/ ٣٧٤ .

(٢) قرطبي ١٠/ ٢٦٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٤ - .

وقد تشبث بعض الناس بهذه الآية على استحسان القيام (١) في الموالد والقول على سبيل الاجتماع فيا للعجب لهذه الاختراعات مع الفرق الشاسع بين القائمين في معركة الحق والباطل وبين القائمين في دارهم على البساط الحريري . والبون البعيد بين المعلنين المجاهرين بالتوحيد وبين المتلذذين بالنغمات والتصفيق وما يشابه الرقص .

قال القرطبي " قلت هذا التعليق غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ثم .... على وجوههم منقطعين الى ربهم خائفين من قومهم . وهذه سنة الله في المرسلين والانبياء والفضلاء والاولياء . اين هذا من ضرب الأرض بالاقدام والرقص بالأكمام وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان . هيهات بينهما والله كما بين الأرض والسماء ثم حرام عند جماعة العلماء (٢) .

وقال الشاطبي " اين فيه أنهم قاموا يرقصون او يزفنون او يدورون على أقدامهم ونحو ذلك (٣) . وقال ايضا في ذكر البدع " ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد

---

(١) اكليل في استنباط التنزيل ١/١٤٦ - القرطبي ١٠/٣٦٦ .

(٢) قرطبي ١٠/٣٦٦ .

(٣) الاعتصام ١/٢٢٨ .

ومنها التزام العبادات المعينة فى اوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين فى الشريعة (١) .

ربنا رب السموات والأرض : يا لحلاوة هذه الكلمات المواجة بالألطاف الربانية التى تملأ قلب المتلفظ بها من الطمأنية والسكون . وتزيل منه جميع الآلام والهموم فان الاعتراف بربوبيته تعالى يقدم له الضمان الالهى . ثم كلمة " رب السموات والأرض " تفتح أمام المؤمن صفحات عظمته تعالى وتفسح له فى ربوبيته العامة الشاملة لسائر شؤونها من الرزق والخلق والاحياء والاماتة وجميع التصرفات . فاستلذاذ أهل الكهف بهذه الكلمات الطيبة واعترافهم بربوبيته تعالى فى هذا الموقف العرير أمام الجبابره الذين هددوهم بالقتل على تركهم عبادة الأصنام استلذاذ الهامى يطمأن المبتلى بالأوجاع والمخاطر. ويتحفه بالصبر والاستقامة فان الرحمة الالهية تموج فى طيات هذه الجملة . وفيها درس عظيم للداعية المؤمن اذا ابتلى بمثل ما أبتلى به أصحاب الكهف أن يجعل هذا الورد حرزا لايمانه . فانه ذكر واستلذ اذ روحانى عند القلق الجسمانى . وفيه اعتراف

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٠ .

بربوبيته تعالى واذعان بنصرته وانقياد لقضائه وثقة بأن تصرفاته كلها للتربية مظاهرها أليمة وعواقبها حميدة .

وكلما يتفكر العاقل فى هذه الكلمات " ربنا رب السموات والأرض" يزيد ايمانه . فان الرب العظيم الذى وضع نظام السموات الدقيق نظام الشمس والقمر والنجوم والأفلاك ، وسائر الأجرام العلوية . ووضع نظام الأرض وما فيها من المعادن والجبال والبحار والنبات والحيوان وسائر الاجرام السفلية وما الى ذلك من الأنظمة الاخرى وضع جميعها لأجل الانسان الذى خلقه للعبادة . فكيف لا يحفظ الرب الجليل رب العالمين هذا المؤمن المخلص الذى يصدع بتوحيده ويتلذذ بصفاته وهو مقيد فى الكهف .

فو الله هذه الكلمات تهدى كل ذى عقل لتوحيده عز وجل . اذ السموات والأرض وما بينهما بنظامها الدقيق وتنسيقها الأنيق كتاب الكون ، صفحاته مليئة بالآف الالوف من الآيات الدالة على ألوهيته وربوبيته - الآيات التى تقوى المتفكر فيها على عقيدته . وخاصة اذا كان فى جنب جبل أسود وقد لجأ الى كهف متوحش احتفاظا بعقيدته . وترك كل غال ونفيس والأهل والديار وهو قائم فى قم النار تحوط به قبة السماء الخضراء ذات الأرجاء الواسعة وتحته أرض غبراء ذات الجبال والوديان مترامية الأطراف . وهو يردد هذه الكلمات ليغذى بها قلبه ومشاعره ويستدل بهذه الأجرام

العلوية والسفلية على توحيده تعالى . فيا لروعة هذا المنظـــــر ويا لاستلذاذه بهذه الكلمات .

لن ندعوا من دونه الها : - نكرة وقعت في سياق النفي فأفادت الشمول والعموم اى لن ندعو من دونه أحدا كائنا من كان ملكا او نبيا ، انسا او جنا بل ندعوه فقط فهو المعبود وهو المدعو فـــي الحوائج والنوائب . والمراد من الدعاء العبادة وفيه رد علـــى المشركين الذين كانوا يدعون الأصنام لحوائجهم وبعضهم كانـــوا يستمدون من الملائكة والـــجن . والقارئ يتحير في قوة عقيدة أهـــل الكهف وحسن تبليغهم ادعوا أولا توحيد الربوبية الذى يعتـــرف به المشركون ثم ادعوا ثانيا توحيد الألوهية فان توحيد الربوبيـــة بمنزلة الوسيلة وتوحيد الألوهية بمنزلة الغاية ولتعليمه أرسل اللـــه الرسل وأنزل الكتب . فهو بمنزلة قطب الرحى تدور حوله الأدلـــة ولاثباته تذكر الصفات المختصة بالاله كما في سورة النمل " أمـــن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائـــق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قـــوم يعدلون " أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهرا وجعـــل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهـــم لا يعلمون .

أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفـــاء

هذه الأمور المختصة بالله تعالى فكيف تدعونهم لحوائجكم .

واذا كان هذا حال الانبياء والملائكة فما بال أصنامكم المنحوتة بأيديكم . وقد اتضح لنا من هذه الآيات أنه كلما نفى القرآن الآلهة الباطلة وأثبت الألوهية لله الواحد القهار أراد به نفى صلاحية التصرف فى الخلق بالاعطاء والمنع والضر والنفع اذ ليس ذلك الا لله وحده . ويستلزم هذا نفى علم الغيب عما سوى الله تعالى لا محالة كما هو مصرح فى الاية ٦٥ من سورة النمل (١) .

ومن ثم صرحت الآيات باحتياج عيسى عليه السلام وأمه مريم وعدم استغنائهما من الله تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير (٢) .

وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يبنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار .

---

(١) كما فى حاشية رقم صـ

(٢) سورة المائدة ١٧ .

الى قوله وامه صديقة كانا يأكلان الطعام الاية (٣) . فالذى يأكل الطعام يحتاج الى آلاف الامور والمحتاج غير مستغن عن الله وغير عالم بالغيب .

لقد قلنا اذا شططا : - اى لو دعونا غيره او تكلمنا بهذا لكان قولنا بعيدا من الحق .

أكدوا بهذه الجملة موقفهم الحاسم بأن التلفظ بكلمات الشرك جور وبعد عن الصواب .

رتبوا القول الشطط على عدم العبادة لله تعالى او اشراك الغير معه فيهما لأن الصورتين تستلزمان الاعتراف بمعبودية الأصنام وهذا هو موقف المؤمن أمام الأعداء بان لا يتردد أمام المخاطر فى سبيل العقيدة الطاهرة .

هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين

فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا .

هؤلاء : مبتدأ .

قومنا : عطف بيان له او بدل عنه .

اتخذوا من دونه آلهة : الجملة الفعلية في محل الخبر .

لولا : بمعنى هلا للتحضيض .

عليهم : بحذف المضاف اى على ألوهيتهم وعبادتهم وتذكير الضمير تغليب للعقلاء على غيرهم .

وفي الاشارة بهؤلاء (١) تفنيد عنيف للقوم وتحقير لمعتقداتهم المزيفة كما في صيغ الغيبة اشعار بأنهم لا يستأهلون الخطاب لعدم ادراكهم الحق . اي هؤلاء المشركون جعلوا الاصنام (٢) والملائكة والجن وما الى ذلك آلهة من دون الله هلا يقيمون الدليل الواضح (٣) على ألوهيتها فلا أحد أظلم ممن ينسب الشريك لله

---

(١) الى المشركين اهل بلدهم .

(٢) بأن الصنم الفلاني يرزق وهذا يمطر وذاك يهب الأولاد وذاك وذاك فهي أسماء مخترعة لا حقيقة لها في الواقع وهل يتصور تحقق الصفات الالهية في الأصنام المنحوتة من الاحجار او في الملائكة والجن والرسل والصلحاء المخلوقين حاشا وكلا .

(٣) الذي يصح الاستدلال به من جهة الوحي ان كان دليلا نقليا ويقبله العقل السليم ان كان دليلا عقليا فان الأصول العقائدية والفروع العملية تتبنيان على الأدلة القطعية لا على التقليد الأعمى والشكوك والأوهام .

تعالى كذبا وزورا فانه شر محض ورذيلة تتبع منها القبائح والوقائح فما اعظم قبحه اذا كان على الله الخبير علام الغيوب .

" قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون "(١) .

" فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآيته انه لا يفلح المجرمون (٢) .

وهذا الاستنكار المحكم ثمرة صلابة الايمان بينوا أولا عقيدتهم السليمة ثم تبرءوا من عقيدة المشركين .

وفي الآية تبكيت وتعجيز لأن اقامة الحجة على اثبات الآلهة الباطلة محال وباطل (٣) .

---

(١) يونس ٦٩ .

(٢) يونس ١٧ .

(٣) تفسير مدارك ٣/ ١١٤ .

واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا .

واذ اعتزلتموهم : اى فارقتموهم .

من أمركم : اى الأمر الذى أنتم فيه من فراركم بدينكم واحتفاظكم بأنفسكم وبايمانكم .

مرفقا : بكسر الميم وبفتحها ما يرتفق وينتفع به اى يصلح لكم ما تطلبونه من أمور المعاش والمعاد وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب وما موصولة (١) او مصدرية (٢) .

الا الله : هذا الاستثناء ذو وجهين متصل من وجه ومنقطع من وجه آخر فان كان المشركون ممن عبدوا الله والأصنام فمتصل وان كانوا ممن لم يعبدوا الا الأصنام فقط فهو منقطع (٣) . وقيل " ومايعبدون الا الله " كلام معترض اخبار من الله عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (٤) .

---

(١) اى اذا فارقتموهم ومعبوديهم الا الله - بيضاوى ٢/٣ .

(٢) اذا فارقتموهم وعبادتهم الا عباد تالله - نفس المرجع .

(٣) البحر المحيط ٦/١٠٦ .

(٤) تفسير مدارك ٣/١١٤ .

فأووا الى الكهف : جواب اذ - اى اذ فارقتموهم فاتخذوا الكهف مسكنا لأنفسكم كى لا يجاوزكم المشركون . وقيل جواب اذ محذوف وهذه الجملة دليل عليه اى اذ أردتم الاعتزال عنهم فتجنبوا عنهم فأووا الى الكهف .

توضح الآية العناصر القيمة لهذه القصة الفريدة بأن الملك لما أمهلهم لحداثة سنهم كى يتدبروا فى أمرهم ويستشيروا أكابرهم ليرتدعوا عما هم عليه فاغتنموا الفرصة وصمموا عزائمهم على الاحتفاظ بعقيدتهم التى اعتقوها مهما بلغت المؤنة وأجمعوا كلمتهم على المغادرة من مجتمع الشرك وبيئة الظلم .

انظر ايها المؤمن : - الى ثبات هؤلاء الشباب على عقيدة التوحيد " الغاية العظمى " فى جو فاسد محاط بالشرك ثم انظر الى عزمهم القوى على ترك الأهل والديار وصبرهم على ظلمات الكهف الملىء بالوحشة والدهشة واعتمادهم القوى على نصرة الله تعالى حيث قالوا " ينشر لكم ربكم ويهىء لكم من أمركم مرفقا جزموا بأن الهجرة تفتح ابواب رحمته تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (١) .

---

(١) النساء ١٠٠ .

فوجدوا فى الكهف وفق رجائهم وتنسموا فيه روح الحرية فى عبادتهم وتفكرهم فى آيات الله وأذاقهم الله تعالى فى الكهف حلاوة الأمن والهدوء بعد ما عانوا فى المدينة جفوة الملك وغلظة أعوانه وأذى رعيته .

" ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شى قدرا (١) .

قال الأستاذ أمين أحسن (٢) " ان جملة ينشر لكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بشارة من الله تعالى ألهمهم اياها وليست من مقولتهم ولقد أخطأ من ظنها من أقوالهم لأن قطعية الكلمات وجزم الأسلوب يؤيدان أنها بشارة الهية . والا فكيف يجترى العبد المتواضع المنيب أن يجزم بمثل هذا القول بل الأليق بشان العبودية تقديم الطلب فى صورة الدعاء والرجاء كما دعوا ربهم " ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا" (٣) .

---

(١) الطلاق ٢ - ٣ .

(٢) فى تفسيره تدبر القرآن بلغة أردو
" الاستاذ أمين أحسن اصلاحى " من علماء باكستان كان من زملاء " الاستاذ المودودى " ثم عزل منه .

(٣) سورة الكهف ١٠ .

والحق أن هذه الكلمات من قولهم حكاها الله عنهم ، وقطعيتها منبثقة عن كمال وثوقهم بنصر الله عز وجل وفى الحديث " ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه " ( ) .

وهذا الاعتقاد الجازم من ثمرات الربط الالهى على قلوبهم وفى الحديث " كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك (٢) وفى الحديث القدسى " انا عند ظن عبدى بى (٣) .

وكيف حكم الأستاذ أمين أحسن بالخطاء على من يقول أن هذه الكلمات من قولهم حكاها الله عنهم أظن انه لم ينظر الى أن كلمة ينشر ، مجزومة لكونها جوابا للأمر - فأووا الى الكهف .

قال النسفى وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه و نصوع يقينهم او أخبرهم به نبى فى عهدهم (٤) .

---

(١) رواة الترمذى تحفة الأحوذى ٥/٥١٧ حديث رقم ٣٤٧٩ .

(٢) نفس المرجع ٥/٦٩٣ حديث رقم ٣٨٥٤ .
البراء بن مالك بن الضر بن ضمضم الأنصارى الخزرجى استشهد يوم حصن تستر فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين وقيل قبلها قبل سنة ثلاث وعشرين .

(٣) فتح البارى كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٠٥ - ١٣/٣٨٤ .

(٤) تفسير مدارك ٣/١١٥ .

استدلال بعض المتصوفة على فضيلة العزلة والرد عليه

ولقد احتج بعض المتصوفة بهذه الآية على اثبات فضيلة العزلة وترجيحها على المخالطة . والحق أن الشر اذا بلغ الى حد لا يستطيع المؤمن فيه ان يحفظ عقيدته وايمانه فيرخص له فى العزلة (١) مع أن العزيمة هى البقاء فى المجتمع كما هو الظاهر من قوله تعالى " انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذ أبدا" . او اذا اعتزل الرجل للعلم والعبادة ويكسب حلالا ويحضر الجمعة والجماعة فلا بأس بعزلته . وأما اذا اعتزل فى بيته او فى خارج من بيته فى شاهق من جبل بدون داعية تاركا للجمعة والجماعة فهى عزلة مذمومة والآية المحتج بها احتجاج عليهم لا لهم لأن اهل الكهف لم يرغبوا فى العزلة بل جاهدوا حسب استطاعتهم فى اصلاح المجتمع ولما تيقنوا أن الملك الجبار عزم على رجمهم اضطروا الى الفار على ارادة أنهم سيغادرون الكهف الى بلاد اخرى اذا غفل الملك واعوانه عن تفقدهم وسينشرون هذا الدين الحنيف فيها الا أن تدبير الله حال دون متمنياتهم حيث أنامهم

---

(١) احكام القرآن للجصاص ٣/٢٩١ .

قرونا . فكان ايوائهم الى الغار للمحافظة على عقيدتهم كما أوى النبى صلى الله عليه وسلم مع رفيقه الصديق رضى الله عنه الى غار ثور ثم غادر الغار بعد ثلثة ايام الى المدينة المنورة لينشر الاسلام فى ربوعها . واما العزلة بدون هذه الظروف القاسية فلا مسوغ لها ولا مستند لها . كما قال الحافظ ابن كثير " وكان هذا من لطف الله بهم فانهم فى تلك النظرة توصلوا الى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن فى الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء فى الحديث " يوشك ان يكون خير مال أحدكم غنم يتبع بها شفف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ففى هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع (١) . وقال القاسمى زعم قوم أن الآية تفيد مشروعية العزلة واستحبابها مطلقا وهو خطأ . فانها تشير الى التأسى بأهل الكهف فى الاعتزال اذا أضطهد المرء فى دينه وأريد على الشرك .

ومن رد الاحتجاج بهذه الآية على تفضيل العزلة الامام الغزالى

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٤ - ٧٥ والحديث رواه البخارى عن ابى سعيد الخدرى فى كتاب الايمان باب من الدين الفرار من الفتن ١/ ٥٣ .

حيث قال في احيائه (١) وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار اى ولا ريب في مشروعيته فرارا من الفتن (٢) .

وأما دليلهم بأن العزلة تهيء الفرص للتفكر في آيات الله والعبادة فيها مجردة عن الرياء والمعتزل يحفظ نفسه عن الغيبة والنميمة وزنا العينين والاختلاط بالفسقة والحمقى فيسلم عمره من الضياع .

والحق أن هذا النسيج من التعللات أوهن من بيت العنكبوت لأن نبي الرحمة هو القدوة والأسوة عليه أفضل الصلاة والتسليم وأصحابه أحق بأن يقتدى بهم وهم أحرص الناس على العبادات والطاعات ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه العزلة في زوايا البيوت او مغارات الجبال ومن المحال المشي في طرق الصفا ياسعد من غير اتباع المصطفى وأما تحنث النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء فكان قبل النبوة وبعدها لم يلبث فيه ولو ساعة واحدة من

---

(١) في احياء علوم الدين في باب ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة ٢/ ٢٢٥ .

(٢) تفسير قاسمي " محاسن التاويل " ١١/ ٤٠٣٠ وقال القاسمي فقول السيوطي في الاكليل في الآية مشروعية العزلة والفرار من الظلمة وسكون الغيران والجبال عند فساد الزمان " كلام مجمل لا بد من التفصيل فيه واى عصر خلا من الفساد وسياق الآية في الاضطهاد نحسب فافهم ولا تغفل - نفس المرجع .

من النهار ومن الليل . والصلوة مع الجماعة أفضل بسبع وعشرين درجة من الصلوة منفردا واما الرياء فمدارها على النية فالمعتزل اذا اراد بصنعه هذا اظهار أن الفلان ترك الدنيا وما فيها للعبادة ليعكف حوله الناس فهو أشد ذنبا وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يتركوا الاختلاط مع الناس ، قضوا أعمارهم في التعلم والتعليم والدعوة والارشاد واصلاح المجتمعات والبيئات ، وشرقوا وغربوا مجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . ونود ان نسطر ما كتبه عبد الله بن المبارك (١) الى فضيل بن عياض (٢) ليتضح لنا به عناية السلف بالجهود الفدائية وفضل التضحيات على النوافل .

" فقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن ابراهيم بن ابى سكينة قال أملى على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج وأنشدها معي الى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة .

---

(١) عبد الله بن المبارك مولى بن حنظلة كان يكنى بابى عبد الرحمن من اتباع التابعين من الفقهاء والزهاد - من أهل مرو - مات سنة احد وثمانين ومائة ١٨١هـ .

(٢) فضيل بن عياض بن منصور من اتباع التابعين من أهل سمرقند جاور البيت العتيق وكان زاهدا ورعا مات بمكة المكرمة سنة سبع وثمانين ومائة ١٨٧ .

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا

لعلمت أنك فى العبادة تلعب .

من كان يخضب خده بدموعه

فنخورنا بدمائنا تتخضب .

او كان يتعب خيله فى باطل

فخيولنا يوم الصبيحة تتعب .

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا

وهج السنابك والغبار الأطيب .

ولقد أتانا من مقال نبينا

قول صحيح صادق لا يكذب .

لا يستوى غبار خيل الله فى

أنف امرئ ودخان نار تلهب .

هذا كتاب الله ينطق بيننا

ليس الشهيد بميت لا يكذب .

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه فى المسجد الحرام . فلما قرأه ذرفت عينه وقال صدق ابو عبد الرحمن ونصحنى . ثم قال أنت ممن يكتب الحديث قلت نعم قال فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب الى عبد الرحمن الينا وأملى على الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه

أن رجلا قال يارسول الله علمنى عملا أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله فقال هل تستطيع ان تصلى فلا تفتر وتصوم فلا تفطر فقال يا رسول الله انا أضعف من أن استطيع ذلك ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين فى سبيل الله او ما علمت أن فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له بذلك الحسنات (١) .

وبالجملة أن ميزة فضيلة هذه الأمة على الأمم السالفة وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ولا يستوى المجاهد فى سبيل الدعوة الى الله والمنعزل عن المجتمع .

واما مايقولون ان هذا العصر عصر سكوت وملازمة بيوت وجبابرتنا أشد قساوة من جبار اهل الكهف . فهذا اتوهم فاسد جعلنه آيسين من وظيفة الدعوة واصلاح المجتمع .

فان الظروف لم تبلغ الى حد يفر المؤمن فيها بدينه عن الفتن ولقد عد الغزالى فوائد المخالطة ودواعى العزلة (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٤٧ فى آخر تفسير سورة آل عمران - لو طوقت اى لو قدرت عليه ليستن - استن الفرس اذا عدا شوطا ولا راكب عليه - طول الحبل .

(٢) فى كتابه احياء علوم الدين ٢/٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٧ .

وكذا الشيخ ابو سليمان حمد بن محمد الخطابى (١) وبحث الشيخ الطنطاوى الجوهرى بحثا لطيفا حول هذا الموضوع (٢) لولا خوف الاطناب لسطرنا هذه البحوث القيمة .

والآية تحث المؤمنين وخاصة الدعاة على اقتفاء آثار هذه الشخصيات الايمانية فى سبيل صون الكرامة الايمانية وان أداهم الى وحشة الكهوف وغياهب السجون وعليهم ان لا يتعرضوا لاظهار كلمة الكفر وان كان على وجة التقية (٣) .

---

(١) فى كتابه " العزلة " .

(٢) جواهر القرآن ٩/١٣٧ .

(٣) احكام القرآن للجصاص ٣/٢٦١ .

وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من ايت الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧) .

تزاور : اى تمايل من الزور وهو الميل وأصل الكلمة تتزاور حذفت احدى التائين (١) .

ذات اليمين : اى جانب اليمين .

تقرضهم : اى تقطعهم (٢) او تتركهم (٣) وقيل معناه تعطيهم من ضوئها شيئا ثم تزول بسرعة كالقرض يسترد (٤) .

الفجوة : المستع ،والساحة الواسعة (٥) وفناء الدار او ناحيته تجمع على فجوات وفجاء نحو ركوة وركوات وركاء (٦) .

تبين الآية الموقع الجغرافى فى كهفهم اشعارا بعظيم لطفه على هؤلاء الفتية حيث بوأهم مكانا مناسبا يصونهم من حرارة الشمس وشدة البرد .

---

(١) للتخفيف ،وقرئ بتشديد الزاى تزاور وتزور على وزن تحمر نظم الدرر ١٣/ ٢٤- ٢٥ .
(٢) من القرض وهو القطع بيضاوى ٢/ ٤ .
(٣) قال مجاهد فتح البارى ٦/ ٥٠٣ .
(٤) البحر المحيط ٦/ ١٠٨ حكاه عن ابى على الفارسى .
(٥) المفردات فى غريب القرآن صـ ٣٧٣ .
(٦) تفسير قرطبى ١٠/ ٣٦٩ .

اى ترى ايها الناظر لو وقفت أمام كهفهم من طلوع الشمس عظيم لطفه جل وعلا على أهل الكهف . فهذه الشمس ذات الحرارة الشديدة لا تضرهم لكون باب الكهف شماليا فتميل عنه وقت الطلوع جهة اليمين وتدخل الى الغار وقت الغروب من بابه الشمالى .

قال الحافظ ابن كثير " لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل اليه منها شيء عند الغروب ولوكان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفى يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه الى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد (١) .

وقيل ان مرور الشمس على الغار بدون وصول أشعتها داخل الغار طلوعا وغروبا أمر خارق للعادة لا لأجل موقع الغار جنوبا وشمالا (٢) ويؤيدها القول قوله تعالى " ذلك من آيات الله " يشرف عباده بالكرامات العظيمة " فالخلاق العظيم الذى خلق الربط بين الأسباب والمسببات قد يعطله فلا يجدى . اظهارا لقدرته الباهرة وتكريما لعباده المتقين فالذى خلق الشمس وخلق فيها

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٥ اى كون الباب فى جهة الشمال .

(٢) كما اختاره الزجاج ومعظم المفسرين - تفسير قرطبى ١٠/ ٣٦٩

الحرارة سلبها منها بالنسبة الى الكهف وجعله مكيفا بقوته الباهرة كما سلب الحرارة والاحراق من النار التى ألقى فيها خليله ابراهيم عليه السلام بقوله يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (١) .

وعلى هذا لا حاجة الى التكلف فى بيان موقع الغار ، ولو كان موقع الغار مثل ماقال الحافظ ابن كثير فلعل المراد بقوله " ذلك من آيات الله " " والله اعلم " أن اختيار أهل الكهف هذا الكهف من آيات الله حيث وفقوا الى كهف صحى مناسب كأنه بنى لأجلهم فوصولهم اليه - ومكثهم فيه مدة طويلة احياء وعدم دخول أشعة الشمس فيه ، وجعل الفجوة فيه كل واحد منها آية كبرى من آيات قدرته التى لا تعد ولا تحصى .

كما أن اجابة دعائهم والانعام عليهم وفق ما يتطلبونه ويرجونه من ربهم الكريم آية من آياته . والآية تشجع المؤمنين وتبشرهم بسعة بعد الضيق اذ احتفظوا بالعقيدة ومتطلباتها .

" من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا "

تبين هذه الكلمات كمال تصرفه تعالى فى مخلوقاته وانه لا متصرف

---

(١) سورة الانبياء ٢١ .

وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ،لو اطلعت لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا (١٨) .

أيقاظا : جمع يقظ بمعنى المستيقظ والمنتبه (١) .

رقود : جمع راقد كقعود وقاعد .

ذات اليمين وذات الشمال : اى من جهة اليمين الى جهة الشمال

باسط ذراعيه : اى مادا يديه من البسط بمعنى المد .

الوصيد : الفناء جمعه وصائد ووصد (٢) ،سمى ثم الغار وصيدا لمشابهته بعتبة الباب - الرعب هو الخوف الذى يملأ الصدر من الدهشة .

ذات اليمين وذات الشمال : منصوبان على الظرفية (٣) .

فرارا : منصوب على المصدرية او الحالية او العلية (٤) .

رعبا : منصوب على التميز .

---

(١) معانى القرآن للأخفش المتوسط ٢/ ٣٩٤ .

(٢) فتح البارى ٦/ ٥٠٣ .

(٣) معانى القرآن للأخفش المتوسط ٢/ ٣٩٤ .

(٤) فالمعنى على الاول لوليت منهم توليه الفرار على أن الفرار نوع من التولى .

والمعنى على الثانى لوليت منهم حال كونك فارا .

المعنى على الثالث لوليت منهم لأجل الفرار - بيضاوى ٢/ ٤

تبين الآية آية اخرى من آيات الله تعالى ، فعلينا أن نقف عندها وقفة مناسبة لنتفكر في الكلمات التي تبنيها ، تحسبهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنه خطاب لكل من يتأهل له .

عبر القرآن عن حسبان الناظر بالجملة الفعلية وعن رقودهم بالجملة الاسمية لكون الأول متجددا والثاني مستمرا اى كلما تقع الأنظار على جثثهم تظنهم راقدين مع امتداد الزمن " ، وفي كلمة نقلبهم اشارة الى قدرته العظيمة بأن تقليبهم ليس تقليبا عاديا وطبيعيا كما هو المشاهد في كل نائم بل هو أمر خارق للعادة وآية من آيات الله تعالى لا دخل لاصحاب الكهف فيه بل هو من فعل الله تعالى او من فعل الملك المامور به (١) . كما تقلب الأم ولدها النائم يمينا وشمالا .

ما هو سبب الحسبان ؟ هل سبب حسبان الرأى اياهم ايقاظا هو انفتاح عيونهم او تقليبهم يمينا وشمالا يسبب للرائي أنهم أيقاظ - او أن نشاط أجسامهم ونظافة ثيابهم بحيث لا يرى الكلل والانقباض على أبدانهم ولا الوسخ على ثيابهم وجه ذلك الحسبان .

---

(١) قرطبي ١٠/٣٧٠ .

وهذا الوجه الأخير وجيه يلايم الآيات الباهرة السابقة .

فالقدرة الالهية صانتهم من البلى والفساد وكونهم مفتوحى العيون لم يثبت بسند صحيح . وأما تقليبهم يمينا وشمالا فهو ليس من أسباب الحسبان والا لوجب تقدم ذكره عليه .

والحكمة فى التقليب صون أجسادهم من البلى (١) او ازالة التعب والسأمة عنهم كما يستريح النائم بالتقليب الى اليمين مرة ومرة الى الشمال .

ثم اختلف المفسرون فى عدد التقليب فقال البعض فى كل سبع سنين تقليبة واحدة (٢) .

وقال البعض فى كل سنة تقليبة واحدة (٣) .

وقال البعض فى كل سنة تقليبتان (٤) وذهب فرقة الى أنهم قلبوا فى التسع الاواخر دون الثلثمائة (٥) وقيل كان تقلبهم يوم عاشوراء (٦)

والحق أن صيغة المضارع " نقلبهم " تدل على استمرار التقليب وليس فى القرآن والسنة الثابتة ما يدل على عدد المرات ولا على وقته .

---

(١) كما قال ابن عباس " لئلا تأكل الأرض لحومهم قرطبى ١٠/ ٣٧٠

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) قرطبى ١٠/ ٣٧٠ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) تفسير مظهرى ٦/ ٢٢ .

وفي الآية ارشاد بأخذ الأسباب فان الله قادر على صونهم بدون التقليب ولكنه تعالى جعل لكل شيء سببا في أغلب الأحوال (١).

وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد : - هذه آية اخرى من آيات الله تعالى حيث أنام كلبهم بعتبة الباب على هيئة الكلب الحارس كي لا يجترئ انسان او حيوان على الدخول في الكهف وفي جلوسه خارج الباب ايضا حكمة الهية لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب (٢).

وفي اتباع الكلب الفتية المؤمنين آية عظيمة " لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد " (٣) حيوان لا يعقل أحب احبابا من الصلحاء ولازمهم فأعلى الله شأنه بذكره معهم في خالد كتابه (٤)

واما الكفار وخاصة كفار مكة فمع عقولهم ما اطاعوا الرسل وخاصة أشرف الانبياء صلى الله عليه وسلم فأخمد ذكرهم . وقال الحافظ ابن كثير " وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحبة الأخيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر

---

(١) روح البيان ١٥/ ٣٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٦ والحديث رواه ابو داود في كتاب الطهارة حديث رقم ٢٢٧/ ١/ ٥٨ .

(٣) سورة ق ٤٧ .

(٤) قرطبي ١٠/ ٣٧١ .

قيل هو موقع الكهف في محل موحش (١) قفر من الانس فوقه جبل وفي جوانبه كهوف عديدة فالناظر الوحيد اذا اطلع على رجال نائمين داخل الكهف البعيد من العمران يمتلاء قلبه من الرعب لما يخطر في قلبه بمجرد النظر اليهم من الوساوس ،هل هم من الجن او من الانس ؟ . هل هم نائمون او متناومون ، من المسافرين او من قطاع الطريق . وقيل ان الله ألقى الرعب في هذا المحل وهذا القول أليق بكرامتهم فان سائر امورهم من الآيات الباهرات ، كما شرف به نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال " نصرت بالرعب مسيرة شهر " (٢) وكما ألقى المحبة على كليمه موسى عليه السلام وهو رضيع " فالقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني الاية (٣) . وكما حفظ المدينة المنورة من رعب المسيح الدجال (٤) . ولا ريب أن من يخاف الله جل جلاله حق الخوف يهبه الله اجلالا في قلوب الناظرين اليه .

ولو كان الرعب لطول الأظفار والاشعار لما اختلفوا فيما بينهم

---

(١) نفس المرجع .

(٢) جملة من الحديث الطويل رواه البخاري في باب التيمم ١/ ٣٠٠

(٣) طه : ٣٩ .

(٤) ففي الحديث لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان رواه البخاري في فضائل المدينة فتح الباري ٤/ ٩٥

قال قائل منهم كم لبثتم : اى كم مدة قضيتم فى النوم سأل سائل منهم هذا السؤال لأنه أحس الجوع غير المعتاد فتيقين أن نومه ايضا غير معتاد . وقيل هاله فوت الصلوة لانهم دخلوا صباحا واستيقظوا مساء (١) .

قالوا لبثنا يوما او بعض يوم : وذلك ايضا آية من الآيات حيث استقلوا المدة الطويلة بلطفه الخاص وفيه اشارة الى ان تحديد المدة البرزخية خارج عن نطاق القوة البشرية فكما لم يدرك أهل الكهف تحديد مدة الرقاد الطويل الذى هو بمنزلة الموت فكذلك لا يدرك الميت تحديد المدة البرزخية . - قال الحافظ ابن الجوزى بعد ما بين قصة أهل الكهف بعبارته الموجزة البليغة " اخوانى ليس العجب من نائم لم يعرف قدر ما مر من يومه وانما العجب من نائم فى يقظة عمره .

أما والله لو عرف الأنام

لما خلقوا لما غفلوا وناموا .

لقد خلقوا لما لو أبصرته

عيون قلوبهم ساحوا وهاموا .

---

(١) تفسير خازن ٣/١٩٣ .

مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشـــــرٌ

وتوبيخٌ وأهوالٌ عظـــــامٌ .

ليوم الحشر قد خلقت رجال

فصلوا من مخافته وصامـــــوا .

ونحن اذا أمرنا او نهينـــا

كأهل الكهف أيقاظ نيـــــام (١)

ثبت من الاية جواز القول على الظن الغالب وجواز الاجتهاد (٢) .

قالوا ربكم أعلم بما لبثتـــم : هذا قول أهل التحقيق منهـــم وهذا هو الأدب الشرعي بأن يفوض المرء علم ما لا يدرك بالعقول الى عالم الغيب والشهادة . فالعلم الانساني مهما اتسع وبلـــغ ما بلغ لا يدرك ذرة من المغيبات الا بالارشاد الرباني وهـــذا التفويض من ثمرات الايمان الراسخ .

فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة .

اى عليكم الاهتمام بالأهم فالاهم والاعراض عن الخوض فيما هـــو خارج عن دائرة الادراك .

---

(١) المدهش صـ ١١٤ - ١١٥ .

(٢) قال الجصاص لما حكى الله ذلك عنهم غير منكر لقولهم علمنـــا أنهم كانوا مصيبين في اطلاق ذلك الى ما كان عندهـــم من مقدار اللبث وفي اعتقادهم لا عن حقيقة اللبث في المغيب احكام القرآن ٣/٢١٣ .

أحدكم بورقكم هذه : اشارة الى الدراهم الموجودة عندهم والمراد بالمدينة المدينة التى خرجوا منها (١) .

أيها أزكى : العبارة بتقدير المضاف اى اى أهلها أزكى او اى الأطعمة ازكى (٢) او خير طعاما (٣) .

والمراد به الأصل الأطيب او اكثر وألرخص(٤) . والمعنى الأول آلية بتقوى أهل الكهف لما شاهدوا فى مدينتهم من الجزارين والطباخين المشركين (٥) .

وليتلطف : اى يبالغ فى اخفاء نفسه حتى لا يطلع عليه أحد او يلاطف فى المعاملات (٦) .

ولا يشعرن بكم أحدا : تاكيد بليغ لحكم التلطف اذا أريد به اخفاء نفسه ، فان النكرة - أحدا - فى سياق النفى تفيد العموم اى يبالغ فى التلطف حتى لا يطلع عليه أحد من الناس او هذه الجملة

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٧ بأن الالف واللام للعهد .

(٢) وقيل فيه بعد لأن الاطعمة مدلول عليها فى المقام - فتح البيان ٥/٤٢٥ .

(٣) فتح البارى ٦/٥٠٤ .

(٤) بيضاوى ٢/٤ .

(٥) قرطبى ١٠/٣٧٥ .

(٦) تفسير ابى السعود ٥/٢١٣ - وفيه او ليتكلف اللطف فى المعاملة كيلا يغبن .

ثمرة التلطف اذا كان المراد به الملاطفة ولين الكلام لانه اذا يقابل الناس بالبشر والطلاقة ويداري في فحص الأزكى فيحفظ من الشرور فان الخشونة تنبت المخاصمات الجالبة الى التحاكم عند الحكـــام الذين فروا منهم وهو يستدعي معرفة المدعي والمدعى عليه والشهود وشهود التزكية (١) .

---

(١) والتلطف سبب الاختفاء وعدم شعور أحد بحال المتلطف مثل التوريـــة .

دلالة الآية على المطالب العالية

دلت الآية على الآداب والنصائح الذهبية منهـــا : -

- تفويض العلم الى الله فيما لا يعلمه العبد .

- والأخذ بالأهم فالأهم . - وتزود المسافر بزاد السفر كي لا يتكفف الناس . - والسعي في طلب أكل الحلال الطيب .

- وجواز النيابة والوكالة (١) . - والتزام الوكيل او المندوب التلطف في الأمور . - وجواز خلط الجماعة نقودها . - وكذا جواز الأكل من الطعام المشترى بالشركة وان تفاوتوا في الأكل (٢) .

- وجواز الكتمان في بعض الأحيان (٣) ولا شك ان الملاطفة تلين القلوب القاسية وتحل الامور المعقدة وتفتح الابواب المغلقة وهي أساس عظيم لمكارم الأخلاق في جميع شئون الحيوة وخاصة في شئون الدعوة .

فالداعي المتلطف ،لين الكلام يرحب به الناس ويوسع له مجال الدعوة فلو لم يقبل احد دعوته في اليوم الأول سيقبلها في اليوم الثاني والثالث . لانه ترك مجالا للعودة اليهم .

---

(١) كما وكل النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام بالشراء قرطبي ١٠/ ٣٧٥ .

(٢) بأن يأكل البعض قليلا والبعض الآخر كثيرا = نفس المرجع وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٦٢ .

(٣) معظم هذه الفوائد منقولة من القرطبي ١٠/ ٣٧٧-٣٧٥ وفتح الباري ٨/ ٤٠٧

واما الداعى الخشن الغليظ الكلام فسرعان أن يشعل نار الجدال والنزاع بشدته وسبه الناس ولن يترك لنفسه مجال الدعوة فى المستقبل فالكلمة الطيبة صدقة واللين يورث اللين والملاطفة تولد المعاطفة والشراسة تنتج العناد والفساد " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى (١) . وكذا للكتمان فى بعض الأحيان اثر عميق فى صون الدعوة والدعاة عن الاعتداءات العنيفة واستعمال ادوات التحفظ والوقاية من الواجبات وان لم تنفع فى نفس الأمر (٢) .

قال البقاعى : " وفى قصتهم دليل على أن عمل المسافر ما يصلحه من المنفعة رأى المتوكلين لا المتأكلين المتكلين على الانفاقات على ما فى أوعية القوم من النفقات (٣) . فالتوكل أمر واجب والتواكل (٤) أمر مذموم والتوكل لا ينافى الكسب لانه عبارة عن تفويض المرء أمره الى الله عز وجل . باعتقاد أنه هو المؤثر وهو النافع والضار فقط .

---

(١) البقرة ٢٦٣ .

(٢) فهم بالغوا فى التاكيد على وكيلهم بان يتلطف كل التلطف ولكن قدر الله كان مفعولا فهو بالغ فى اختفاء نفسه وسعى غاية السعى لكن الله اظهره بين الناس ليعلموا اللطف الربانى عليهم وليعلم الناس ان البعث حق .

(٣) نظم الدرر ١٢/ ٣٢ .

(٤) وهو ترك الأسباب بالكلية .

فالتفويض والاعتقاد من الأمور القلبية وأسباب المعاش أمـــور حسية تكتسب بالكسب المتعلق بالجوارح فلا منافاة بينهما (١) . والله أمرنا بالتزود "وتزودوا فان خير الزاد التقوى (٢) . "فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله (٣) . وهناك آيات كثيرة وروايات عديدة فى فضل الكسب والتوكل معا - وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر (٤) الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (٥) ولا ريب أن كسب الحلال يورث فى الانسان المروءة والشهامة والاعتماد علـــى نفسه . ويصونه من ذل السؤال وخسة الطمع فيما فى أيـــدى الناس . والتوكل يقويه على مقاومة المخاوف والمكاره ويفديه الطمانينـــة و عنه الخوف على الحيوة او الصحة او الفناء (٦) .

" ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٧) " واليه يرجع الأمر كلـه فاعبده وتوكل عليه " (٨) .

---

(١) تلبيس ابليس صـ ٢٧١ .

(٢) سورة البقرة ١٩٧ .

(٣) سورة الجمعة ١٠ .

(٤) اى سفر الحج .

(٥) تفسير مدارك ٣/١١٧ .

(٦) وأشبعت سيدة مؤمنة موضوع الكسب والتوكل على الله اشباعـا مناسبا فى كتابها " الاختيار او حرية الارادة فى الاسلام " وفقدت نقدا صارما على المتواكلين صـ ٩١ - ٧٩ .

(٧) سورة الطلاق ٣ .

(٨) سورة هود ١٢٣ .

انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا .

علة التلطف : اى أن أهل المدينة لو عرفوكم وعرفوا مكانكم لقتلوكم بالرجم ان استقمتم على الحق او ردوكم الى دينهم ان تزعزعتم و فى ايراد كلمة "فى" موضع "الى" اشارة الى الاستقرار الذى هو أشد الآلام عند المؤمنين كراهة (١) . والمراد بالرجم معناه الحقيقى اذ كان ذلك عقاب من خالف أمر الملك الجبار وقيل هو كناية عن السب والطعن وهو أشد ايلاما لاصحاب الشهامة من آلام الأسنة والسيوف .

ولن تفلحوا اذ أبدا : لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن الارتداد اقبح أنواع الكفر . والتلفظ بكلمة الكفر حالة الاكراه وان كان مرخصا (٢) الا أن ذلك التلفظ قد يجره الى الكفر القلبى ويستدرجه الشيطان بذلك الى الاجابة الحقيقة حسب المصالح والظروف ويوسوس له بعد التلفظ بكلمة الكفر انه خرج من دائرة الاسلام فله أن يدخل فى الكفر بكل حرية . ولا ريب ان الكفر والارتداد هلاك ودمار لا فلاح بعده ابدا . او المراد من الفلاح الفلاح

---

(١) اذا كان قلب اللافظ بها مطمئنا بالايمان .

(٢) كما فى قصة عمار بن ياسر رضى الله عنه .

الكامل فالتلفظ بالكفر حالة الاكراه وان كان جائزا الا ان العزيمة تركه والأخذ بها هو الفلاح الكامل .

تدل الآية على قساوة هذا الملك الطاغية فان الرجم أو الاجبار على ترك العقيدة الطاهرة مثل سبيء للاستبداد . كما تدل على صلابة أهل الكهف في العقيدة واستعظامهم الخطورة حين التجرد منها ولن تفلحوا اذا ابدا .

وهذا هو واجب المسلم ان يكون متمسكا بدينه وعقيدته باذلا في سبيلها كل ما عنده متيقنا بأن الفلاح في الدارين موقوف على الاعتصام بهما .

لقد صرح القرآن بأهم المبادئ للقصة التي يتعلق بها التذكير والموعظة . ولم يذكر نسبهم ولا كيفية اجتماعهم ولا ما دار بين مندوبهم واهل المدينة من النقاش ، ولا مجيء اهل المدينة معه الى الكهف ، لعدم علاقة التذكير بهذه الأمور . وقد ذكرها المفسرون (١) والأنسب ان أنقلها ملخصا اتماما

---

(١) مثل القرطبي وابي حيان والحافظ بن كثير .

للفائدة ، وهى انهم كانوا أبناء الملوك والأشراف (١) قد جمعهم الله تعالى بقدرته الباهرة حينما خرجوا مع أقاربهم للتنزه فى بعض الاعياد ولما شاهدوا قومهم عابدين للاصنام حكاما ومحكومين استنكروا صنيعهم اذ آمن كل واحد منهم حسب فطرته السليمة فتنحى كل واحد منهم عن قومه ،فكان أول من تجنب قومه أحدهم . فاستظل بشجرة فجاء الأخر وجلس عنده وهكذا الثالث والرابع حتى تم عددهم . وكان كل واحد يكتم ايمانه من الأخرين فبعد أن تعرف كل منهم الى جليسه وآنسوا فيما بينهم . ابتدر أحدهم قائلا - نحن تركنا قومنا وما يعبدونه من الأصنام لأمر لا يعلمه الا الله فعلينا ان نتكشفه بكل أمانة ، فان اتحد أمرنا فأهلا وسهلا ونحن اخوة متحابون وان اختلف أمرنا فالمجالس بالأمانة لا تفشيه لغيرنا وبدء بنفسه قائلا .

" اما أنا فاستنكرت عمل قومى - العبادة للأصنام - وطلب الحوائج منها ، وتقديم النذور والقرابين اليها وانى اعبد الله وحده ولا اشرك به شيئا " .

---

(١) فتح البارى ٨/٤٠٧ .

فأيده الثانى بنفس هذا المقال وهكذا الآخرون ففرحوا بهذا التوافق وأجمعوا ان يكتموا أمرهم فكانوا يجتمعون فى محل معين يعبدون الله فيه ، فرآهم بعض المشركين على عبادتهم الخاصة وأخبر الملك بذلك فأمر باحضارهم وسألهم عما بلغه عنهم . فصرحوا بدون اى تردد وتلعثم بعقيدتهم الطاهرة " ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذ شططا " فاشتد غضب الملك وزجرهم عن هذه العقيدة وأمهلهم . ليتفكروا فى أمرهم فلما خرجوا من عنده اجمعو على الاحتفاظ بعقيدتهم الغالية مهما بلغت مؤونتها ودعوا الله متضرعين خاشعين ثم خرجوا ليلا فاستجاب الله دعائهم واوصلهم برعايته الى كهف محفوف بالأمن والسلامة .

ولما طلبهم الملك مرة ثانية ليحكم فيهم حكمه النهائى الحاسم قيل له انهم لم يرجعوا الى بيوتهم بعد ما خرجوا عن الديوان الملكى . فأمر الملك من يهمه الأمر بالتجسس عن أحوالهم والقبض عليهم فعمى الله خبرهم وأنامهم ثلثمائه وتسع سنين . ثم بعثهم فدار النقاش بينهم فى مدة اللبث ثم بعثوا الى المدينة لشراء الطعام أعلمهم بالطرق وأكدوا عليه أن يتلطف فى أموره فخرج يمشى فى الطريق السرى فرأى معالم الطريق ومناظر خارج المدينة متغيرة فوقف متحيرا يتهم ذاكرته ، متفكرا فى التطورات ثم تابع سيره الى المدينة فلما دخلها رأى وجوها منكرة وطرقا متبدلة ، فدهشه هذا الانقلاب

العظيم فى السكان والمساكن والطرق والمعالم (فى ليلة واحدة حسب ظنه) . وقصد أن يرجع بسرعة الى أصحابه ليطلعهم بهذا الأمر العجيب ، فتقدم الى مطعم يشترى منه الطعام فدفع اليه الثمن فلما رأه من النقود القديمة سأله متعجبا من اين لك هذه الدراهم ؟ . فأجابه هذه دراهمى فاستنكر جوابه وقال قد أصبت كنزا . فقال ما وجدت كنزا ولا التقطت لقطة بل هو ملكى فطال الكلام بينهما ، فاسترد الثمن منه فأنكر صاحب الطعام أن يرده الا ان يشركه فيما اصابه من الكنز . فاجتمع الناس حوله وتعجبوا من كلامه ومن ورقه فانه كان يدعى أنه من أهل هذه المدينة والدراهم من ممتلكاته . فحملوه الى الوالى (١) فقص عليه قصته مع دقيانوس وفرارهم عنه ، فصدقه الوالى لوجود اللوح الرصاصى المخزون فى خزانة الديوان الملكى المسجل فيه اسمه واسماء رفقائه فاستغربوا هذه الواقعة واستحسنوا ان يزوروا أصحابه فى الكهف فلما دنوا اليه قال لهم دعونى اتقدم فى الدخول لأكشف لهم ما حدث بعد ابوائهم الغار من مرور القرون وتداول الملوك وما جرى بينه وبين أهل المدينة . فانهم لو سمعوا قرع نعالكم

---

(١) اسم ذلك الملك الصالح تيدوسيس فتح البارى ٦/٥٠٥ .

فأجاة تيقنوا أن أعدائهم هاجموا عليهم فاستحسنوا رأيه ووقفوا على مسافة من الكهف فتقدم هو ودخل الغار مسلما عليهم فرحبوا به ترحيبا حارا اذ كانوا ينتظرونه طول اليوم متفكرين فى تأخره ، خائفين من قبض العدو عليه . فأخبرهم بكل ما حدث وأخبرهم أن الوالى واقف بقربة من الكهف ومعه ندمائه ورجال المدينة وهم يرغبون ان يزوركم فسألوا الله أن يخفيهم عن أعين الناس فأماتهم الله تعالى وأخفى أمرهم ولما طال أمد الانتظار ولم يرجع الى المنتظرين مندوب اهل الكهف تقدموا ودخلوا الغار فلم يجدوهم ولم يستطيعوا ان يتعاقبوهم فى هذا الغار الطويل ، وقيل بل دخلوا عليهم او خرجوا من الغار الى الوالى وعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم فتوفاهم الله تعالى (١) هذا والله اعلم .

---

(١) الطبرى ١٥/١٣٣ - ١٣٥ - القرطبى ١٠/٣٥٩ - البحر المحيط ٣/٧٤ - ٧٧ .

تفسير ابن كثير ٣/٧٤ - ٧٧ .

وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا - ٢١ -

اى كما بعثناهم بعد الرقود ذات القرون مع سلامة الأبدان كذلك اطلعنا القوم على بعثهم ليتيقنوا بمشاهدتهم اياه " أن الله قادر على احياء الموتى بعد البلى والفناء فان من يقدر على بعث النائمين مثل هؤلاء فهو قادر على بعث الموتى يوم القيامة .

وفيه لطف عظيم على هؤلاء الناس حيث أراهم الله تعالى قدرته العظيمة على البعث الذى يرسل لافهامه الرسل والانبياء .

" وقدرة الله فوق الشك والتهم "

ليعلموا أن وعد الله حق : لانهم كانوا ينكرون البعث وبعضهم يعتقدون بعث الأرواح دون الأجساد فلما شاهدوا بعثهم علموا ان بعث الأجساد مع الأرواح حق (١) .

ما المراد من وعد الله ؟ المراد به البعث او المراد فلاح أهل الكهف فبناءً على الأول ضمير الجمع فى الفعل راجع الى منكرى البعث

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٧ .

وعلى الثانى فالضمير راجع الى اهل الكهف وفى الصورة الثانيـــة اشارة لطيفة الى اظهار اللطف الربانى على اهل الكهف ليعلمـــوا ان ما وعدهم الله تعالى بالفلاح والرشد فهو حق وأنهم هـــم المنصورون .

وليمانيوا أبعاد الرحمة الالهية باعينهم ، كيف وفقهـــم الى اختيار الكهف المناسب وحفظهم من حرارة الشمـــس وصانهم من الانتفاخ والتفسخ .

وليعلم أهل المدينة مكانتهم السامية عند الله تعالى حيـث أنامهم فى عهد الملك الظالم وايقظهم فى عهد الملك المؤمـــن وبناء على هذا التوجيه عطف قوله تعالى " وان الساعة آتية لا ريب فيها " عطف تفسير لا عطف تغيير .

اذ يتنازعون بينهم أمرهـم : ظرف للاعثار وقيل ظرف لاذكـــر المقدر لأن التنازع كان قبل الاعثار . الا أن يقال ان التنازع كان مستمرا من عهد غيابهم الى عهد الاعثار فان أمثال هذه المناقشات تمتد قرونا تنقل من جيل الى جيل وخاصة اذا كانت اللوحـــة (المكتوب فيها اسماءهم وانسابهم) معلقة على باب الغار تذكر كل زائر قصتهم .

مـن هـم المتنازعـــون ؟ هـم أهل المدينـة .

وما هو الأمر المتنازع فيه ؟

تعددت الأقوال فى بيان المراد " بالأمـــر " .

١- المراد به أمر البعث فمن مثبت ومن منكـــر (١) .

٢- المراد به أمر الفتية وما جرى بينهم وبين دقيانوس فقيل انهـــم أناس صالحون ، وقيل لا ندرى أمرهم غير أن الله أراد هدايتنا بهـــم (٢) .

٣- او المراد به أمر الناس بعد ما غاب الفتية فى الكهف مرة ثانيـــة فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا مثل نومهم اول مرة (٣) .

٤- المراد به أمر الناس فى البناء عليهم يسكنه الناس او بنـــاء المسجد والقول الرابع والاخير أليق بالسياق فان قوله تعالـــى " فقالوا ابنوا عليهم بنيانا " مترتب عليه وان كانت الأقوال الأخرى ايضا صحيحة لان الناس كانوا يتنازعون فى البعث بعد الموت نزاعا جوهريا وكذلك كانوا يتنازعون فى ايمان الفتية .

وفى حياتهم ومماتهم وفى أن البعث للارواح فقط او مع الأبـــدان وفى بناء الهيكل او المسجد نزاعات فرعية .

فحسم الله بهمشهم جميع هذه التنازعات وقال البقاعى - "ان

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٧ .

(٢) نظم الدرر ١٢/٤٠ .

(٣) بيضاوى ٢/٤ - وخازن ٣/١٩٣ .

بعثهم بعد هذا النوم الطويل مع حفظ أبدانهم دليل على قدرته تعالى على البعث ولنعم ماقال بعض الحكماء - طمك باليقظة بعد النوم علم البعث بعد الموت والبرزخ واحد غير أن للروح بالجسم في النوم تعلقا لا يكون بالموت وتستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه (١) .

بنيانا : ليكون تذكارا لتضحياتهم الجبارة في سبيل العقيدة وحفظا لكهفهم عن تطرق الناس اليه - وكان هذا دأب أهل زمانهم - وقال ابن عمران الله عمى على الناس أمرهم وحجبهم عنه فذلك دعا الى بناء البنيان ليكون معلما لهم (٢) .

ربهم اعلم بهم : ان كان هذا من كلام المتنازعين فهو من باب تفويض الأمر الى علم الله تعالى (٣) وان كان كلام الله فهو من باب الحسم لمنازعة المتنازعين فيهم (٤) .

---

(١) نظم الدرر ١٢/٤٠ .

(٢) تفسير بحر المحيط ٦/١١٣ .

(٣) حينما اختلفوا في اسمائهم وانسابهم ومدة لبثهم ليسجلوها في اللوحة ويعلقوها على ذلك البيان تذكارا لحادثتهم .

(٤) سواء اريد بهم المتنازعون في عهد بعثهم او في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى . راجع البحر المحيط ٦/١١٢ .

قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا .

اى قال الذين هم أصحاب السلطة والقوة لنبيّ فوق كهفهم مسجدا تذكارا لأعمالهم الطيبة .

استدل البعض (١) بهذه الآية على جواز البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ، ولا ريب أن ما ذهب اليه البعض لو أريد به بناء مسجد منفصل محاط بالجدران ليصلى فيه الناس بحيث لم يكن هناك مسجد والناس في حاجة اليه ففيه توسع .

واذا كان المراد بناء مسجد جنب قبر الولى او الشهيد تعظيما لقبره ونيلا للبركة منه فهو مخالف لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٢) .

وأغرب محمد نعيم الدين المراد آبادى (٣) حيث استنبط من هذه الآية المطالب الثلاثة أن تعمير المساجد عند قبور الصالحين من سنن السابقين استمر عليها المؤمنون اذ ذكره في القرآن الكريم بدون اى نقد دليل على صحته .

وأن البركة تنال من تجاور قبورهم ومن ثم يرحل الناس اليها

---

(١) كالشيخ الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى ٦/٨٧ .

(٢) خ ٢/٩١ كتاب الجنائز باب مايكره من اتخاذ المساجد .

(٣) هو من تلاميذ احمد رضا خان م ١٣٤٠هـ مؤسس الفرقة البريلوية القبورية .

نيلا للبركة والثواب ولأجلها سنت زيارتها .

وأن عمل "العرس" (١) في الصالحين منقول من قديم الزمان (٢) . ولم يدر المسكين المراد آبادى أن مجرد ذكر صنيع هؤلاء في القرآن لا يدل على مشروعيته بل لا بد لمشروعية ما قصه القرآن من اعمال الامم السابقة ان لا ينكره القرآن ولا الحديث لان الشرائع من قبلنا معمولة بها اذا لم ينسخها ناسخ من القرآن والسنة وفي المسئلة المبحوث فيها قد تواتر الانكار من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر (٣) وكما روى عنه عليه السلام " لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (٤) .

وكما قال عليه السلام " ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك (٥) وروى عن عائشة أن ام حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيما تصاوير لرسول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره

---

(١) العرس عبارة عن اقامة مولد كل سنة لتعظيم أهل القبور .
(٢) ترجمة القرآن لمحمد نعيم الدين المراد آبادى ص ٤٧٢ .
(٣) في الصفحة السابقة ١٥١ من حديث لعن الله اليهود والنصارى الى آخره .
(٤) رواه الترمذى : كتاب الصلوة باب ماجاء في كراهية ان يتخذ على القبر مسجدا تحفة الاحوذى حديث رقم ٣١٩ ٢/٢٩٧ .
(٥) رواه مسلم ١/٣٧٨ حديث رقم ٥٣٢ .

عائشة : بنت ابى بكر الصديق زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين ،احفظ ازواج النبى صلى الله عليه وسلم للاحاديث وافقههن ،تفقه بها جماعة من الصحابة والتابعين ماتت ٥٧ او ٥٨ اصابة ٤/٣٥٩ .

ام سلمة : زوج النبى صلى الله عليه وسلم هند بنت ابى امية القرشية المخزومية ماتت .

مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة (١) .

وروى عن أبى مرثد الغنوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها (٢) .

وروى أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال القبر القبر (٣) فكل هذه أدلة قطعية على تحريم المساجد عند القبور لان بناءها عند القبور يفضى الى تعظيمها او يفضى الى التوجه الى القبر فى الصلوة وكلاهما من المحرمات ، وقول عمر بن الخطاب دليل صريح بان الصلوة عند القبر محرمة . فما بالك ببناء المسجد عنده فاذا حرمت الصلوة الواحدة عند القبر فما شان المداومة عليها عند القبور .

---

(١) رواه البخارى باب بناء المساجد على القبر ٢/ ٩٣

ابو مرثد الغنوى هو كناز ابن الحصين ابن يربوع الغنوى من البدريين مات سنة ١٢ هـ .

(٢) رواه مسلم كتاب الجنائز وروى لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها وفى رواية ولا تصلوا اليها .

عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين ،وأشد الصحابة فى فى أمر الله ت ٢٣هـ -

أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المكثرين فى الرواية عنه ت ٩٠او ٩١ او ٩٣ .

(٣) فتح البارى كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٣

القبر القبر اى "بعّد نفسك من القبر والقبر من نفسك " .

فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرى الأمة بمقاصد الأقوال النبوية فعلموا مراد النبى صلى الله عليه وسلم من قوله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد .

ومن ثم نبه عمر رضى الله عنه أنسا رضى الله عنه حينما كان يصلى عند القبر ولم ير أنس القبر ولو رآه لما صلى عنده ولما نهاه عمر ترك الصلاة عنده .

وقالت عائشة رضى الله عنها " فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى ان يتخذ مسجدا (١) .

والعلماء دائما حذروا الناس عن الصلوة عند القبور كما أورد ابن حجر " الهيتمى " جملة من هذه الأحاديث فى بيان الكبيرة ٩٣ - ٩٨ - ثم قال عد هذه الستة من الكبائر .

ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فأشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه التبرك والاعظام .

وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه

---

(١) رواه مسلم كتاب المساجد حديث رقم ٥٢٩ = ١/ ٣٧٦ .
وايضا الاستدلال بأهل الملة السابقة محل نظر فانه لو كان أصحاب الكهف احياء وقت بناء الناس المسجد عليهم فليس ذلك عند القبور وان كانوا أمواتا فهذا فعل السابقين وقد ورد النهى عن ذلك .

تعظيما له وتبركا به ، والطوافيه كذلك (١) .

ولا ريب أن الاحتجاج بما حكاه القرآن من عمل النصارى او اليهود والتعامى عن النصوص الصريحة المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم أمر خطير لا يجترئ به الا من لا يعرف مكانه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الناسخه لجميع الملل والأديان .

من لم يقف عند الكتاب وسنة

فجوابه أن لا تجيب وتسكتا

قال الحافظ ابن كثير " حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين أحدهما أنهم المسلمون منهم ، والثانى اهل الشرك منهم . فالله اعلم - والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون او لا ؟ وفيه نظر لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مسجدا (٢) . يحذر ما فعلوا وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال عليه السلام فى زمانه بالعراق أمر ان يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدها

---

(١) الزواجر ١ / ١٢٥ - وأراد بالستة ١- اتخاذ القبور مساجد ٢- ايقاد السرج عليها ٣- اتخاذها أوثانا . ٤- الطواف بها . ٥- استلامها . ٦- الصلوة اليها .

(٢) فتح البارى كتاب الجنائز حديث ١٣٣٠ = ٣ / ٢٠٠ .

عنده فيها شيء من الملاحم وغيرهـا (١) .

وقال الحافظ ابن كثير " وهذا كان شائعا فيما كان قبلنا فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والحديث (٢) .

وقال [illegible] وتنشأ منها مسائل ممنوعة وجائزة فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز (٣) .

ثم سرد الروايات الدالة على حرمة هذه الاشياء .

وقال المفسر الألوسي " ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من اشرافها وبنائها بالجص والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة اليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في اوقات مخصوصة الى غير ذلك . محتجا بهذه الآية الكريمة وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير ابن كثير ك ٣/٧٨ دانيال عليه السلام نبي من انبياء بني اسرائيل ووجده ابو موسى الأشعري فاخرجه وكفنه وصلى عليه ثم قبره - المعارف لابن قتيبة صـ ٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ٢/١١٦ .

(٣) تفسير قرطبي ١٠/٣٧٩ .

في قبره -ليه السلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض (١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه " نهى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن اتخاذ آثار الانبياء أعيادا وذكر وجه الدلالة أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره اولى بالنهي كأنا من كان (٢) .

واما ما قال المراد آبادي بأن الآية تدل على حصول البركة من القبور ولأجلها سنت زيارتها فهو تفسير بالرأي المذموم لاثبات الغرض الفاسد . فقوله عليه السلام " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الأخرة (٣) . وكذا زيارته لاهل البقيع وشهداء أحد وتسلميه عليهم والدعاء لهم (٤) .

كلاهما يدلان على أن زيارتها لتذكر الموت والاستغفار لأهل القبور لا لنيل البركة منها (٥) . وأشنع من هذا أن المرادآبادي جعل الآية مستدلا لمشروعية " العرس" في الصالحين من قديم الزمان .

---

(١) روح المعاني ١٥/٢١٩ - ٢٢١ رد الآلوسي استدلال الخفاجي بالاية على جواز البناء على القبور .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٢٣ .

(٣) ابو داود كتاب الجنائز حديث ١٠٥ - ١٠٨ - ٣/٥٥٨

(٤) حيث قال " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية " مسلم الجنائز حديث ١٠٤ = ٢/٦٧١ .

(٥) وقد استوعب شيخ الاسلام ابن تيمية جميع جوانب مسئلة زيارة القبور في رسالته القيمة " زيارة القبور الشرعية والشركية" .

أتزعم وجه الله فيما كتبته

أزدت ووجه الله عنك بمعزل .

وكم فاعل فعلا يظن بفعله

ثوابا ومنه الله لم يتقبـــل .

كيف يتعامى العالم ويغمز معانى الآيات القرآنية ويتبـــــع أهواء ترويجا للبدع والخرافات باى عقل ومنطق يستنبط منهـــا "معمول العرس" وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أمته عن هـذه الأمور بقوله " لا تجعلوا قبرى عيدا " (١) .

ولا ريب فى أن العرس" وماشابهه من المحافل عند القبـــور عيد لهؤلاء القبوريين . لأن العيد عبارة عن اعتياد قصـــد المكان المعين فى الوقت المعين العائد بعود السنة او الشهـــر او الأسبوع وهذا هو المحرم . وليس له أصل فى القرون المشهود لها بالخير .

ومن المقرر أن " العرس" المجرد من المنكرات والبدع بدعـة وضلالة فما أعظمه قبحا اذا قارنته منكرات عديدة من ايقاد الشموع

---

(١) ابو داؤد كتاب المناسك حديث ٢٠٤٢ = ٢/٥٣٤ .

على القبور والبناء عليها وتزيينها والبيوتة عندها والتغنى والسماع والرقص واختلاط النساء والرجال ، والطواف حولها وما الى ذلك من المحرمات فالذين يبنون المساجد عند القبور يريدون بها تعظيم اهل القبور ويعتقدون أن الولى الفلانى عند يفرح بذلك ويمده بمدده وكذا الذين يعقدون " العرس " عندها ويوقدون السرج يريدون تعظيمها والتبرك بها ، وهذا التعظيم هو منشاء الوثنية ومنبع البدع والخرافات .

وقال الامام الجليل امام دار الهجرة مالك بن انس " ومن ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول " اليوم اكملت لكم دينكم " فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا (١) .

---

(١) الاعتصام للشاطبى ص ٢٨ .

مالك بن أنس الاصبحى : امام دار الهجرة وفقيه الأمة .

وقال الشافعى اذا ذكر العلماء فمالك النجم ، مات ١٧٩ .

سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ٢٢-

الرجم بالغيب : هو الرمى بقول الظن (١) .

فلا تمار فيهم : اى فلا تجادل فى شانهم ، المراء هو المنازعة فى القول او العمل بقصد الباطل من مارى يمارى مماراة ومراء (٢) .

ثلثة : خبر لمبتدأ محذوف اى هم ثلاثة رجال وهكذا كلمة خمسة وسبعة .

رجما بالغيب : منصوب على المصدرية (٣) او مفعول له (٤) .

منهم : بيان "لأحدا" قدم عليه للاختصاص .

يخبر القرآن عن اختلاف الناس فى عدة أصحاب الكهف (٥) .

من هم القائلون ؟ .

قيل هم اهل الكتاب والمسلمون (٦) .

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٢٦٤ .
(٢) من مريت الشاة اذا حلبتها وفى الجدال يستخرج الرجل من مناظره كلا ما ومعانى الخصومة - لسان العرب ١٥/٢٧٨ .
(٣) اى يرجمون رجما بالغيب .
(٤) اويقولون لأجل الظن .
(٥) تفسير ابن كثير ٣/٧٨ .
(٦) بيضاوى ٢/٥ .

وقيل هم اليهود خاصة من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم الخائضين في قصة أصحاب الكهف (١) .

وقيل هم الذين اختلفوا قبل ظهورهم عليهم فأخبرا الله نبيه لما كان اختلاف في عددهم (٢) .

والقول الأول اظهر وأنسب بسياق الآيات لان الآية تخبر عما سيقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اختلاف الناس في عدد أهل الكهف وقد وقع مثل ما أخبر به القرآن لما قدم وفد نجران وجرى ذكر أهل الكهف (٣) فقال البعض كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال البعض كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (٤) .

واما ما قيل انهم اختلفوا قبل ظهورهم عليهم فهو لا يلايم ظاهر الآيات الدال على الاستقبال ، وكذا بقوله تعالى " قل ربي اعلم بعدتهم " ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا .

---

(١) بحر المحيط ٦/١١٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) مدارك ٣/١٢٠ .

(٤) راجع تفسير قرطبي ١٠/٣٨٢ وبحر المحيط ٦/١١٣ .

وذلك أنهم لما سمعوا الجواب المقنع علموا صدق الكتاب وصدق النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم . الا أنهم لخبث باطنهم اثاروا أمورا تافهة التى لا طائل تحتها تفصيا من الانقياد أمام اعجازه وفرارا من اعترافهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليستروا بها فضيحتهم لخيبتهم فيما كانوا يحاولون من طرح هذه الاسئلة.

فقل لهم ربى أعلم بعدتهم الآية . مايعلمهم الا قليل ، وكان ابن عباس يقول " أنا من القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وذكر أسمائهم مكسلمينا ، تمليخا - مرطونس - سنوفس - سارينونس - دنيموس - كسطونس (١) .

وقيل ان عليا ايضا من القليل لانه بين أسمائهم السبعة (٢) .

ويدل على كونهم سبعة كلمة قائل مرة وكلمة قالوا مرتين ، " قال قائل منهم كم لبثتم فالقائل هو الواحد " قالوا لبثنا يوما او بعض يوم " فكلمة قالوا تدل على الثلاثة لأن اقل الجمع ثلاثة وهكذا " قالوا ربكم اعلم بما لبثتم " تدل على الثلاثة فالمجموع سبعة (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٨ - وقال الحافظ العسقلانى فى النطق بهذه الاسماء اختلاف كثير ولا يقع الوثوق من ضبطها بشىء فتح البارى ٦/٥٠٥ .

(٢) روح المعانى ١٥/٢٢٧ .

(٣) وهذا استدلال ابن عباس مدارك ٣/١١٧ .
وقال القاسمى وبعد كتابتى لما تقدم بمدة وقفت على نبأهم فى "طبقات الشهداء الصيحين" وأن عدتهم سبعة عندهم فسنح لى أن ابن عباس انما جزم بما جزم به مما قوى عنده من اشارة الآية - تفسير قاسمى ١١/٤٠٤٢ .

وقال البقاعى " وتاخير هذا عن الرجم وان كان ظنا مشعر بأنه حق ويؤيده هذه الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو التى حالا عن المعرفة فى نحو الا ولها كتاب معلوم فان فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصاف الموصوف أمر ثابت مستقر فدلت هذه الواو على أن أهل هذا القول قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن (١) .

وقيل هذه الواو تسمى واو الثمانية وذلك أنهم يعدون فيدخلون الواو بين السبعة والثمانية فيقولون واحد ،اثنان ،ثلاثة اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة وثمانية . كما فى قوله تعالى التائبون - العابدون - الحامدون - السائحون - الراكعون الساجدون - الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (٢) وكذا فى قوله تعالى " عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمت ،مؤمنت ،قنتت ،عبدات ، سائحت ،ثيبت وأبكارا (٣)

---

(١) نظم الدرر ١٢/ ٤٢ اى القولان الاولان معقبان بقوله تعالى " رجما بالغيب " بخلاف القول الثالث وكذا أسلوبه مغاير للاولين لدخول واو العطف بين الموصوف والصفة (سبعة وثامنهم) مع عدم الحاجة اليها اشعارا بانه أمر محقق .

(٢) سورة التوبة ١١٢ .

(٣) سورة التحريم ٥ - تفسير قاسمى ١١/ ٤٠٤٢ .

وقال الحافظ ابن كثير " فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد على ان الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا "قل ربي أعلم بعدتهم" فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف ان تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته (١) .

وعد ابن الكلبي أسمائهم واسم الكلب واسم الملك الذي هربوا منه واسم الملك الذي ظهروا في عهده وما الى ذلك (٢) وقال الحافظ ابن كثير " وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله اعلم فان غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب (٣) .

والحق أن قيمة أهل الكهف بأعمالهم الخالدة لا باسمائهم فاعتنى القرآن الكريم بذكر تضحياتهم وصفاتهم اشارة الى الاهتمام بها دون الأسماء .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤ ونسب القاسمي هذه العبارة الى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال في قاعدة له في تفسير القاسمي ١١/ ٤٠٤٢ .

(٢) المحبر ص ٣٥٦ اسم الكلب قطير ، والملك الظالم " دقيانوس " والملك الصالح " تيدبوسوس " واسم الذي أرسلوه الى المدينة يمليخا ، واسم القاضيين الذين رفع اليهما يمليخا مارنوس واسطوس واسم المدينة انسوس واسم الكهف انجلوس .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٨ .

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا : -

اى لا تجادل فى شأنهم وعددهم ولبثهم الا جدالا ظاهرا بدون تعمق لعدم علاقة الموعظة بهذه الأمور .

ولا تستفت فيهم منهم أحدا : -

اى لا تستفسر فى شان اصحاب الكهف من اليهود والنصارى (١) . لعدم علمهم بهذه الأمور وتكلمهم فى الأمور الخفية عنهم بمجرد أوهامهم بدون اى مستند من الدليل لا يجدى شيئا ، والله قص عليك نبأهم بالحق فهو الأمر الفصل وهو المقنع اياهم . .

دلت الآية على أن قصتهم كانت متداولة فى عهد نزول القرآن بين اليهود بطرق متعددة وتفاصيل مختلفة ولم توجد عند أحد المبادئ اليقينية والجوانب الجوهرية لهذه القصة . اذ أهل القصص والأخبار زخرفوها بزوائد مخترعة التى حجبت أجزائها الهامة التى يتعلق بها التذكير والموعظة .

فأتى القرآن الكريم بالحصص الأساسية وجرد القصة من الرقاع التى رقعتها ألسنة الاخباريين وصقلها وجلا عنها صدأ التغيير الذى أصابها بسبب امتداد القرون وانتقالها من لغة الى لغة ومن بلد الى بلد .

فان ذكر القصص القرآنية للاعتبار والاتعاظ فاذا انمحت الخصص

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢/١٣٧ .

الأصلية التى تجل سان القصة وظلبت فيها الزوائد المموهة صارت القصة مثل القشور بدون اللب .

وللبيهود والنصارى ملكة تامة فى تمويه القصص والأخبار حتى لم يعفوا الكتب السماوية التى أنزلها الله تعالى على انبيائهم من شغلهم الشاغل - التحريف - فما ظنك بلعبهم بقصة أهل الكهف .

دلت الآية على تحريم الجدال بدون اى مستند من الدليل لانه يضيع الوقت ويجر المتناقشين الى الطعن والسب وهتك عرض الطرف المغلوب وترغم الجانب الغالب وفى الحديث " من ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها (١) .

---

(١) رواه ابن ماجة - فى مقدمة كتابة حديث رقم ٥١ سنن ابن ماجة ١/ ٢٠ فى وسطها :

اى فى وسط الجنة وتمام الحديث " من ترك الكذب وهو باطل بنى له قصر فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها .

ربض حوالى الجنة وأطرافها .

ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا (٢٣) الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا -٢٤- .

تبين الآية الأدب السامى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته فيما اذا سأل أحد ووعد المجيب بالاجابة غدا او بعد غد فعليه ان يقرن وعده بجملة "ان شاء الله تعالى" وكذا اذا عزم أحد على عمل يعمله فى المستقبل ويخبر به أحدا فيقرن قوله بمشيئة الله جل جلاله .

وقد تقدم فى بيان سبب نزول هذه السورة (١) انه لما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الأسئلة الثلاثة فقال غدا أجيبكم ونسى كلمة "ان شاء الله" فتأخر الوحى خمسة عشر يوما (٢) فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية "ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله" لان قول العبد "انى فاعل ذلك غدا" بدون الاستثناء عمل يخالف شان العبودية اذ هو ينبوء عن استقلاله فى علم القضاء والقدر - واما اذا قرنه بمشيئة الله فهو

---

(١) راجع صفحة

(٢) كما روى عن ابن اسحاق - روح المعانى ١٥/٢٨ = تفسير ابن كثير ٣/٧٩ وكذا فى لباب النقول فى اسباب النزول صـ ١٤٥ وفيه فمضى له اربعون ليلة فأنزل الله

يدل على ايمانه بالقضاء الالهى وهذا هو الأدب الواجب على العباد مع خالقهم المختار القادر الجبار .

وايضا اذا قال الانسان سأفعل كذا وكذا ومات قبل الفعل او بقى حيا ولكن عاقه أمر عن ذلك الفعل صار كاذبا بخلاف صورة المشيئة فانه صادق فى كلامه لان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

لشئ : اى لأجل شئ من الاشياء (صغيرا كان او كبيرا) تعزم على فعله فى المستقبل

ذلك : اشارة الى الشئ .

غدا : اى فيما يستقبل من الزمان مطلقا (١) .

الا ان يشاء الله : والاستثناء من النهى " اى لا تقولن لأجل شئ تعزم عليه " انى فاعله فى المستقبل " الا ملتبسا بمشيئة الله تعالى قائلا " ان شاء الله"

وروى أن سليمان بن داؤد (عليهما السلام) قال لأطوفن الليلة على ستين امرأة (٢) تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل فى سبيل الله فقال له الملك " قل ان شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم تلد منهن الا امرأة واحدة نصف انسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ولم يرد الغد خاصة - روح المعانى - ١٥/٢٢٨ .

(٢) وفى رواية سبعين وكذا تسعين .

والذى نفسى بيده لوقال ان شاء الله لم يحنث وكان مدركا لحاجته (١)

واذكر ربك اذا نسيت : -

اى اذا نسيت فى الوعد او فى الاخبار عن كسب الفعل فى المستقبل كلمة " ان شاء الله " ثم تذكرتها فقل ان شاء الله وقد قالها النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله عز وجل (٢) . وعلينا ان نتبع السنة النبوية فاذا نسيناها ثم تذكرناها علينا أن نقول " ان شاء الله" طالت المدة او قصرت وقيل المراد به ذكر الله عند الغضب (٣) وقيل المراد به الاستغفار (٤) .

والقول الأول أرجح وأليق بالمنطوق وأنسب بسبب نزول الآية لانه يعين المنسى وهو كلمة ان شاء الله (٥) .

ذهب عامة الفقهاء الى انه لو استثنى متصلا يعتبر والا فلا " ومعنى قول ابن عباس أنه يستثنى ولو بعد سنة اى اذا نسى ان يقول فى حلفه وفى كلامه ان شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له ان يقول

---

(١) فتح البارى حديث رقم ٧٤٦٩/١٣/٤٤٦ وتفسير ابن كثير ٣/٧٩-٧٨ (٢) بيضاوى ٢/٥ .

(٣) فمعنى نسيت غضبت قاله عكرمة تفسير ابن كثير ٣/٧٩ .

(٤) اى اذكر ربك بالاستغفار اذ نسيت الاستثناء قال الحافظ ابن كثير وتحتمل الاية وجه آخر وهو ذكر الله تعالى لمن نسى الشئ فى كلامه لان النسيان منشاؤه عن الشيطان وذكر الله يطرده ابن كثير ٣/٧٩ .

(٥) كذا قاله ابو العالية والحسن البصرى تفسير ابن كثير ٣/٧٩ .

ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولوكان بعد الحنث قال ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطـــا للكفارة .

وهذا الذى قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليـــق بحمل كلام ابن عباس عليه والله اعلم (١) .

وروى عنه ايضا أنها خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وليـــس لأحدنا أن يستثنى الا فى صلة يمين (٢) .

وحكى أنه بلغ المنصور أن ابا حنيفة رحمه الله تعالى خالف ابن عباس رضى الله عنـــهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره ينكر عليـــه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضـــى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجهم عليك فاستحسن كلامه وأمـــر الطاعن فيه باخراجه من عنده (٣) .

وقل عسى ان يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا : -

اى قل (فى المسائل التى لا تعلمها وسئلت عنها) عســـى ان يوفقنى الله ربى الى علمها فى أقرب وقت من قصة أهل الكهف فكما

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٩ .

(٢) نفس المرجـــع .

(٣) روح المعانى ١٥/٢٣٠ ، تفسير مظهرى ٦/٢٧ .

أوحى اليه بقصة أهل الكهف المسئول عنها فكذلك يوحى اليه بالأمور الاخرى التى يسأل عنها وقد هداه الله لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه أيامهم والأخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الأعصار المستقبلة الى قيام الساعة (١) .

ولعل فى الآية تلميح لطيف الى حدوث واقعة مثل واقعة أهل الكهف فى المستقبل القريب وايواء النبى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الى غار ثور ، ورد الاعداء الواصلين الى فم الغار خائبين ثم وصولهم الى المدينة المنورة بكل أمن وسلامة ثم فتح مكة ام القرى وفتح الجزيرة العربية وما جاورها من البلاد فى مدة قصيرة ، فهذه الأمور كلها من الشواهد الدالة على صدق القرآن وصدق نبوته صلى اللهُ عليه وسلم .(٢) .

---

(١) بيضاوى ٥/٣ .

(٢) ملخص من تفسير كبير ١١١/٢١ واليه ذهب المفسر القرطبى والطبرى وابو حيان وغيرهم .

ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض ابصر به واسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحد (٢٦) تفصل الآية ما أجمل في قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا .

ثلثمائة سنين قرئ بتنوين مائة (١) وبدونها (٢) تسعا منصوب على انه مفعول لازدادوا (٣) .

ذهب الجمهور الى أنه اخبار من الله تعالى بمدة لبثهم في الغار بأنهم لبثوا احياء نياما في الكهف هذه المدة الطويلة (٤) .

وروى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم بأنه داخل تحت قوله سيقولون ثلاثة اى وسيقولون لبثوا في كهفهم فهو من مقولة القائلين حكاها الله تعالى ، فقال ابن عباس" ان الرجل ليفسر الآية ويرى أنها كذلك فيهوى أبعد ما بين السماء والأرض ثم تلا ولبثوا في كهفهم ،ثم قال كم لبث القوم ؟ قالوا ثلثمائة وتسع سنين قال لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله " قل الله اعلم بما لبثوا " ولكنه حكى مقالة القوم فقال سيقولون ثلثة الى قوله رجما بالغيب فأخبر انهم لا

---

(١) فكلمة سنين بدل او عطف بيان لثلثمائة .

(٢) على انه مضاف الى سنين وعلى هذا كلمة سنين تميز .

(٣) مدارك ١٢٣/٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ٧٩/٣ .

يعلمون ثم قال سيقولون ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا (١) .

وهكذا قال قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود " وقالوا ولبثوا فى كهفهم (٢) .

واختار الحافظ ابن كثير ما ذهب اليه الجمهور بدليل أنه لو كان قول أهل الكتاب لقال تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين من غير ذكر كلمة " وازدادوا تسعا " فان الذى بأيدى أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع لانهم يعتنون الحساب الشمسى (٣) .

فذكر قوله " وازدادوا تسعا " دليل على انه اخبار من الله تعالى بالحساب الهلالى ، والحساب القمرى يتفاوت مع الحساب الشمسى فى كل ثلاث وثلثين وثلث السنة بسنة واحدة فيتفاوت فى ثلثمائة سنين بمقدار تسع سنين - وأما رواية قراءة ابن مسعود فهى قراءة شاذة لا يحتج بها بالنسبة الى قراءة الجمهور ثم رواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة (٤) ، ورجح الشيخ حفظ الرحمن

---

(١) فتح القدير ٣/٢٨٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٧٩ .

(٣) نفس المرجع - ونقل البغوى عن على رضى الله عنه انه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية - معالم التنزيل للبغوى على هامش الخازن ٤/٢٠٩ .

(٤) قاله ابن جرير رحمه الله تعالى - تفسير ابن كثير ٣/٧٩ .

ما ذهب اليه ابن مسعود وابن عباس بدليل أن القرآن يركز على المبادئ الأساسية التى تتعلق بها الموعظة والتذكر ويمنع من المراء فى الأمور التى لا طائل فى البحث عنها من تحديد المكان والزمان والعدد وما الى ذلك .

واما ما قال الحافظ ابن كثير بأن جملة " وازدادوا تسعا " تدل على أنه اخبار من الله تعالى فان المسلمين يعدون بالحساب القمرى فهو محل النظر فان بعض المسيحيين ايضا كانوا يقولون بلبثهم ثلثمائة وتسع سنين . وايضا قال الشيخ حفظ الرحمن أن الحافظ ابن كثير أجاب عن رواية قتادة بأنها منقطعة وكذا قراءة ابن مسعود شاذة ، لكنه ما أجاب عما قاله ابن عباس وعلى ما ذهب اليه ابن عباس وابن مسعود يندفع ما قاله لورد وليم ميور (١) وايدورد جيبون (٢) بان مدة نوم أهل الكهف مئتان سنة وما ذكره القرآن " ثلثمائة وازدادوا تسعا " فهو مجرد خيال مثل الوقائع الخيالية الأخرى فيه لأن القرآن حكى قول اهل الكتاب ولم يخبر من عند نفسه بمدة لبثهم فاذا لم يطابق قول أهل الكتاب الواقع فمسئوليته عليهم لا على القرآن العظيم كما انهم يقولون ان عددهم ثلثة او خمسة مع أن لورد وليم ميور وجيبون

---

(١) لورد وليم ميور ذكره فى كتابه تاريخ كليسافى بابه السادس صـ ٢٤٦ .

(٢) لورد جيبون ذكره فى كتابه

DECLINE AND FALL OF THE ROMAN

فى المجلد الثانى صـ ٢٤٣ - ٢٤١

يقولان بأنهم سبعة .

والراجح ماذهب اليه الجمهور بدليل تغاير الأسلوب بين الآيتين " سيقولون ثلثة الاية " " ولبثوا فى كهفهم " ، وأما قول الله بعد ذكر مدتهم " قل الله أعلم بما لبثوا " فهو للرد على الذين يختلفون فى مدة لبثهم بعد ما أعلمهم الله تعالى بها بأنه تعالى اعلم بها فما بينه فهو حق أحق بأن يعتمد عليه لا ما يقوله الناس من عند أنفسهم .

وأما قول الشيخ حفظ الرحمن بأن الحافظ ابن كثير لم يجب عما قاله ابن عباس فأقول أن المفسر الآلوسى أجاب عنه بقوله " ولعل هذا لا يصح عن الحبر رضى الله عنه فقد صح القول عنه بأن عدة أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلبهم مع أنه تعالى عقب القول بذلك بقوله سبحانه" قل ربى اعلم بعدتهم ولا فرق بينه وبين قوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا" فلم دل هذا على الرد ولم يدل ذلك (١) .

وأما أقوال المستشرقين المتعصبين فلا وزن لها فى ميزان النقد اذ لو كان الأمر كذلك (٢) لروج آبائهم من اليهود والنصارى

---

(١) روح المعانى ١٥/٢٣٣ .

(٢) بان لم يطابق العدد المذكور فى القرآن الواقع .

الموجودون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشبهة فى الوقت الذى ينزل فيه هذه الآيات ولأكرمتهم قريش بجوائز فاخرة اذ كانوا يتتبعون ما يتشهون به ضد الاسلام .

له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولـــــى ولا يشـــرك فى حكمه أبدا .

هذه زبدة قصة اهل الكهف :-

وضعت الآية يدها الراحمة على نبض المريض وعالجت جراثيم المرض. فالمبتلى بالأمراض الشركية لا بد أن يعالج بقلع جراثيم الشرك من قلبه . لأنها تنموا يوما فيوما حتى يعتقد فى الذين يدعوهم (١) فى حوائجه أنهم يعلمون الغيب وانهم هم المتصرفون فى العالم وانهم يسمعـــون دعوة المضطرين وانهم يبصرون أحوال الداعين وأنهم وأنهم .

والطب القرآنى دائما يركز على استيصال المبادى الضارة والجراثيم التى تسبب العدوى من هذه الاعتقادات الفاسدة فى المخلوق ويضـــع المرهم الشافى موضعها . فيقـــول "له غيب السموات والأرض" وحده (٢) وهو المتصرف فى الدنيا والأخرة .

وأما الانبياء والاولياء ،كأصحاب الكهف وأمثالهم فهم عبـــاده الصالحون لا يملكون النفع والضر ولا يعلمون الغيب . ولله غيـــب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبـده وتوكل عليه وماربـــك بغافل عما تعلمون " (٣) .

---

(١) من الأنبياء والأولياء والملائكة والجن وجميع الألهة الباطلة.

(٢) اللام للاختصاص وتقديم الجار والمجرور يقوى ذلك ،اى للـــه تعالى غيب السموات والأرض خاصة لا لاحد غيره استقـــلالا ولا اشتراكا .

(٣) هـــود ١٢٣ .

هذه الآية ختام مسك يختم بها قصة أصحاب الكهف وهي تتضمن المبادئ الهامة الآتية : -

١- الله يعلم غيب السموات والارض وحده ، لا يشركه في ذلك أحد .

٢- لا يحتاج علمه الى الالات والوسائط .

٣- وهو المتصرف في خلقه كيف شاء .

٤- لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله .

٥- لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا مشير .

أما عهد أصحاب الكهف : فذهب معظم المفسرين أن عهدهم بعد عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في زمن دقيانوس الذي كان عهده بين ٢٤٩ م الى ٢٥١ . (١) .

ويقول الحافظ ابن كثير " والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم . وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا الى أحبار اليهود بالمدينة ليطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا اليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح تدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين

---

(١) وكونهم في زمن دقيانوس" مشهور في الروايات المسيحية " النائمون السبع من اهل أفسس"
SEVEN SLEEPERS OF EPHESUS
وهذه القصة موجودة في السريانية والقبطية والعربية وأقدم الروايات فيها رواية يعقوب السروجي م ٥٢١ وهي موجودة في مخطوطات المتحف البريطاني وأهم اجزاء هذه المخطوطة توافق ما ورد في القرآن الكريم .

النصرانية والله اعلم " (١) .

ويؤيد ما ذهب اليه الحافظ ابن كثير ما رواه قتادة أنه غـــزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة الى آخر الرواية (٢) . وذلك أن مدة نومهم ثلثمائة وتسع سنين ويقول ابن عباس حينما مر على كهفهم فـــي بلاد الروم " لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة فمجمـــوع المدتين يزيد على ستمائة سنة ، الا أن يراد من قوله تعالى ولبثوا في كهفهم " ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا " المدة بين موتهـــم وبين نزول القرآن فيرجح كونهم بعد المسيح عيسى ابن مريم .

ولعل عهدهم الاول - عهد الابتلاء والفرار - قبل المسيح عليـــه السلام وعهدهم الثاني عهد البعث بعد النوم ، بعد المسيح عليـــه السلام (١) .

ولما كانت بطولتهم مثالية وتضحياتهم مدهشة فكل من اليهـود والنصارى ينسبونهم الى ملتهم (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٤ .

(٢) مر ذكرها في ص من هذه الرسالة .

(٣) وهو عهد تيدوسيس .

(٤) كما مر في حاشية رقم ٤ ص

هـل أصحاب الكهف أحياء ام امـوات ؟ .

ذهب البعض الى أنهم نيـام احياء مستدلين بروايـات ضعيفة (١) وذهب المحققون الى أنهم أموات بدليل قوله تعالى " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم " أرئيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض احد (٢) .

فلو سلمنا حياتهم الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم علـى سبيل الفرض لأصابهم الموت لا محالة فى الفترة التى بينهـا الرسول صلى الله عليه وسلم وايضا قال ابن عباس "لقد بليـت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنـة (٣) .

من أهـم مايستنتج من قصة اصحاب الكهف

١- تصديق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الأخبار الماضية اذ كان هدف المشركين واليهود افحامه عليه السلام بطـرح هذه الاسئلة فسكوتهم أمام الأجوبة القرآنية دليل على أنهـم

---

(١) مثل رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسـى ابن مريم وسعه أصحاب الكهف ، عمدة القارى ٧/ ٤٦٢ .
ورواية " اصحاب الكهف أعوان المهدى" وامثالها من الروايات الضعيفة . قال الحافظ ابن حجر العسقلانى بالنسبة الى الرواية الاولى سنده واه فتح البارى ٦/ ٥٠٤ وبالنسبة الى الروايـة الثانية سنده ضعيف فتح البارى ٦/ ٥٠٣ .
(٢) فتح البارى . (٣) مر ذكره ص

وجدوها أصح مما عندهم من العلم بها .

٢- تشجيع الدعاة المخلصين وغرس الاخلاص والتفانى فى قلوبهم بذكر تضحيات أهل الكهف .

٣- أن مدار الفوز والفلاح باكمال التعلق بالله .

٤- فضائل المجاهدين فى سبيل العقيدة والمهاجرين فى سبيل الله .

٥- الصبر مفتاح الفرج والاستقامة على الحق تفتح أبواب الفلاح

٦- نفى علم الغيب عن أصحاب الكهف .

٧- العقيدة السليمة أغلى كل شئ حتى من الحياة .

٨- البعث بعد الموت حق .

واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا (٢٧) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (٢٨) .

أمر الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم (١) بتلاوة القرآن المجيد بعد ما بين قصة أصحاب الكهف الدالة على صدقه واعجازه ليتقرب بها الى الله عز وجل غاية التقرب .

من كتاب ربك : بيان لما أوحى اليك فانه يشمل الحديث ايضا (٢) فخصصه بالبيان ولعل في كلمة " ربك " اشارة الى أن الرب الذى ربى محمدا صلى الله عليه وسلم تربية خارقة للعادة ،فهو يربى عباده بهذا الكتاب الذى هو منبع الأصول التربوية ومخزن مبادى التهذيب .

لا مبدل لكلماته : اى ليس أحد يقدر على تبديل كلماته ولا يستطيع أن يغير وعده ووعيده اذ هو كتاب محفوظ من التحريف اللفظى

---

(١) وصيغة الأمر لابقاء الفعل لا لايجاده كما في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ولا ريب أن المواظبة على تلاوته تفتح كنوز عجائبه وتشجع القارئ على معاناة المحن والمتاعب .

(٢) وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى النجم ٣-٤ .

والمعنوى مهما حاول الأعداء فى دفع صوته واعدامه ،وفى الآيـــة رد على المشركين الذين قالوا " ائت بقرآن غير هذا او بدله" (١) .

---

(١) تمام الآية = " واذا تتلى عليهم آياتنا بينت قال الذيـــن لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله ،قل ما يكون لى أن أبدله من تلقائى نفسى ان اتبع ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم - سورة يونس ١٥
كذا فى المدارك ٣/١٢٣ .

قصة اسلام اليهودى

نقل الزرقانى قصة اسلام يهودى عن يحيى ابن اكثم قال دخل يهودى على المامون فأحسن الكلام فدعاه الى الاسلام فأبى ثم بعد سنة جاء مسلما فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فسأله المامون ما سبب اسلامه ؟ .

قال انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى . وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى . وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامى .

قال يحيى فحججت تلك السنة فقلت سفيان ابن عيينة فذكرت له هذا فقال مصداقه فى الكتاب قلت فى اى موضع قال فى قوله فى التوراة والانجيل " بما استحفظوا من كتاب الله (١) فجعل حفظه

---

(١) المائدة ٤٤ .

اليهم وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (١) فحفظته الله تعالى علينا فلم يضع (٢) [illegible]

انظر ايها القارئ الى صدق ما وعد الله " انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون " كيف طأطأ الأعداء رؤوسهم أمام هذا الوعد العظيم ولقد اعترف أعداء الاسلام قديما وحديثا بأن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ من أيدي اللاعبين المحرفين ولم يستطع أحد من عهد نزوله الى يومنا هذا أن يغير حرفا من حروفه او حركة من حركاته فهذا الكاتب " سر وليام موير " يشهد بقوله لقد بلغت بعد التتبع والاستقراء الكاملين الى نتيجة حاسمة ألا وهي " انه لا يوجد كتاب سماوي على بساط الأرض سوى هذا القرآن الذي لم يصل اليه أدنى تحريف طيلة اثني عشر قرنا (٣) .

وقال المستشرق " ليون " حسب القرآن جلالة وجدنا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضا كأن عهده بالوجود أمس (٤) .

وقد شهد التاريخ أن الله خلق الجم الغفير من العلماء الراسخين

---

(١) الحجر [illegible]

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ٥/ ٢٥٢-٢٥٣

(٣) ذكر قوله هذا في مقدمة كتابه LIFE OF MOHAMMED .

[illegible] (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) [illegible]

(٤) كتاب التوحيد لعبد المجيد الزنداني ص ٦١-٦٢ .

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم .

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على المجالسة مع المؤمنين ونهاه عن امتثال أمر الغافلين اشراف قريش .

وعن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم أطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال كنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ان يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه (١) .

وعن خباب بن الأرت فى قوله تعالى " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين (٢) .

---

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة ١٢٧/٧

سعد بن ابى وقاص وهو أحد العشرة المبشرة من السابقين الى الاسلام مات بالمدينة ٥٥ .

ابن مسعود عبد الله ابن مسعود من السابقين الى الاسلام أحد العشرة المبشرة ت ٣٢هـ .

بلال بن رباح الحبشى صحابى جليل قاسى فى سبيل الايمان بالله انواع المحن ، مؤذن الاسلام ت ٢٠هـ .

(٢) سورة الانعام ٥٢ .

ولا تعد عيناك عينهم تريد زينة الحيوة الدنيا - (قال مجالسة الاشراف) ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا (قال عيينة والأقرع) واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال هلاكا) ثم ضرب لهم مثلا رجلين كمثل الحيوة الدنيا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركنا والا صبر أبدا حتى نقوم (١) .

وهذه الآية أكد من آية " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية (٢) . لأن فيها النهى عن طردهم وفى آية واصبر أمر بالجلوس معهم ومن المعلوم أن ترك الأمر أعظم ذنبا من ارتكاب المنهى عنه والآية تأمر بالمبدأ السامى مبدأ المساواة والعدالة .

والاسلام ركز هذا الأدب السماوى فى جو محاط بالجاهلية الجهلاء ليرد به نخوة المنتفخين بالكبر والخيلاء من زعماء قريش الذين استنكفوا عن مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بلال بن رباح الحبشى وعمار وصهيب وأمثالهم .

---

(١) المطالب العالية للعسقلانى ٣٣٢/٣ .

(٢) سورة الأنعام ٥٢ ٥٣ .

فان الدعوة الاسلامية تدعوا الناس كافة بدون تخصيص أسـرة دون أسرة وامتياز أفراد دون أفراد . ولا نجد في جميع الملـل والنحـل مثل هذا التواضع الكامل الذى غرسه الاسلام في عـروق المجتمع وبهذا الشرف السامى امتاز دين الاسلام عن الأديـان الأخرى حيث ينظر الى الاغنياء والفقراء بنظر واحد (١) .

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم : اى احبس نفسك مع اصحابك الذين يعبدون الله بكرة وأصيلا . فانهم وان كانوا ضعفاء القوم وفقرائهم الا انهم اقوياء واغنياء باعتبار الايمان والعقيدة . واما المشركون فكثرتهم مع ثروتهم لا تساوى فتيلا في ميزان الحق اذ مدار الشرف الايمان لا الأموال .

بالغداة والعشى : وفى اختصاص الدعاء بالغداة والعشى اشعار بقدسية هذه الأوقات . فالأدعية ،والأذكار في أول النهار وآخره تنمى القوة الروحية في قلب الذاكر والداعى فان من يسأل من ربه التوفيق والتيسير فى وظائف العبودية صباحا ثم يسأله المغفرة والعفو مساء اعترافا بعجزه .

---

(١) فاليهود يزعمون أنهم الأشراف وانهم ابنـاء الله وأحباؤه والنصارى يفرقون بين الأبيض والأسود والبراهمة الهندوكية يحقرون الطبقات السفلى من الهندوكين ويسمونهم السفلة والانجاس

(٢) كما قال الشوكانى ، انهما كناية عن الاستمرار على الدعـاء في جميع الأوقات فتح القدير ٣/٢٧١ .

وتقصيره فى أداء الواجب يوفقه الله لمزيد من الصالحات ويعفو عنه وقيل المراد بالغداة والعشى سائر الأوقات (١) اذ ذكر المبدأ والغاية يغنى عن ذكر ما بينهما كما يستوفى ذكر الايمان بالله وباليوم الأخر الايمان بجميع المؤمن به اى هم مداومون على الدعاء فى جميع الأوقات . وقيل المراد بهما صلوة الفجر والمغرب او الفجر والعشاء .

يريدون وجهه : اى حال كونهم يبتغون بدعائهم وجه الله تعالى لا شيئا آخر من حظوظ الدنيا .

ولا تعد عيناك عنهم : اى لا تجاوزهم الى غيرهم يعنى تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة (٢) .

تريد زينة الحيوة الدنيا : اى تريد مجالسة الاغنياء حرصا على الدعوة والتبليغ وحبا لزيادة بهاء الاسلام ورونقه بايمان هؤلاء المشركين .

تأمر الآية كل مؤمن فى ضمن أمرها لرسوله بمجالسة الصلحاء الذين يعبدون الله تعالى ليلا ونهارا اذ مجالسة هؤلاء تثمر التقوى وتزيد ايمانا ورشدا .

---

(١) كما قال الشوكانى ،انهما كناية عن الاستمرار على الدعاء فى جميع الأوقات فتح القدير ٣/٢٧١ .

(٢) تفسير ابن كثير نقله عن ابن عباس ٣/٨١ .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتـــدى

وعاشر اولى التقوى تنل من تقادمـــم

ولا تصحب الأردى فترد ى مع الردى

وأصحاب الذوق السليم يعلمون أن حدة اللهجة وشدة الكلمـــات متوجهة الى المتكبرين الأثرياء الذين كانوا يحاولون ابعاد الفقـــراء المؤمنين عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم أثناء مجلستهم علـــى على غرار قولهم " اياك اعنى واسمعى ياجارة " والآية صريحة فـــى مدح أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع مكانتهم وذلك أن كلمـــة يدعون ربهم ، ويريدون وجهه تبين ميزتهم الطيبة بأنهم فى مناجاة مستمرة مع ربهم رشغلهم الشاغل وهدفهم الفريد ابتغاء وجهه اللـــه تعالى صباحا ومساء فهم أهل مجالسة ومصاحبة .

ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا .

الفـرط : بضم الفاء والراء بمعنى مجاوزة الحد اى كان أمره مخالفا للحق ومجاوزا الحد .

اى لا تطع اقوال الغافلين عن ذكر الله تعالى فى طرد الفقـراء المؤمنين عن مجلسك فانهم عبدة الأهواء ، أمورهم مخالفة عن الحق مولعون بالأموال والأولاد ، يرون الشرف فى الأجسام والمحاسـن المحسوسة مع أنه عبارة عن التقوى وطهارة الباطن بالعقيدة السليمـة وروى عن ابن عباس أنهما نزلت فى امية بن خلف الجمحى وذلـك أنه دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى أمر كرهه من تحريـد الفقراء (١) عنه وتقريب صناديد اهل مكة فأنزل الله تعالـى "ولا تطع من أغفلنا قلبه" يعنى من ختمنا على قلبه عن التوحيد "واتبع هـواه" يعنى الشرك (٢) .

وفى الآية نهى بليغ عن الاستخفاف بفقراء المؤمنين لرثاثـة حالهم وعن مجالسة الأغنياء الغافلين عن ذكر الله تعالى فان مصاحبة الغافلين تورث الغفلة والقساوة .

---

(١) تحـريد الفقراء اى تنحيتهم .

(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٢٠٢ .

بنى اجتنب كل ذى بدعة

ولا تصحبن من بها يوصف .

فيسرق طبعك من طبعه

وأنت بذلك لا تعرف .

والمراد بالذكر القرآن الكريم ،ودين الاسلام ، والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار فالقلب اللاهى بزخارف الدنيا الغافل عن هذه الأذكار يزيد قساوة وجفاوة يوما فيوما والقلب الذاكر المقبل على القرآن الكريم والأذكار والعبادات يزداد رشدا وهداية .

وقال الامام ابن القيم الجوزية سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول الذكر جنة فى الدنيا من لم يدخلها لا يدخل جنة الأخرة وقال لى مرة مايصنع أعدائى بى . انا جنتى وبستانى فى صدرى ان رحت فهى لا تفارقنى ان حبسى خلوة وقتلى شهادة واخراجى من بلدى سياحة (١) .

وذكر الله تعالى ليلا ونهارا قائما وقاعدا و دليل المحبة والتعلق بالله جل وعلا وقد نزلت آيات كثيرة ووردت ايات كثيرة فى فضله (٢) .

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٤٢ .

(٢) وصنف العلماء فى فضله وآدابه كتبا أحسنها جمعا وترتيبا كتاب الأذكار للنووى وكذا الوابل الصيب من الكلم الطيب " وكذا " الاذكار والادعية للفرقة الناجية لاستاذنا الشيخ ابى بكر الجزائرى .

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (٢٩) .

اعتدنا : هيأنا (١) وأرصدنا (٢) .

السرادق : ما أحاط بالبناء (٣) من السور او من الأحجار والمراد به حائط من نار (٤) او دخان يحيط بالكفار (٥) . وفى الحديث " لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار منها مسيرة أربعين سنة (٦) .

يستغيثوا : يطلبوا المدد بالماء لشدة العطش .

يغاثوا بماء : اى يسقوا بماء جهنم .

---

(١) بيضاوى ٢/٦ .

(٢) ابن كثير ٣/٨١ .

(٣) لسان العرب ١٠/١٥٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٨١ .

(٥) تفسير للظهرى ٦/٣١ - " انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب " .

(٦) رواه احمد عن ابى سعيد الخدرى مرفوعا ٣/٢٩ .

كالمهل : المهل الماء الغليظ مثل دردى الزيت (١) .

وقيل هو كالدم والقيح (٢) .

وقيل هو الشيء الذى انتهى فى الحرارة الى أقصى حدها (٣) .

وقيل كل شيء أذيب (٤) .

وقيل هو ماء جهنم أسود (٥) .

والحق أن ماء جهنم يتصف بجميع هذه الصفات فهو ماء غليظ حار منتن أسود .

يشوى الوجوه : اى ينضجها والانضاج بالنار دون الاحراق .

وساءت مرتفقا : اى منزلا للارتفاق ، وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد للاستراحة .

وكلمة مرتفقا : على سبيل المشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا . اذ لا استراحة فى النار وكذا كلمة يغاثوا بماء اذ لا اغاثة لهم بذلك فالمعنى يعذبوا بماء .

تهدد الآية اولئك الغافلين عبدة الأهواء بأن الحق والباطل قد انكشفا انكشاف النور والظلمة فمن شاء الحق فليؤمن ومن شاء الباطل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٨١ دردى ما يركد فى اسفل كل مائع كالأشربة والأدهان - النهاية لابن الأثير ٢/ ١١٢ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٨١ .

(٥) نفس المرجع .

فليكفر انا هيأنا للظالمين نارا ... ان ...

وذهب الشيخ هبة الله بن سلامة الى نسخ هذه الآية (١) .

والحق انه لا نسخ فيها بدليل انها نزلت ردا على ما قاله امية بن خلف من تحريد الفقراء عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وتقريب صناديد اهل مكة (٢) . بأن الحق ما حققه الله تعالى فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا لا أبالي بايمان من آمن منكم ولا يكفر من كفر منكم فان نفع الايمان ومضرة الكفر انما يعود اليكم (٣) .

وجملة انا اعتدنا للكفرين نارا ، تؤكد أن الآية للتهديد لا للتخيير . وجملة احاط بهم سرادقها تعظم ذلك التهديد وكلمة كالمهل تصور كراهة منظر الماء وكلمة يشوى الوجوه تصور مذاقه المرير وحرارته القاتلة . وفي الحديث ماء كالمهل كعكر الزيت فاذا قرب الى فيه سقطت فروة وجهه فيه (٤) .

وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه اذا قرب منه شوى وجهه ووقعت

---

(١) الناسخ والمنسوخ ص ٦١ لابي القاسم هبة الله بن سلامة .

(٢) مر ذكره في صفحة ٢٢٤ .

(٣) تفسير مظهري ٦/٣١ وقال الحافظ ابن كثير هذا من باب التهديد تفسير ابن كثير ٣/٨١ .

(٤) رواه احمد عن ابي سعيد الخدري ٣/٢٩ وكذا الحاكم وصححه المستدرك ٤/٦٠٤ .

اولئك لهم جنت عدن : جملة مستأنفة لبيان الأجر او خبر ان الاولى وجملة انا لا نضيع جملة معترضة (١) .

من اساور : من ابتدائية (٢) .

من ذهب : من بيانية (٣) .

وفى ضمير الجمع وكلمة التوكيد " انا لا نضيع " اشارة الى عظمة المجازى وعظمة الجزاء بأنه يجازى بالحسنات ما هو خارج عن تصور الانسان ، . وكذلك فى اقامة الظاهر موضع الضمير من أحسن عملا تفخيم شانهم وتصريح بسبب القبولية وهو الاحسان والاخلاص - كما فى الاشارة "أولئك" تنويه بارتفاع شانهم وفى تقديم الخبر اشارة للقصر (٤) .

تبين الآية حسن عاقبة السعداء بعد ما ذكرت سوء مرجع الأشقياء حسب سنتها المستمرة فى المقارنة بين الوعد والوعيد والتبشير والانذار اى الذين آمنوا بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات فنجازيهم أحسن الجزاء ولا نضيع أجرهم وهذا هو الفلاح الأكمل فى الدنيا وفى الآخرة .

---

(١) او خبر بعد خبر او جملة اولئك لهم كلام مستأنف لبيان الأجر المبهم - كشاف ٢/٤٨٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) اى اولئك المنعوتون بهذه النعوت الجليلة لهم جنات عدن .

وفى الآيـة ترغيب فى التسابق الى الأعمال الصالحة . " ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول اللـــه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصـب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالـون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهـم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون "(١) .

والمراد بالأنهار ، انهار الماء العذب ،والخمر واللبـن والعسل " مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفـى (٢) .

ولا تناقض الآية آية الدهر (٣) وآية الحج (٤) وفاطر (٥) لأنهم يلبسون الأساور من هذه الجواهر الثلثة (٦) على سبيـل الجمع او التعاقب .

---

(١) سورة التوبة ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) سورة محمد ١٥ .

(٣) وحلوا أساور من فضة سورة الدهر ٢١ .

(٤) يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا - سورة الحج ٢٣ .

(٥) جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا فاطـر ٢٣ .

(٦) فيحلى كل واحد ثلثة أساور واحد من ذهب والثانى من فضـة والثالث من لؤلؤ .

ويمكن والله اعلم أن يكون السوار الواحد مصوغا من الذهب والفضة مرصعا باللؤلؤ . ومن المعلوم بالبداهة أن التجمل حسب العرف فكم من حلى يتزين به في بلد ويستهجن في بلد آخر فكما أن الساعة مع سلسلتها الجذابة مما يفخر بها الشباب فهكذا الأساور والأقمشة الحريرية مما يتجمل بهما في الجنة .

فلا يرد ان الأساور والحرير لاتليق بمروءة الرجال وشهامتهم وخاصة في الجنة دار المتقين لأن السؤال نشأ من قياس تزين دار على دار أخرى وقياس الغائب على الشاهد فاسد .

وبناء يحلون للمجهول ويلبسون للمعلوم اشارة لمزيد الاكرام . فالانسان يلبس الثياب عادة بنفسه وأما الحلى وأدواة الزينة فغيره يزينه بها كما هو المشاهد في العرائس .

فان كانت التحلية من الملائكة فالإكرام من الله وان كان من الله فالاكرام أظهر . وقال الفخر الرازي " يحتمل أن يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم وأن يكون الحلى اشارة الى ما تفضل الله عليهم ابتداء من زوايد الكرم (١) .

---

(١) تفسير كبير ٢١/ ١٢٢ .

وذكر الثياب المخضرة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر اذ لهم فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الاعين (١) . واللون الأخضر أحسن الألوان طراوة (٢) . وأقرها للعيون اى يلبسون احيانا مارق من ثياب الحرير وأحيانا ما غلظ منها كما هو المعروف .

وقيل ظاهرها من سندس وباطنها من استبرق . وفى كلمة متكئين اشارة الى أن شان أهل الجنة شان الملوك والسلاطين على مساند المجد والعزة (٣) . .

وفى اختصاص هذه النعم بالذكر من بين نعم الجنة اللامتناهية استخفاف بشان الجبابرة الذين كانوا يفتخرون بمثل هذه الزخارف فى الدنيا " ونادى فرعون فى قومه قال يقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهر تجرى من تحتى أفلا تبصرون ، ام أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ،فلو ألقى عليه أسورة من ذهب اوجاء معه الملئكة مقترنين (٤) .

وستنكشف حقيقة الأرائك والأساور والسندس والاستبرق والأنهار وما الى ذلك فى الجنة والادراك البشرى القصورة لا يدرك حقائقها

---

(١) روح المعانى ١٥/ ٢٤٩ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) كشاف ٢/ ٤٨٣ .

(٤) سورة الزخرف ٥٣-٥١ .

تماما اذ هى لا تشابه متاع الدنيا بحال من الاحوال ولا تجتمع الا فى الاسم فقط .

اللهم ارزقنا وجميع المسلمين هذه الكرامة العظيمة بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين .

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين أتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا (٣٣) وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا واعز نفرا (٣٤) ودخل جنته وهو ظا لم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا عنهما منقلبا (٣٦) .

واضرب لهم : اى بين لهم .

مثلا : النظير وهو حكمة العرب فى الجاهلية والاسلام بعبارة موجزة وتشبيه حسن (١) .

جنتين : اى بستانين .

من اعناب : اى كروم .

وحففناهما بنخل : اى جعلنا النخل محيطة بهما من حفه القوم اذا أحاطوا به ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش (٢) وحف به القوم اذا صاروا فى جانبه (٣) .

وجعلنا بينهما زرعا : اى وسطهما زرعا .

---

(١) كشاف ١/ ٧٢ .

(٢) سورة الزمر ٧٥ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٢٣ .

آتت : بمعنى اعطت .

اكلها : جمع أكل (١) .

ولم تظلم: اى لم تنقص (٢) .

وفجرنا : اى اجرينا فى كل جنة نهرا - قرئ بالتشديد والتخفيف.

نهـــرا : بفتح الهاء وسكونهـــا .

الثمر : اى ثمرة الأشجار اوالمال - بفتح الثاء والميم وبضم الثاء واسكان الميم .

وهو يحاوره: اى يراجعه الكلام من حاور يحاور .

واعز نفرا : المراد به الأسرة والغلمان والخدم .

وقيل المراد به الاولاد الذكور (٣) .

النفـــر : بفتحتين من الثلاثة الى العشرة من الرجال (٣) .

تبيـــد : من باد يبيد اذ انقطع وهلك .

مثـــلا : منصوب على المفعولية .

رجليـــن : بدل هو ومابعده تفسير للمثل (٥) .

وهو يحاوره: حال من الفاعل .

---

(١) اذا كان الكاف مضموما واذا كان ساكنا أكل فهو مفرد .

(٢) فتح البارى تفسير سورة الكهف ٨/٤٠٦ .

(٣) لانهم ينفرون معه - بيضاوى ٢/٦ وهو الأنسب بمقابلة قول المؤمن " ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا .

(٤) وما زاد فهو رهط وشرذمة ، فقه اللغة للثعالبى ص ٢١٦ .

(٥) جلاليـــن ٢/٤ .

توضح الآيات بمثل الرجلين غناء الدنيا التى هى سبب نخوة المتكبرين الذين طلبوا طرد المسلمين المساكين لأجلها وتبين فى أطواء محاورتهما أبعاد ادراك المؤمن وسبلغ ادراك الكافر .

ليتجلى الفرق الشاسع بين الادراكين فالكافر يعتقد البسطة الدنيوية مدار فلاحه ومعيار صدقه . والمؤمن يعتقد الفوز الأخروى مدار النجاح والصدق . والقرآن دائما يعالج المصابين بالكبر بأمثال هذه الأمثلة الكاشفة عن حقارة الدنيا التى يجهد بسببها الكافرون كى يعلموا منزلتها عند الله تعالى ويرتدعوا عما هم فيه من أجلها وليرضى المؤمنون بحالهم وما هم عليه .

واضرب لهم : اى اذكر لهؤلاء المتكبرين المطالبين بطرد المؤمنين المقلين عن مجلسك اذكر لهم غناء الدنيا فى ضمن قصة الرجلين لينزجر المتكبرون بالمتاع الفانى عن تمردهم ولا يطالبوا مرة اخرى طرد المساكين من مجلسك وليطمئن المؤمنين المكابدون شدائد الفقر المتحملون لأذى المشركون .

وهذه الآيات من باب التذكير بايام الله ليشاهد المغرورون بالأموال مآلهم فى مرءاة أسلافهم الأثرياء المعذبين فى الدنيا لأجل كفرهم وعنادهم .

وهذا المثل اما من باب التمثيل المحض للافهام بدون وقوعه

فى الواقع (١) او هو بيان لأمر قد وقع وهو الأليق بكتاب الله تعالى . قال الحافظ ابن كثير " وكونه مثلا محققا قول الجمهور (٢) .

مثلا رجلين : اى حال رجلين .

جعلنا لأحدهما : وهو الكافر المجعول مثلا للمشركين المتكبرين (٣)

من اعناب : فى الجمع اشارة الى كثرتها او الى أنواعها المتعددة

وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا : فلم يبق فى الجنتين قطعة غير عامرة لا تنبت شيئا ، فتعطى الجنتان وما بينهما مختلف الأقوات والفواكه وكون النخل على حافات الجنتين والعنب فيهما والزرع بينهما يدل على تنسيق دقيق وترتيب أنيق فيهما فان الجنة التى فيها عنب وعلى حافاتها نخل وبينهما زروع فهى من أجود البساتين وأنفعها فان النخل المحيطة بحافاتها بمنزلة السدة تصون العنب والزروع عن السموم ، والقطعات الصغيرة للخضراوات والزروع تجذب الطراوة الزائدة عن المقدار ، ولا ريب أن للجنتين وبينهما نهر وعلى حافتى النهر طريقان عن يمين وعن شمال مظللتان بالأشجار منظر رائع وصورة جذابة (٤) .

---

(١) فهو مثل مضروب للتوضيح وهو لا يقتضى الوجود الخارجى .

(٢) البداية والنهاية ٢/١١٨ = وقيل هما المذكوران فى والصافات فى قوله تعالى قال قائل منهم انى كان لى قرين ٥ - مدارك ٣/١٢٤ .

(٣) نظم الدرر ١٢/٥٨ .

(٤) وأما اذا كانت جنة واحدة والطريق على جانب منهما وكذا النهر فهى أقل روعة من الجنتين .

كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا .

تبين الآية جودة الجنتين وخيراتهما الغزيرة اى تؤتيان الثمار بتمامها لا تنقصان منها شيئا وهذه نعمة جليلة من الله تعالى لان ثمار البساتين الأخرى تؤتى أكلها سنة ثم تنقص فى السنة الأخرى فى أغلب الأحوال .

وفجرنا خلالهما نهرا . كى لا يحتاج الى حفر البئر وجلب المياه من الخارج وهذه نعمة أخرى لان مياه العيون والأنهار تغذى الأشجار والزروع النضارة والطراوة اكثر من مياه الآبار .

والواو لمطلق الجمع فلا يرد أن تفجير النهر مقدم على ايتاء الأكل ،فيجب تقديمه فى الذكر وذلك أن الآية تبين مجموع هذه النعم والنكتة فى تاخيره والله اعلم أنه نعمة مستقله وأن البستانين تؤتى الأكل بدونه ايضا على غرار قوله تعالى " فان لم يصبها وابل فطل (١) .

وكان له ثمر - اى الثمار او الأموال فان الثمر يطلق عليهما (٢) فمن رأى عطفه على السابق حمله على المال لاقتضاء العطف التغاير

---

(١) سورة البقرة ٢٦٥ .

(٢) قال مجاهد ما كان فى القرآن من ثمر بالفم فهو مال وما كان كان من ثمر بالفتح فهو النبات - معانى القرآن للفراء ١٤٤/٢ - فتح البارى ٤٠٦/٨ حديث رقم ٤٧٢٤ ابن كثير ٨٣/٣ .

بين السابق واللاحق وكذا قوله أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا يؤيد حمله على الأموال والنقود وعلى هذا لا تكرار في الكلام .

ومن ذهب الى قراءة ثمر بضم الثاء وسكون الميم جمع ثمرة كخشب وخشبة حمله على معنى الثمار كما قاله ابن كثير (١) . والمراد من هذه الجملة بيان كثرة الأثمار اذ اغلب الجنات لا تخلو من الثمار فذكرها بعد الجنتين لكثرتها او لبيان نضجها فالجملة الاولى تدل على ثمارها وهذه الجملة تدل على نضجها فعلى هذا لا تكرار والله اعلم . ولا شك أن درجة حرارة التكبر ترتفع لأصحاب القلوب الضيقة اوان نضج الثمار او نيل الأرباح .

فقال لصاحبه - المسلم المجهول مثلا لفقراء المؤمنين (٢) .

وهو يحاوره - اى يراجعه الكلام .

أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا - هذا هو سبب بطر الغنى ولأجله حقر أخاه المؤمن وزعم أنه على حق ومسلكه مرضى عند الله تعالى والا لما نال هذه الثروة الفاخرة ولكان حاله حال صاحبه الفقير .

فاحتظاظه بالجنتين والأموال والأولاد دليل سعادته . وظن

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٣ .

(٢) نظم الدرر ١٢/ ٥٨ .

مائها الفوار وكيف تعطل اسبابها الطبيعية . او كيف ينهدم هذا الصرح المشيد او كيف يسلب منه هذا المنصب الرفيع . ولكن حينما يأتى أمر الله ويدر هذه الجنات والقصور والمناصب هباء فيندم ويتحسر لكن لا ينفعه الندم شيئا .

وما أظن الساعة قائمة - جحد فى سكرة تمرده قيام الساعة . وهذا أمر مدهش حينما يجحد الانسان الأمر الواقع عنادا وكفرا .

"ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا " - اى ولئن رجعت الى ربى على سبيل الفرض والتقدير وكما تزعم ايها المؤمن الفقير لأجدن خيرا منها منقلبا . اى لأجدن عنده أحسن مما عندى فى الدنيا لأن الجنة الأخروية كما تدعى ايها المؤمن محل النعم والبساتين وأنت ادرى بما نلت من المتاع فهو لأجل كرامتى وشرف نفسى فلا بد أن أكرم فى الأخرة فوق هذا الاكرام . قاس المسكين دار الأخرة على دار الدنيا ولم يدر أن نعيم الأخرة للمؤمنين لا للمتمردين ، نسب المغرور النعمة الى نفسه ولم ينسبها الى المنعم جل وعلا . وهذا دأب الكفار ينكرون الساعة ويقيسون نعيم الأخرة على نعيم الدنيا .

" ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى (١) .

---

(١) حم السجدة ٥٠ .

والقارىء البصير اذ أنعم النظر فى مقالة صاحب الجنتين

علم أنه ادعى أربع دعاوى .

١- ادعى اولا : أن الثروة مدار الشرف والأسرة معيار الاعتزاز

بقوله " أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا .

٢- ادعى ثانيا : أن النعيم الدنيوى أبدى بقوله " ما أظن ان

تبيد هذه أبدا .

وهذه الدعوى تستلزم انكار التوحيد حيث اعتمد على ماله

ونفسه ولم يعتمد على تدبير الله وتصرفه فى الكون .

٣- وادعى ثالثا : نفى البعث بعد الموت بقوله " وما أظن

الساعة قائمة " .

٤- وادعى رابعا : أنه مكرم فى الدارين بقوله " ولئن رددت الى

ربى لأجدن خيرا منها منقلبا " فتعقبه الرجل

المؤمن بابطال ما ادعاه واحدا فواحدا على

سبيل اللف والنشر الغير المرتب .

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧) لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى أحدا (٣٨) ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا (٤٠) او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (٤١) .

وهو يحاوره - اى يجاوبه .

حسبانا - جمع حسبانة بمعنى الصاعقة (١) وقيل هو مصدر والمراد به التقدير بتخريبها (٢) او عذاب حساب الاعمال السيئة (٣) .

وقال ابن عباس اى عذابا من السماء (٤) وقال الحافظ ابن كثير والظاهر انه مطر عظيم مزعج يقلع زروعها وأشجارها (٥) .

" صعيدا زلقا " اى ارضا ملساء لا تثبت فيها الأقدام (٦) . او رملا هائلا (٧) او كالجرز الذى لا ينبت شيأ (٨) وقيل الزلق

---

(١) تفسير طبرى ١٥/١٦٣ .
(٢) بيضاوى ٢/٧ او بمعنى مقدرا قدره الله تعالى .
(٣) نفس المرجع .
(٤) تفسير ابن كثير ٣/٨٤ .
(٥) نفس المرجع .
(٦) فتح البارى ٨/٤٠٨ حديث رقم ٤٧٢٥ .
(٧) قاله مجاهد - البحر المحيط ٦/١٢٩ .
(٨) قاله ابن عباس تفسير ابن كثير ٣/٨٤ .

الأرض السبخة (١) .

غـــورا - مصدر بمعنى اسم الفاعل اى غائرا فى الارض .

وهو يحاوره - جملة حالية .

لكنا هو الله ربى - اى لكن انا لا أقول بمقالتك بل اعترف للـــه بالوحدانية والربوبية (٢) او لكن أنا أقول هو الله ربى .

والاستدراك من قوله أكفرت بالذى خلقك بمعنى أنت كفرت بخالقـــك لكنى أنا أؤمن بربوبيته ولا اشرك به احدا (٣) .

" ولولا اذ دخلت جنتك " - لولا للتحضيض اى هلا قلت وقت دخولها

" ما شاء الله " - ما شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف اى اى شئ شاء الله كان . او ما موصولة مرفوعة على الابتداء والخبـــــر محذوف اى الذى شاءه الله كائن . او ما موصولة مرفوعة على الخبـــر والمبتدأ محذوف اى الأمر ما شاء الله (٤) .

ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا -

ان كانت الرؤية بصرية " فأقل " منصوب على الحالية " وأنـــا " تاكيد للياء وان كانت قلبية " فأقل " منصـــوب على أنه مفعول

---

(١) البحر المحيط ٦/١٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٨٣ .

(٣) بيضاوى ٢/٧ .

(٤) البحر المحيط ٦/١٢٩

ثان (١) " وأنا " ضمير فصل بين المفعولين للتأكيد لعدم الالتباس بين الخبر والصفة هـــنا .

مالا وولدا - منصوبان على التميـز .

فعسى ربى - هذه الجملة جواب الشرط (٢) .

او يصبح ماؤها غورا - كلمة او لمنع الخلو فلا بأس بجمع الأمرين من نزول الحسبان وغور الماء .

قال له صاحبه - اى قال لصاحب الجنتين أخوه المؤمن - المتوجه الى الأخرة والمعرض عن زخارف الدنيا .

وهو يحاوره - اى والحال أن المؤمن يجاوبه لائما له بقوله .

" أكفرت بالذى خلقك " - اى اكفرت بتوحيد الله سبحانه وقدرته على البعث بعد الموت بقولك " ما اظن الساعة قائمة " . أكفـــرت استفهام انكار وتوبيخ يؤبخه المؤمن على ضلاله وتمرده وكفره بتوحيـد الألوهية والربوبية وكفره آلاء الله تعالى ونعمه . ولا يستلزم مـــن قوله " ولئن رددت الى ربى " كونه مؤمنا بربوبية الله تعالـــى ، لان العرفان لا يستلزم الايمان (٣) فكم من عارف بربه تعالى كافر لجحوده الأخرة واعتماده على نفسه وأمواله واعتقاد أنها مكتسبة بقوته

---

(١) والمفعول الاول هو ياء المتكلم المحذوفة .

(٢) اى ان ترنى قليل المال والاولاد فأنا ارجوا أن يعطينى الله جنة خيرا من جنتك .

(٣) فلا يرد انه كيف سوغ للمؤمن اطلاق الكفر عليه بقوله أكفرت بالذى خلقك .

واستعداده لا نازع لها منه . كما فى قوله تعالى " ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلنبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ (١) فأطلق القرآن عليه الكفر بالله لجحوده الساعة .

واما قوله " ولئن رددت الى ربى " .

او قوله " ولئن رجعت الى ربى " .

فهو لا يدل على اعتقاده لانه على سبيل الفرض والتقدير والاعتقاد هو الاذعان الجازم وايضا أن الايمان ليس بعبارة عن الايمان بوجود الله فحسب بل هو ايمان بوجوده بوحدانيته فى الذات والصفات وفى الطاعات والعبادات واعتقاد انه هو النافع والضار واعتقاد البعث بعد الموت .

خلقك من تراب - اى خلق أصلك - آدم عليه السلام من تراب فهو مادة بعيدة للانسان فان أبا البشر آدم خلق من تراب وايضا أن النطفة تتكون من الدم المتولد من الأغذية المتكونة من التراب .

---

(١) حم السجدة ٥٠ .

وفيه اشارة الى البعث ردا على صاحب الجنتين المنكر لأن من يقدر على الخلق من جوهر التراب الذى لم يشم رائحة الحياة وكذا من نطفة مهينة فهو قادر على بعثه يوم النشور .

ثم من نطفة - اى خلقك من نطفة لأنها المادة القريبة .

ثم سواك رجلا - وهيئك صورة جميلة وقدا رشيقا وجوارح متناسبة لم لم يعطها لمخلوق آخر غير الانسان . بحيث لا يستطيع أحد من الأطباء ولا من المهندسين اولى الخبرة ان يبينوا نقصا صغيرا فى عضو من أعضائه من حيث التقويم . ومنحك العقل والقوة والعلم والحكمة وأوصلك سن الرشد والبلوغ وشرفك بالرجولة وهيأ لك من أمور الحياة من المسكن والملبس والأغذية المتنوعة .

وفى كلمة ثم اشارة الى التنقلات والتطورات الكثيرة من التراب الى الموت من النطفة والعلقة والمضغة ثم اللحم والعظم والجنين والمولود والرضيع والفطيم والغلام ثم الشباب والشيخوخة والكهولة والهرم والموت .

" طريق الحوار في الدعوة "

أنظر ايها القارئ - كيف نصح الرجل المؤمن أخاه الكافر بالأسلوب الرائع والنقد الصارم .

وبخه اولا بكفره المزدوج كفر اعتقاد وكفر نعمة .

ووبخه ثانيا بنخوته بالأموال والأولاد في ضمن .

تذكيره اياه بنعمة الايجاد والابقاء مشيرا اليهما بقوله " خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا " فكيف تلايم النخوة من هو مخلوق من تراب ومن قطرة ماء مهين .

ثم لقنه الايمان بتوحيد الربوبية وبتوحيد الألوهية صراحة في ضمن اعترافه بهما وباثبات البعث دلالة كما يظهر من كلمة " ربي " لأن الرب جل جلاله قادر على البعث ومن لم يقدر عليه فهو عاجز والعاجز ليس برب .

ثم علمه الواعظ المؤمن وظيفة المنعم عليه حينما يلتذ بحطام الدنيا وحظوظ التنعم بأن يستعمل القلب والقالب في التفكر في الآيات الدالة على توحيده تعالى ثم نهاه عن التعطي بشراسته لأجل النعم المتتابعة .

ولا تمش فوق الأرض الا تواضعا

فكم تحتها قوم هم منك أرفع

فان كنت في عز وحرز ورفعة

فكم مات من قومهم منك أمنع

والحق أن الانسان لو وقف جميع حيوته في الأعمال الصالحة شاكرا لنعم الله تعالى عز وجل لما أدى حق نعمة حيوته يوما فضلا عن بقائه في الدنيا ستين او سبعين سنة وتنعمه بالنعم الجسمانية والروحانية اللامتناهية .

لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي احدا : كائنا من كان ثقتي ورجائي في رب العالمين لا في الأموال والجنات .

وفي قوله " ولا اشرك بربي احدا " تعريض لأخيه الكافر بأن كفره كفر شرك وقد صرح به بعد ماأصيب بهلاك الجنتين بقوله " يليتني لم أشرك بربي أحدا .

" ولولا اذا دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله : علمه الرجل المؤمن سنة الدخول في البساتين والمنازل بأن يقول " ماشاء الله لا قوة الا بالله " .

وعلم بتلقينها اياه استعظام نفسه وتعاليه بسبب الأموال والأولاد فانها تعبر عن الاعتماد الوثيق على الخلاق العليم وتقطع الثقة بالاسباب الظاهرية فانها قد تتعطل وتفنى .

ومن اعتمد وتوكل عليه كفاه الله تعالى وفي الحديث ما أنعم الله على

على عبد نعمة في أهل او مال او ولد فيقول ماشاء الله لا قوة الا بالله دفع الله عنه كل آفة حتى تاتيه منيته وقرء هذه الآية (١) .

وفي رواية قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يـــا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش قال قلت نعم فداك ابي وأمي قال ان تقول " لا قوة الا بالله " قال ابو بلخ وأحسب أنه قال فان الله يقول أسلم عبدي واستسلم قال فقلت لعمرو قال ابو بلخ قال عمرو قلت لابي هريرة لا حول ولا قوة الا بالله فقال لا انها في سورة الكهف " ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله (٢) .

وروى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله قال من رأى شيئا يعجبه فقال ماشاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (٣) .

وكان عـــروة اذا رأى من ماله ما يعجبه او دخل حائطا مـــن حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله ويتأول قول الله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله " .

---

(١) البيهقي في شعب الايمان برواية انس رضي الله عنه وكذا الحافظ ابن حجر العسقلاني عنه وفيه " فيرى فيه آفة دون الموت وكـــان يتأول هذه الآية ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله - المطالب العالية ٣/ ٣٥٠ .

(٢) رواه احمد ٢/ ٤٦٩ .

(٣) المطالب العالية للعسقلاني ٣/ ٣٥٠ .

وقال أشهب قال مالك ينبغى لكل من دخل منزله ان يقول " ماشاء الله لا قوة الا بالله " (١) .

وقال أبن وهب قال لى حفص بن ميسرة رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبا ماشاء الله لا قوة الا بالله " (٢) .

وذلك أن هذه الجملة ترسخ فى قلب قائلها عقيدة حصر التصرف فى الله وأنه هو النافع والضار يفعل ما يشاء فلا يجد العجب والتكبر منفذا الى قلبه .

لا قوة الا بالله : اى لا قوة لأحد على أمر من الأمور الا باعانة الله تعالى . وبخ المؤمن بهذه الجملة زميله الكافر القائل " ما اظن ان تبيد هذه أبدا " اعلاما بأن سائر زخارف هاتين الجنتين ومحاصل ثمارها بحول الله وقوته لا دخل فيهما لأحد كائنا من كان .

ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين :-

خيرا من جنتك : اى لعل ربى يعطينى خيرا من جنتك هذه فى الدنيا او فى الأخرة .

---

(١) الأكليل ص ١٤٧ - وكان مالك يقول كلما دخل بيته " ماشاء الله لا قوة الا بالله " .

(٢) التذكار للقرطبى ص ١٨١ .

أنظر أيها القارئ - الى موعظة المؤمن الفقير ودعوته ومنهجه القيم في المناقشة واعتماده الوثيق على وعده تعالى وقناعته الكاملة بما آتاه الله ،وهذا هو دأب المخلصين الزاهدين يقنعون بما قدر الله لهم ويرضون بما هو مقسوم من الرزق ولا شك أن الرضا بالقضا والقناعة بما أعطى " يغنيان العبد عن الدنيا وما فيها .

ولله در القائل :

يا طالب الرزق في الدنيا بقوته
تدور من بلد فيها الى بلد
أتعبت نفسك فيما لست تدركه
وضاع عمرك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والأرض مجتهدا
في شربة الماء غير الرزق لم تجد
أقصر عناك فان الرزق منقسم
يأتي اليك ولو في جبهة الأسد

" الفقر لا يحول دون منصب الدعوة "

أن موعظة المؤمن الفقير ترشدنا الى أن الفقر لا يحول دون منصب الدعوة لان قلبه غني بالثروة المعنوية - ثروة الايمان - التي تتضاءل أمامها الثروات المادية بأسرها ،ثروة تغني صاحبها عما سوى الله تعالى فلا يخاف في سبيل الدعوة لومة لائم ولا بطشة حاكم لاعتقاده

أن الله هو النافع والضار ،كل نعمة منه يهبها لمن يشاء ويسلبهـــا ممن يشاء لا يبالى بأصحاب المناصب الرفيعة وأرباب الأموال الطائلة.

فالرجل المؤمن تيقن بربه قائلا " فعسى ان يؤتين خيرا مـــن جنتك " وحذر صاحبه من نوعى العذاب بسبب كفره - عذاب سماوى يدمر بضاعة حيوته ويهشم حظيرة أفراحه . ويخمد نار أنانيته قائـلا " ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا " اى يرسل على جنتك التى تدعى دوامها عذابا سماويا يستأصلها كأن لم تغن بالامس اوعذاب أرضى ينشف جنتيه المخضرتين ويغور مياه عيونـــــه فيجعل مجرى نهره يبسا لا تبقى فيه نداوة " او يصبح ماؤها غـورا فمن تستطيع له طلبا " .

أوعده الفقير بهذا الوعيد يعلمه أن كفران النعم سبب الحرمان والخسران ،قال تعالى "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـــا بأنفسهم (١) .

"وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا مـــن كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بمـــا

---

(١) ســـورة الرعـــد ١١ .

كانوا يضمنون (١) .

فلن تستطيع له طلبا - اى لن تقدر على طلبه بحيلة من الحيل (٢) فضلا عن وجدانه .

عاب المؤمن على الكافر جنته ولم يعب عليه أولاده لانها سبب تمرده ، ظنها مدار الشرف ومعيار القبول عند الناس وعند الله تعالى .

---

(١) سورة النحل ١١٢ .

(٢) جلالين ٢/٥ .

وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا (٤٢) ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا (٤٣) هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا (٤٤) .

وأحيط بثمره - الاحاطة كناية عن عموم العذاب ماخوذ من أحاط به العدو اذا غلبه وأهلكه (١) .

يقلب كفيه - أسفا وندما فان قلب الكفين كناية عن الحسرة والندم (٢) .

خاوية - اى ساقطة ومنهدمة من خوت الدار خويا خلت من اهلها اصل الخواء الخلاء (٣) .

على عروشها - جمع عريش وهو ما يعمل من الأخشاب لتمتد عليها غصون الأعناب وتسلم عناقيدها من رطوبة الأرض وجفافها يقال عرشت الكرم وعرشته اذا جعلت كهيئة السقف (٤)

فئة - اى جماعة وعشيرة - والجمع فئات وفئون .

منتصرا - اى منتقما او ممتنعا بقوته من عذاب الله .

---

(١) بيضاوى ٢/٧ .

(٢) اذ النادم يضع باطن احدى يديه على ظهر الاخرى ثم يعكس هكذا او يصفق ندامة قال الشاعر كفيون يعض على يديه - تبين غبنه بعد البياع - المفردات ص ٤١١ .

(٣) المفردات مادة الخاء مع الواو . والخلاء يستلزم السقوط والانهدام

(٤) نفس المرجع مادة عرش .

الولاية : بفتح الواو بمعنى الموالاة والنصرة (١) .

وبكسرها بمعنى السلطان والحكم (٢) .

عقبا : بضم العين وسكون القاف بمعنى العاقبة (٣) .

أحيط : بنى للمجهول للاشعار بأن فاعله متقين وهو العذاب (٤) .

ويقول يليتنى : الجملة حال من ضمير يقلب او عطف على يقلب .

ولم تكن له فئة: فئة اسم لم تكن وله خبره (٥)

ينصرونه من دون الله : الجملة صفة لفئة او خبر قرأ البعض هنالك الولاية لله الحق (٦) . والبعض الآخر وماكان منتصرا هنالك : ا (٧) . اى فى المقام الذى حل الحسبان السماوى فيه .

فجملة " الولاية لله الحق " جملة مستقلة على التقدير الثانى - وقيل تقديم وتاخير اى الولاية لله الحق هنالك .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٤ قراءة الجمهور بالفتح .

(٢) نفس المرجع بالكسر قراءة حمزة والكسائى - بيضاوى ٢/ ٧ .

(٣) وقرئ بضمها .

(٤) اى أحاط العذاب بجنته او الفاعل هو الله جل جلاله .

(٥) وقرى بالياء رعاية لجانب المعنى فى اسمها لان لفظ الفئة مذكر باعتبار المعنى ومؤنث باعتبار اللفظ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٤ .

(٧) نفس المرجع .

الحق : صفة لاسم الجلالة او صفة للولاية فعلى الاول مجرور على غرار قوله تعالى ورد وا الى الله مولاهم الحق (١) وعلى الثاني مرفوع اى الولاية ذات الحق ثابتة لله تعالى مثل قوله تعالى ، " الملك يومئذن الحق للرحمن وكان يوما على الكفرين عسيرا (٢) .

خير : بمعنى نفس الصفة لا للتفضيل لعدم المشارك معه تعالى في الاثابة .

يقلب كفيه : وفي صيغة المضارع اشارة الى استمرار حسرته وندمه . ولعل في أصبح اشارة لطيفة الى أن الآفة أصابته ليلا والله اعلم .

فاصبح يقلب كفيه : قدمت الحسرة الفعلية على الحسرة القولية - " ويقول يلتني " - اشعارا لهول المنظر فان الفاجعة المدهشة تسلب قوة الادراك والنطق في أول وهلة فلا يستطيع المصاب التكلم بل يقلب كفيه ويمد لحظات تعود قوة الادراك والنطق فيبدى حسراته باللسان .

ترى بم استحق صاحب الجنتين هذا الوبال العظيم ؟ .

---

(١) سورة يونس ٣٠ .

(٢) الفرقان ٢٦ .

استحق هذا العذاب السماوى بسبب الكفر والبطر وباستخفافه بالمؤمن الفقير فصار يأسف ويتحسر على الأموال التى أنفقها فى اعداد المزرعة واصلاح الجنتين وغرس الاشجار وما الى ذلك من لوازم الزراعة بل أنفس ما صرفه فى تصليح البساتين الحياة الثمينة وخاصة عهد الشباب الذى أنفقه فى تسوية الأراضى وتربية الأشجار وتنميتها حرصا على ادخار أسباب المعاش ينتفع بها حينما يودعه الشباب ويستقبله المشيب .

" أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (١) .

وتخصيص الحسرة بما أنفق فيها لأجل انه أنفق جل ماله فى تسوية أرض زرعها وتصليحها وغرس الأشجار وحفر الجداول وايضا أن الحسرة على الانفاق حسرة مزدوجة ، حسرة على المال الذى انفقه وحسرة على الأرباح التى تحصل له ، وايضا أن الحسرة على المال مغنية عن التحسر على الجنة لأنها وليدته .

---

(١) البقرة ٢٦٦ .

يليتنى لم أشرك بربى أحدا - تحسر على تفريطه فى جنب الداعية المؤمن وتذكر موعظته وتيقن بعد ما اجتاحت الآفة السماوية بضاعة حيوته ، بات يتقلب على أحر من الجمر وتيقن أن ذلك الدمار بسبب شركه . وتمنى أنه لو لم يشرك بالله لما أصيب بهذه البلية ولو أصيب بها وهو مؤمن لنال أجرها فى الأخرة ببركة الايمان بالله تعالى .

والمراد بقوله " لم أشرك بربى أحدا " تحسره على تخبطه فى الغرور والنخوة وندمه على نسبة النعم الى أهليته واستعداده . وهذا هو شأن أهل الدنيا يتأسفون بزوال النعيم الدنيوى ومفادرتهم الدنيا الفانية حينما تستقبلهم مقدمات الموت وتتجلى لهم أماراته .

وأما طلاب الآخرة فلا يحزنون بزوال الأموال والنعم الدنيوية ويفرحون بالرحيل الى الرفيق الأعلى ، . وحكى أن عبد الملك بن مروان نظر عند موته قصارا يضرب بالثوب الصفسلة فقال يليتنى كنت قصارا ولم أتقلد الخلافة فبلغ كلامه أبا حاتم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه (١) .

---

(١) الكشكول لبهاء الدين العاملى ص ٣ .

هل هذا القول منه على سبيل العزم على التوبة من الشرك والندم على ما فرط منه او هو تمن محض وحسرة مجردة من القصد حينما رأى جنته خاوية على عروشها بأنه لو لم يشرك بالله لما شاهد هذا المنظر المفجع المبكى .

والمعنى الثانى أرجح وأنسب بقوله " ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا " ولأن الايمان بالله لا يتحقق فى صورة الحسرة والأسف لانه لأجل زوال النعمة فانه اذا لم يتغلغل فى القلب الاعتقاد الجازم بتوحيد الالوهية والربوبية والأسماء والصفات وبالبعث بعد الموت والاقرار بهما لم يتحقق الايمان ولا يطلق على صاحبه لفظ مؤمن .

وقال النسفى يجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الايمان (١) والله أعلم بأحوال القلوب وسرائرها .

ولم تكن له فئة : وفى تقديم الخبر على الاسم اشارة الى اختصاصه بالذل والعجز وكسر شوكته وأنانيته والمراد بالفئة عشيرته التى كان يفتخر بها بقوله " انا أكثر منك مالا وأعز نفرا " . او المراد بهم أعوانه الذين كان يرجو أن يساعدوه فى مثل هذه الظروف المفجعة .

---

(١) مدارك ٣/١٢٩ .

ينصرونه من دون الله - اى لم يحضر أحد لمعونته من جميع الخلق من دون الله وأما الملك القدوس فهو قادر وحده على نصر جميع الخلق .

وما كان منتصرا - اى لم ينتفع بقومه ولا بنفسه .

تقرر الآية عجز ما سوى الله أمام قدرة الله تعالى وجبروته فالانسان مثلا مهما بلغ قمة السطوة والقوة واستولى على المناصب الرفيعة وقناطير الأموال وكون جيوشا وأعد أسباب القوة فهو عاجز أمام القدرة الالهية لا سلطان له فى عالم الدنيا ولا فى عالم الآخرة فقد أصيب قارون بمثل ما أصيب صاحب الجنتين لكفرانه " فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (١) .

هنالك الولاية لله الحق - اى فى ذلك الموقف الأليم المولاة والسلطان لله وحده جل وعلا .

هو خير ثوابا وخير عقبا - اى الله جل جلاله خير ثوابا لعباده المؤمنين وخير عاقبة لهم وكلمة خير بمعنى نفس الصفة لا للتفضيل

(١) سورة القصص ٨١ .

لعدم المشارك معه تعالى فـي الاثابة . او هو أفضل ثوابا مـن ثواب غيره لوكان يثيـب (١) .

" الأهداف الهامة في مثل الرجلين "

١- أن الايمان بالله تعالى وحده سبب النجاح في الدارين .

٢- قبول ما قسم الله من الرزق من مظاهر الرضا بالقضاء .

٣- الشرك والكفر وحب الدنيا كل واحد منهـا سبب الخسران .

٤- حصر الربوبيـة في الله تعالى .

٥- حصر التصرف في الله تعالى .

٦- انتصار الحق وهزيمة الباطل .

٧- معاداة الصالحين تجلب الذل والهلاك .

---

(١) جلاليـن ٢/٥ .

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٥) المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٦) .

فاختلط به نبات الأرض - الخلط الجمع بين اجزاء الشيئين فصاعدا اى اختلطت النباتات بالماء وتكاثرت حتى خالطا بعضها بعضا (١) .

هشيما - يابسا ،متفتت الأجزاء من الهشم بمعنى كسر الشيء الأجوف واليابس (٢) والفعيل بمعنى المفعول اى مهشوما مكسورا .

تذروه الرياح - تفرقه وتطايره من ذرت الريح وأذرته أطارته .

أملا - اى رجاء وتوقعا .

كماء انزلناه - المراد به تشبيه حال الحيوة الدنيا بمجموع ما ذكر بعد كاف التشبيه لا بالماء وحده فانه تشبيه تمثيلى .

فاختلط به - الباء سببية او للمصاحبة (٣) .

تنتقل الآيات من مثال شخصى جزئى الى مثال آخر عام كلى لتنبه القلوب الواعية بالتدبر والتفكر فى فناء الدنيا وسرعة زوالها .

---

(١) وبقيت ناضرة جاذبة الأنظار أيام شبابها وقوتها .

(٢) لسان العرب ١٣/١١ .

(٣) اى يختلط نبات الارض بالماء بأن يجذب النبات اجزاء الماء كما أن الطعام والشراب يصيران اجزاء بدن الانسان .

ولترسخ الزهد عنها في قلوب ابنائها ، ولئلا يوهم اختصاص فنائها بصاحب الجنتين .

واضرب لهم - اى بين ايها الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المفتخرين بأموالهم المطالبين طرد المؤمنين المقلين من مجلسك بين لهم صفة الحيوة الدنيا بمثال يشبهها تماما في زهرتها الفانية ونضرتها الزائلة مثل النبات الذى ينبت بعد المطر ويلتف بعضه بعضا ويبلغ شبابة وقوته ثم ينتهى الى اليبوسة ثم يصير هشيما تذروه الرياح .

كما انزلناه من السماء - اى انزلناه بعد جفاف الأرض . وفى كلمة "من السماء" اشارة الى قدرته العظيمة على امساك المياه في السماء وانزالها في الأوقات المناسبة .

فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح -

وهكذا حال الحيوة الدنيا وحال المغرمين بها تراهم منغمسين فيها بأنواع الترف ، مفترين بحلاوتها ونضارتها معتقدين خلودها فيفاجئهم الموت فتوارى أمنياتهم تحت التراب .

وهذا المثال من أروع الأمثلة في تحقير الدنيا وتصوير فنائها واستوعب بأسلوبه المعجز جميع جوانب الازدهار والبهجة . ليعلم منه أهل الدنيا سائر شعب الحيوة الانسانية في الدنيا وجهوده

الجبارة فى حصولها :

فكما أن أديم الأرض يخضر بمطر الربيع بشتى أصناف النبـــات بعد التخمير المناسب والصنع الدقيق والتنمية القيمة التى لا يستطيعها أحد سوى الخلاق العليم والقيوم الحكيم . وتتزين الأكام والسهـــول بيواقيت الزهور على البساط الأخضر وتتلون الاشجار بشتى الوان الزهور والفواكه . وتستقبل الأزهار المطرة والأشجار المثمرة أنظار المقبلين وترحب الطيور بالواردين بأناشيدها المترنمة ، ويتحف النسيم شامـات الناس بنفوحات متنوعة من شمامات الورد والنرجس والياسمين وغيرهـــا من الزهور .

وترى كل ذى روح فى حظيرة الأفراح ومراح الأرواح فاذا هبت ريح الخريف وولى أريج الربيع ترى بعد أيام قلائل هذه الجنات الملونـــة والمزارع المتنوعة التى كانت تعد كل بقعة منها أمس بضاعة الحيـــوة ومنبع الهبات . تراها ذرآت الصف المأكول تنسفها هبات الريـاح الخريفية ظهرا لبطن لا يرغب أحد فى صونها وعونها . اذ هـــى لا تنفع فى اى مصرف من مصارف الحيوة الا أن تشعل بها نار .

فهكذا بعينه قوة الشباب ونعومة البدن وجميع الزخارف مـــن الأموال والقصور والمناصب والمصالح حينما تتجلى لأهل الدنيا بزينتها الخلابة تجذب قلوبهم وتسكر عقولهم لكن بعد برهة من الزمان تهـدم المنية عمارة الجسم المشيد فيعجل فى دفنه كى لا ينتفخ ولا يتفسخ .

ألم تر أن المرء طول حياته

معنى بأمر لا يزال يعالجه

يدور كدود القزينسج دائما

ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

أنظر الى البلاغة القرآنية حيث لم تذكر الآية بعد قوله " فاختلط به نبات الأرض " خضرتها ونضارتها وتتطورها في مراحل مختلفة . وتلونها في كل مرحلة بلون منفرد وأدواقها المتفاوتة في حالاتها النامية بل طويت جميع هذه الأطوار والمراحل اشعارا بأن هذه الانقلابات السريعة لا تكاد تحسب أمام الانقلاب العظيم وهو جفاف النبات وهشمه .

كما أن أدوار الشباب وتطوراته لا توزن في ميزان الاعتبار امام انقلاب المشيب الذي يهدم سائر عمارة الزينة انقلاب يشاهده الانسان صباح مساء في بني نوع جلدته وفي نفسه .

" تطبيق أنيق لهذا المثال على الحيوة الانسانية "

وطبق الشاه عبد القادر الدهلوى (١) هذا المثال على الحيوة الانسانية تطبيقا أنيقا . بأن الروح نزل من العالم العلوى مثل الماء واختلط به الهيكل الترابى وخلق الانسان من امتزاجهما ثم ينمو الانسان مثل النبات يوما فيوما ، ويتطور من طبق الى طبق حتى يبلغ ذروة الكمال فى جميع فنونه ويعتمد عليه أهله واخلائه فيفاجئه الموت فينسف جميع خيوط المابه ويمحو كر الليل ومر النهار ذكره كأن لم يخلق على وجه الأرض (٢) .

والقرآن دائما يكرر فناء الدنيا بأمثلة متنوعة لينتهز العاقل فرصة الغنى والصحة والشباب ويعمل فيها لصالح الأخرة .

" انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها - أتها أمرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم

---

(١) الشاه عبد القادر الدهلوى ابن الشاه ولى الله الدهلوى من كبار علماء الهند ترجم القرآن الكريم بلغة " اردو " ترجمة جيدة وكتب الحواشى الموجزه على هامشه باسم " موضح القرآن " وقف حيوته لنشر التراث الاسلامى حارب البدع والأمور الشركية والعادات الهندوسية الرائجة فى المسلمين مات سنة ١٨١٣هـ .

(٢) موضح القرآن .

يتفكرون (١) .

" اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكن حطاما وفي الأخرة عذاب شديد " (٢) .

وكان الله على كل شئ مقتدرا - لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء لانه القادر الذى يفعل ما يشاء من الخلق والاعدام والاعادة.

المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير أملا .

تحث الآية على الزهد في الأموال والأولاد وترغب في الاعمال الصالحة . وتوبخ المشركين المفتخرين بالأموال والاولاد كما افتخر الرجل الكافر بهما " انا اكثر منك مالا وأعز نفرا .

" الأقوال الواردة في تفسير الباقيات الصالحات "

ذكر المفسرون عدة اقوال في تعيين المراد بالباقيات الصالحات قيل المراد بها الصلوات الخمس (٣) .

---

(١) سورة يونس ٢٤ .

(٢) سورة حديد ٢٠ .

(٣) روى ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير واكثر السلف تفسير ابن كثير ٣/ ٨٥ .

قيل المراد بها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (١) .

وقيل كل شيء من طاعة الله وكل ما أريد به وجه الله (٢) .

وقيل كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة (٣) .

وقيل كل عمل دعاك الى الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وخدمته فهو الباقيات الصالحات (٤) .

وهناك أقوال أخرى يرجع مألها الى هذه الأقوال . وزيدتها أن كل حسنة تعد من الباقيات الصالحات لبقاء أثرها وخلود ثمرتها في الدنيا وفي القبر ويوم الحشر (٥) .

خير عند ربك ثوابا وخير أملا - اى خير من الأعمال الفانية وخير من الأموال والأولاد او خير في الواقع مما في خيال الجهلة أنه خير. او اسم التفضيل على غير بابه لمعنى الصفة دون الزيادة على الغير كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا (٦) .

وخير أملا - اى خير رجاء وتوقعا - فان الأموال المنوطة بالباقيات

---

(١) نفس المرجع روى ذلك عن عطاء ابن ابى رباح = وفي فضل هذه الكلمات روايات كثيرة ذكرها الحافظ ابن كثير ٣/ ٨٥-٨٦ - ٨٧ .

(٢) جمع الفوائد ٢/ ٢٣١ روى عن ابن المسيب .

(٣) تفسير القرطبى ١٠/ ٤١٤ روى عن ابن عباس .

(٤) نفس المرجع

(٥) او أن هذه الاقوال في تفسير " الباقيات " على سبيل التمثيل

(٦) تفسير القرطبى ١٠/ ٤١٤ .

الصالحات تقضى يوم الأخرة ويعطى المؤمن من خزائن الكريم فـــوق ما يرجو منه ولا شك أن منازل الجنة ونعيمها الأبدى والتشرف برضوانه تعالى والاعتزاز برويته تعالى كلها نعم ليست ثوقها نعم .

وأما الأعمال الفاسدة الفانية أعمال الدنيا فهى مالا تقضى بهـا الأمال الانسانية فى الدنيا فما ظنك بها فى الأخرة . لأن مألهـا الزوال ، والزائل لا يسد فراغ الحاجات الانسانية " وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (١) .

أهم ما يستنتج من هذا المثل

١- فناء الدنيا وبقاء الأخرة .

٢- تشجيع المؤمنين على الزهد فى زخارف الدنيا الفانية .
والتنافس فى الباقيات الصالحات .

٣- أزمة الأمور بيد الله تعالى وهو القادر وهو الكامل التصرف .

٤- كل عمل لرضا الله تعالى يدوم - وكل عمل لرضاء المخلوق الفانى يفنى .

---

(١) الفرقان ٢٣ .

ويم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٨) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (٤٩)

نسير الجبال - نذهب بها هباء منثورا .

بارزة - ظاهرة بجميع جوانبها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا .

وحشرناهم - جمعناهم الى المحشر .

فلم نغادر منهم أحدا - اى لم نترك منهم أحدا .

مشفقين - اى خائفين من أشفق بمعنى خاف .

مما فيه - اى من العذاب المحتم المسجل فى الكتاب حسب جرائمهم او من اعمالهم السيئة (١) الجالبة لهم عذاب جهنم .

مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة - اى ماشأن هذا الكتاب حال كونه لم يترك العمل الصغير ولا الكبير من أعمالنا الا وقد سجلها .

" ويوم " ظرف لا ذكر المقدر او هو معطوف على قوله عند ربك (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٨٧ .

(٢) بيضاوى ٢/٨ اى الصالحات خير عند ربك وخير يوم نسير الجبال = واملاء ما من به الرحمن ٢/٥٧ .

نسيـر - بالنون (١) والجبال منصوب به وبالتاء المضمومة واليـاء المفتوحة المشددة والجبال مرفوع نائب فاعل .

بارزة - حال من المفعول .

صفـا - حال من نائب الفاعل والتعبير بالمفرد عن الجمع (٢) للاشعار بان الصفوف كلها بين يدى الله تعالى بمنزلـة الصف الواحد فى الظهور واحاطة علمه وقدرته عليـه لا يحجبه شئ عنه .

يلفت القرآن الكريم أنظار القارئين الى الانقلاب العظيم والموقف الهائل بعد ذكر فناء الدنيا وبقاء الباقيات الصالحات .

ويوم نسير الجبال - اى نزيلها عن أماكنها - من وجه الأرض - مـع صلابتها وكثافتها نما حال الأموال والأولاد .

" وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع اللـه الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون (٣) ." وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا (٤) . " يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا (٥) .

---

(١) من باب التفعيل ، وهذه القراءة اولى لمناسبتها لقوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا - بصيغ المعلوم .

(٢) لانه مصدر وهو يطلق على الفرد والجمع .

(٣) سورة النمل ٨٨ .

(٤) سورة الواقعة ٦-٥ .

(٥) سورة الطور ١٠-٩ .

وترى الأرض بارزة - لا يخفى فيها أحدا .

وحشرناهم - فلم نغادر منهم أحدا .

والتعبير عما سيقع يوم الحشر بصيغة الماضى لتحققه وثبوته حتما كأنه واقع (١) . وكذلك قوله تعالى وعرضوا على ربك - وقوله تعالى " ووضع الكتاب " وقوله " ووجدوا ما عملوا حاضرا " . او الواو للحال اى نفعل تسيير الجبال حال حشرنا اياهم ليشاهدوا بأعينهم تلك الأهوال المذهلة الدالة على عظيم قدرته (٢) .

والحق أن تسيير الجبال والبروز عند النفخة الأولى والحشر بعد النفخة الثانية . ووقوع النكرة - أحدا - فى سياق النفى للعموم اى نجمعهم جميعا صغارهم وكبارهم . " قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (٣) .

وعرضوا على ربك صفا -

هل يعرضون فى صف واحد اوفى صفوف متعددة ؟ .

تدل الآية هذه وكذا آية " يوم يقوم الروح والملائكة صفا (٤) أنهم يعرضون فى صف واحد . وأما الآية " وجاء ربك والملك صفا

---

(١) بيضاوى ٢/٨ بتقدير كلمة الله .

(٢) نفس المرجع .

(٣) سورة الواقعة ٥٠ - ٤٩ .

(٤) سورة النبا ٣٨ .

صفا (١) فهى ظاهرة فى أن عرضهم فى صفوف مختلفة (٢) .

ويمكن الجمع بين كون المعروضين فى صفوف وبين كونهم فى صف بأن يجمعهم الله فى صعيد واحد صفوفا هذا صف المرسلين وهذا صف الملائكة وهذا صف الجن وهذا صف الصديقين وهكذا باقى الصفوف ثم يعرضون على ربهم فى سلسلة واحدة بحيث اذا انتهى الصف الاول من العرض تبع اول الصف الثانى آخر الصف الاول وهكذا الثالث والرابع والله اعلم . - قال الزمخشرى شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد احدا (٣) .

وقال مقاتل صفا اى جميعا فعلى هذا لا منافاه بينهما (٤) .

لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة - توبيخ لمنكرى البعث المفتخرين بالأموال والأولاد اى يقال لهم لقد جئتمونا بعد البعث فرادى بدون الأعوان والأولاد والأموال .

" ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة (٥) . او جئتمونا حفاة عراة مجردين عما كنتم تتزينون به فى الدنيا .

---

(١) سورة الفجر ٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٨٧

(٣) كشاف ٢/٤٨٧

(٤) الأشباه والنظائر ص ١٦٦ .

(٥) سورة ص ٤٢ .

كما في الحديث المروى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض (١) .

" بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا " - اى بل ادعيتم فى الدنيا أن القيامة غير واقعة بكم .

ووضع الكتاب - اى صحائف الاعمال المسجل فيها أعمال العبد (٢) والمراد بوضعه وضعه فى الميزان (٣) او وضعه فى أيمان المؤمنين وشمائل الكافرين (٤) .

فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون - عند معاينتهم ما فيه من السيأت (٥) .

يويلتنا - ياحسرتنا ،ينادون الويل أسفا وحسرة لتيقنهم فى هذا الموقف المذهل أن الويل حليفهم والهلاك نديمهم .

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٨/١٥٦ .

حفاة : جمع حاف وهو الذى يمشى بدون نعل من حفى .

عراة : جمع عار وعريان ،الذى لا ثوب عليه من عرى .

غرلا : جمع أغرل الذى لم يختتن .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٨٧ .

(٣) بيضاوى ٢/٨ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) جلالين ٢/٥ .

وقيل يتمنون فنائهم كى لا ينظروا بعد هذا المنظر الفظيع المناظر المؤلمة المخزية الأخرى اى ياهلاكنا احضر لتعدمنا عن صفحة الوجود .

مال هذا الكتاب - يتعجبون من شان الكتاب حيث ضبط الصغير والكبير من الأعمال ﴿ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ (١) .

وأشار الشيخ البقاعى الى نكتته قيمة وهى أن لام الجر رسم وحده ايماء الى أن المجرمين لشدة الأهوال وعظمة الدهشة لا يستطيعون ان يتموا كلمة فيقفون على بعض الكلمة (٢) .

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها - اى لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا الا سجله (٣) . واختلفت الأقوال فى تعريف الكبيرة والصغيرة فقيل الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب . وقيل الكبيرة كل ذنب اوجب عليه الحد فى الدنيا والنار فى الآخرة . وقيل ما اوعد الله عليه النار . وقيل الفرق بينهما باعتبار المرتكب فلا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وهناك تعريفات اخرى يكثر عدد الكبائر بالنسبة الى بعضها ويقل عددها بالنسبة الى بعض اخر

---

(١) سورة القيامة ١٣ .

(٢) نظم الدرر ١٢/ ٨٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٧ .

وذلك أن الشرع لم يحددها ،ليكون العبد على حذر من أصغر الصغائر .

ووجدوا ما عملوا حاضرا - اى وجدوا جميع ما عملوا فى الدنيا حاضرا مكتوبا فى صحائف اعمالهم او وجدوا فى الأخرة جزاء ما عملوا فى الدنيا ان خيرا فخير وان شرا فشر . فتشكل الباقيات الصالحات فى صور النعم الاخروية وتشكل السيأت فى صور العقوبة ويصير الحبشى المؤمن كالرومى بسبب النور الايمانى ويصير الرومى كالحبشى بسبب خبث العقيدة السوداء . فعلى هذا الجزاء هو عين العمل وقد نصت الروايات الكثيرة على ذلك كما ورد فى الحديث تأتى الابل على صاحبها على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتأتى الغنيم على صاحبها على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتأتى البقر على صاحبها على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تنطحه بقرونها (١) .

وفى الحديث ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم " يقول أنا مالك أنا كنزك " ثم تلا " ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتيهم الله من فضله هو خيرا لهم " (٢) .

(١) فتح البارى كتاب الزكاة باب اثم مانع الزكاة حديث رقم ١٤٠٢ - ٣/٢٧

(٢) نفس المرجع الاية ١٨٠ من سورة آل عمران زبيبتان - تثنية" زبيبة " وهما الزبدتان اللتان فى الشدقين يقال تكلم حتى زبد شدقاه اى الزبد منهما وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينه ا (نقطتان يكتنفان فاه - وقيل نابان يخرجان من فيه - فتح البارى ٣/٢٧ .

وعلى هذا لا حاجة الى حمل الكلام على المجاز بجعل المضاف مقدرا في الكلام اى وجدوا جزاء أعمالهم أمامهم (١) .

ولا يظلم ربك أحدا - اى ليس من سنة الله جل جلاله ان يظلم أحدا فلا يعاقب أحدا الا عقابا يلايم عمله ولا ينقص من أجور السعداء شيئا بل يزيدهم فضلا واحسانا ويعفوا ويصفح عن المذنبين .

ولا شك أن احصاء الكتاب أعمال العباد ظاهرة من ظواهر العدل الربانى . فان العبد اذا عاين أعماله مسجلة فى صحيفة أعماله تذكرها واحدا واحدا فلا يلوم الا نفسه . ويا لرحمة الرحمن وفضل الديان حيث يسجل الثواب بمجرد نية الحسنة ويعطى الأجر الجزيل بالعمل القليل (٢) ولا يؤاخذ بما هجس فى القلب من تصور المعاصى ولا يعاقب المجرم الا بمقدار جنايته ويغفر له ان تاب وأناب.

---

(١) وأما اذا أريد بقوله " ووجدوا ما عملوا حاضرا " اى مكتوبا فى صحائفهم او فى جوارحهم فهو ايضا مما لا استحالة فيه فان الآلات الحديثة حققت ما كان يستبعده بعض الأفهام فكما أن آلات التصوير وتسجيل الصوت تنقش الصور والأصوات وتبقى بعد زوال أصلها زمنا طويلا بحيث يمكن اعادة رويتها وسماعها فيها فكذلك الخلاق العليم خلق فى الجسم الانسانى وفى الأجسام العنصرية الأخرى قوة انعكاس الأقوال والاعمال " اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " سورة يس : ٦٥/ ٣٦ .

(٢) حيث تضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، وبسبعمائة ضعف " ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " .

والمراد بالظلم النقص في أجر العامل ، او تعذيب من لم يستحق العذاب . وأما الظلم بمعنى التصرف في ملك الغير دون اذنه فهو غير مراد هنا لان الله تعالى مالك كل شيء ونفى الظلم عنه تعالى بهذا المعنى يوهم وجود ملك لغيره تعالى وهذا محال (١) .

" ونضع الموازين القسط يوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين "(٢) .

خلاصة الآيات

- اثبات البعث بعد الموت .
- شدة أهوال القيامة .
- عرض الخلائق بين يدى الله تعالى .
- وضع الكتاب في الميزان او في الأيدى .
- العدل الربانى .

---

(١) فيستلزمه ايضا محال " وهو ارادة المعنى الثانى للظلم .

(٢) سورة الانبياء ٤٧ .

واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠) .

الملائكة - جمع ملك مخفف مألك مشتق من الألوكة وهى الرسالة (١) . وقيل جمع ملك مشتق من الملك وهو الأخذ بالقوة (٢) .

السجود - فى اللغة التذلل والانقياد (٣) وفى الشرع عبارة عن وضع الجبهة على قصد العبادة (٤) .

ابليس - اسم أعجمى ممنوع من الصرف (٥) او كلمة عربية مشتقة من الابلاس وهو الاياس من الخير والندم والحزن (٦) .

ففسق - اى فخرج عن طاعة الله وأبى أمتثال أمره ، فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت منه (٧) فسق من باب علم ونصر لمعنى فجر (٨) .

---

(١) ثم وقع النقل المكانى بين الهمزة واللام فصار مألك بالنقل ملأك على وزن معقل والملائكة على وزن معائلة .
(٢) فالميم أصلية وعلى هذا وزن ملائكة فعائلة .
(٣) البيضاوى ١/٢٣ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) العلمية والعجمة .
(٦) تفسير الطبرى ١/٥٠٩ .
(٧) معانى القرآن للفراء ٢/١٤٧ .
(٨) لسان العرب ١٠/٣٠٨ .

وذريته - اى اولاده وأتباعه من ذرأ يذرأ بمعنى خلق (١) او من الذر وهو النمل الصغار او من ذرا يذروا اذا فرق والأول أصح لان الاشتقاق والمعنى يشهد ان له (٢) .

أفتتخذونه - الهمزة للانكار والتعجب والفاء للتعقيب (٣) .

وهم لكم عدو - جملة حالية .

تبين الآية عداوة ابليس لبني آدم ولابيهم من قبلهم (٤) بعد ما بينت الآيات فناء الدنيا . لان ما يلهي الانسان عن الآخرة هو حب الدنيا واتباع الشيطان كما أنها تبين ذم التكبر والحسد ردا على المشركين الذين طالبوا بطرد الفقراء المسلمين من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لكبرهم وحسدهم .

كما تذكر بني آدم آلاء الله تعالى حيث من عليهم بخلافة أبيهم آدم عليه السلام في الأرض وتفضيله على الملائكة فالواجب عليهم تجاه هذه النعمة العظيمة ان يشكروا ويهيأوا أنفسهم لهذا المنصب السامي .

---

(١) حذفت الهمزة تخفيفا .

(٢) جلاء الأفهام في الصلوة والسلام على خير الأنام ص ١٤٩ .

(٣) بيضاوي ١٩/٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

ان المسكين اورد نفسه بهذا التفسير فى ورطة المشاكل لانه لو اريد بالملائكة القوى الملكية و بالسجدة تسخيرها لآدم فما معنى عصيان القوة البهمية فهل يمكن اجتماع هاتين القوتين فى آدم فى آن واحد وهكذا اذ أريد باباء الشيطان عصيان القوة البهمية فما معنى اطاعة القوى الملكية وكيف تدخل هذه القوة البهمية - الموجودة فى آدم - فى جهنم والقوة الملكية - فيه - فى الجنة .

وما معنى قوله تعالى فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين " قال انظرنى الى يوم يبعثون وامثالها من الآيات الكثيرة والأحاديث المتعددة ثم قال أن جميع أهل الاديان اعترفوا بوجود الملائكة فأهل اليونان سمو الملائكة " دعمق " واهل فارس فرشته وأهل اوربا اينجل ANGEL والهندوس " ديوتا " " ودوت " وسموا ملك الموت " جمراج " .

وقال المشاهدة اقوى برهان على وجود الجن والملائكة فان كثيرا من الناس وعلى رأسهم الصحابة شاهدوهم فى مختلف المشاهد ولو سجل كل مشاهداتهم لصار مؤلفا مستقلا فالانكار لما ثبت بالتواتر أمر لا يليق بالعقلاء ولم يكتف المسكين برأيه هذا بل ادعى " ان تصور الملائكة والجن من الأوهام والتخيلات والأقوال فيهما من قبيل الأساطير والحق أن المبتلى بالأوهام والمصاب بمرض التاويل يرمى غيره بهذا المرض قياسا على نفسه ،وهل ايمان

الرسول والمؤمنين على الأوهام والتخيلات (١) والمؤمن يتحير حينما يرى اليهود والنصارى والهندوس معترفين بوجود الملائكة والجن ايمانا بكتبهم (٢) ويرى بجانبه أخاه المسلم صاحب العلم يجحد وجودهما متجشما فى تاويل الآيات والأحاديث الوارد فيها ذكرهما

والشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى بين مذهب السلف فى الملائكة (٣) ومذهب الفرقتين من الخلف (٤) ثم ذكر اصنافهم واعمالهم بعد ما قال أنهم خلق غيبى لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذى نقف عنده ولا نزيد عليه ،ثم ذكر مذهب بعض المفسرين بأن الملك هو الروح الخاص الذى نفخه الله فى البذرة التى تحيى بها الحياة النباتية المخصوصة وكذا فى الحيوان والانسان الا ان علماء الطبيعة يسمونه القوة الطبيعية والشرع يسميه ملكا ( )

ثم قال " فاذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة فى الآية الى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء

---

(١) فان الله تعالى يقول آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الآية - البقرة .

(٢) ففى الكتاب المقدس - كتاب الخلق الباب السادس عشر وفى كتاب دانيال فى الباب الثامن "هتف هاتف يا جبرئيل بين لهذا الرجل معنى رؤياه - وفى الانجيل فى الباب التاسع عشر فقال له الملك فى الرويا" انى جبرئيل .

(٣) الملائكة خلق اخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب الايمان بهم .

(٤) فرقة عرفت الملائكة وفرقة أمسكت عن تعريفهم .

من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به - خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف فى جميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير (١) ثم قال واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بابليس وهى القوة التى " لزها الله بهذا العالم لزا " وهى التى تميل بالمستعد للكمال او بالكامل الى النقص .

ثم قال ولو أن نفسا مالت الى قبول هذا التاويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما ابصرت من الحق وقال تلميذه (١) أن غرض الاستاذ من هذا التاويل الذى عبر عنه بالايماء وبالاشارة اقناع سكرى الملائكة بوجودهم (٢) بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروا عليه وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل فرد عليهم كتابة بما نصه بحروفه " ولست احيط علما بما فعلت العادة والتقليد فى أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين فى الدين اذ ينفرون

---

(١) اى الشيخ رشيد رضا - تفسير المنار ١/٢٦٧ .

(٢) اى الذين ينكرون وجود الملائكة .

من هذه المعانى كما ينفر المرضى او المخدجون من جيد الأطعمة التى لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تشبث اولئك المرضى والمخدجين بأضر طعام يفسد الأجساد ويزيد السقام لا اعرف مالذى فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذى يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة أليس الروح فى الأدمى مثلا هذا الذى يظهر لنا فى أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة اوليست القوة هى ما تصدر عنه الأثار فيمن وهبت له فاذا سمى الروح لظهور أثره قوة او سميت القوة لخفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك بالدين او ينقص معتقده شيأ من اليقين الا لا يسمى الايمان ايمانا حتى يكون اذعانا ولا يكون ذلك حتى يتسلم الوجدان وتخشع الأركان لذلك السلطان الذى تعلق به الايمان ولا يكون كذلك حتى يلقى الوهم سلاحه ويبلغ العقل فلاحه وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكنه فهمه ولا يعلم ما تيسر له علمه كلا انما يعرف الحق أهله ولا يضل سبله ولا يعرف أهل اللغة لو أن مسكينا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء وأذر بهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل ثم تطلع عقله الى ان يفهم من نورانية الأجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح او سلك الكهرباء ومعنى قابلية التشكل ،وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب فى أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك الى آخر ما قال .

وقال الشيخ الذهبى بعد ذكر ما قاله الأستاذ محمد عبده والذى ينظر فى هذا التأويل الذى جوزه الشيخ وفى سياق الآية والفاظها وما فيها من محاورة ومقاولة لا يسعه الا أن يرده وان حاول قائله أن يروج له بجعله الأوامر من قبيل الأمر التكوينى لا الأمر التكليفى (١)

والحق مع الشيخ الذهبى لأن النية الحسنة لا تبرر التأويل الذى تأباه النصوص الصريحة من القرآن والسنة وأن التاويل لتقريب حقيقة الملائكة الى أذهان سكرى الملائكة بوجودهم يجعل جميع الملائكة تحت تصرف الانسان بأن عنده قدرة يتصرف بها فى جميع الملائكة كيف شاء مع أن الشرع وارد بعكس هذا ففيهم حفظة وكتبه ومدبرات ومقسمات وما الى ذلك .

ولو سلمنا ما قاله فكيف يتصرف الانسان فى ملك الموت وأعوانه وهذا التاويل ان أفاد جانبا لكنه أضر جانبا آخر وهو أن بقايا الملحدين من الباطنية (٢) يؤيدون مذهب أسلافهم بأمثال هذه التاويلات المنقولة من كبار علماء الدين ومائخ الاسلام . ويفتخ للمصابين بمرض التاويل باب التلاعب بكتاب الله تعالى وسنة رسوله

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٥٦٩ - ٥٧٢ .

(٢) فهؤلاء (الباطنية) مكروا لترويج اهوائهم الباطلة " ان النصوص لها أسرار وبواطن " فكلما احتج مسلم بآية اولوها وفق اهوائهم قائلين ان لها باطنا = راجع " الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد .

صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر من تفاسير الشيعة الروافض ( ) والمعتزلة والخوارج .و" النيشرية " وأمثالهم (١) فالقرامطة تأولت الملائكة على دعاتهم الى بدعتهم وتأولت الشياطين على مخالفيهم (٢) .

وكذلك النيشرية انكرت الملائكة والجن كما يقول الشيخ صديق حسن خان وقد نبغت في هذا الزمان طائفة تفسر القرآن برأيها وتحذف منه الآيات المتواليات تسمى بالنيفرية . وهم الذين انكروا وجود الملائكة والجن والشيطان الى غير ذلك وقد عمت فتنتهم بلاد الهند الاسلامية فرق الله جمعهم وبدد شملهم وأنزل بهم بأسه الذى لا يرده عن القوم المجرمين (٣) .

وقال النسفى النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها اهل الباطن الحاد . وقال التفتازانى فى شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنية (٤) .

والحق أن التنازل من بعض مصطلحات الشرع لافهام الملحدين مما لا تسمح به الشرع - " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى (٥) .

---

(١) النيشرية طائفة من منكرى الحديث فى الهند وباكستان .
(٢) كتاب أصول الدين ص ٣٣٠ .
(٣) فتح البيان ١ / ١٢ .
(٤) نفس المرجع
(٥) سورة البقرة ١٢٠ .

" حقيقة سجود الملائكة لآدم عليه السلام "

المراد بالسجود سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة فانه لله تعالى وحده ولغيره حرام قطعا فى جميع الشرائع ومرتكبه كافر .

وأما سجود التحية فكان جائزا فى الشرائع السابقة اكراما كالمصافحة والمعانقة فحرمه الاسلام (١) كما روى عن معاذ قال قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يارسول الله أحق ان يسجد لك فقال لا ـ لو كنت آمرا ان يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق (٢) .

وروى عن عمر أنه لما نزل بالشام جاء دهقان يستدل على أمير المؤمنين حتى اتاه فلما رأى الدهقان عمر سجد فقال عمر ما هذا

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير فى قوله تعالى "وخروا له سجدا" ٤٩١/٢

(٢) بذل المجهود كتاب النكاح باب فى حق الزوج على المرأة ١٠/ ١٨٢ وتمامه ـ " قال اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت رسول الله أحق ان يسجد له قال فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت انى اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يارسول الله أحق أن نسجد لك قال أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له قال قلت لا ـ قال فلا تفعلوا لو كنت آمرا احدا الحديث = معاذ بن جبل

صحابى انصارى من الخزرج بعثه الرسول قاضيا لاهل اليمن مات بطاعون عمواس ١٨ هـ ـ حيرة بلدة بمسافة ثلاثة أميال من الكوفة ـ مرزبان بكسر الميم وضم الزاى ـ الفارس الشجاع .

السجود فقال هكذا نفعل بالملوك فقال عمر اسجد لربك الذى خلقك (١) وفى رواية أن سلمان لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالاسلام فسجد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسجد لى ياسلمان واسجد للحى الذى لا يموت (٢) .

وهذه منقبة عظيمة من المناقب المختصة بهذه الأمة المحمدية التى خصها الله تعالى بالدين الأكمل ودين الاسلام فحرم عليها كل ما يورث الشبهة وسبب الوقوع فى الحرام كسجدة التحية مع جوازها فى الملل السابقة خشية أن تكون ذريعة للشرك فحرمها الله تعالى على هذه الأمة (٣) .

كما نهى الشرع السيد عن ان يدعو عبده بياعبدى ونهى العبد عن ان يدعو سيده بيارب (٤) .

---

(١) مستدرك ٣/ ٨٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩١ .

(٣) زواجر ١/ ٢٤ - اعلام بقواطع الاسلام للهيتمى ٢/ ٣٤ . رد المختار للزيلعى ٥/ ٣٣٨ .

(٤) ففى صحيح مسلم " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى .وفى رواية لا يقل احدكم اسق ربك - اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربى وليقل سيدى مولاى رواهما ابو هريرة صحيح مسلم - كتاب الألفاظ من الادب وغيرها - باب حكم اطلاق لفظة العبد والامة ٧/ ٤٦ - ٤٧ .

سدا لذرائع الشرك وأما ما يسجد بعض الناس لمشائخهم فيقول القرطبى فى حقه ، " قلت وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة فى سماعهم وعند دخولهم على مشائخهم واستغفارهم فيرى الواحد منهم اذا اخذه الحال بزعمه يسجد للأقدام لجهله سواء أكان للقبلة ام غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم (١) .

وقيل اللام بمعنى الى - اى اسجدوا الى آدم على غرار قول حسان بن ثابت رضى الله عنه = ألىس أول من صلى لقبلتكم = وأعرف الناس بالقرآن والسنن = اى الى قبلتكم (٢) فالسجود كان لله تعالى وحده لا شريك له وكان آدم بمنزلة القبلة كالصلوة خلف مقام ابراهيم .

وقيل اللام للسبب فكان السجود لله شكرا بسبب ما أنعم الله على آدم .أوالمراد به التذلل لآدم والقيام بمصالحه ومصالح اولاده والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به من معاشهم و يتم به كما لهم (٣) ومال اليه الطنطاوى قائلا " سجودهم لآدم كناية عن

---

(١) تفسير قرطبى ١/ ٢٩٤ .

(٢) تفسير بيضاوى ١/ ٢٣ .

(٣) بيضاوى ١/ ٢٣ .

تسخيرهم وانقيادهم للسعي لمنافع آدم وبنيه فيما يكفل معاشهم فأطاعوا لهذا الانقياد وامتنع ابليس (١) وظاهر النصوص يأبى عن هذا التوجيه .

وأما الأمر بالسجود فهو قبل خلق آدم . وأما امتثال الملائكة لهذا الأمر فهو بعد خلقه كما هو الظاهر من قوله تعالى " واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢) .

وهل سجد بعض الملائكة او كلهم ؟ .. قال الجمهور ان كلهم سجدوا بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون (٣) وقيل ان ملائكة الأرض سجدوا فقط لكنه قول يعارضه عموم النص الصريح .

واما مسئلة نبوة آدم عليه السلام (٤) فهي ثابته بالقرآن والسنة واجماع الأمة . أما الكتاب فقوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ، وقوله تعالى يآدم أنبئهم باسمائهم (٥) وقوله تعالى فتلقى آدم من ربه

---

(١) جواهر القرآن للطنطاوي ١ / ٥٢ - ٥٣ .

(٢) ص ٧١ - ٧٢

(٣) الحجر ٣٠

(٤) سمي آدم آدم لانه خلق من أديم الأرض ، طبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٦

(٥) البقرة ٣١ - ٣٣ .

كلمات فتاب عليه (١) وأمثالها من الأيات الدالة على تشريف الله اياه بالكلام ،وبتعليمه تعالى اياه وبتكليفه تعالى أياه بالأمر والنهى فى زمان لم يكن فيه نبى ولا رسول غيره جميع ذلك يدل على انه نبى أوحى الله اليه الوحى . وكذلك قوله تعالى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى (٢) .

وقوله تعالى أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (٣) . وبدليل الأمر بسجود التحية اليه اذ هو نص على أفضليته على الملائكة ومن المقرر أن الانبياء والرسل هم أكرم الخلق وأفضل من الملائكة .

واما السنة فما روى عن ابى ذر قال قلت فاى الانبياء كان اول قال قلت أنبى كان يارسول الله قال نبى مكلم (٤) .

وفى رواية عنه قال قلت يا رسول الله من كان أولهم يعنى الرسل قال آدم قلت يارسول الله أنبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبله (٥) وفى رواية ضعيفة " أن الانبياء

---

(١) البقرة .

(٢) سورة طه ١٢٢ .

(٣) آل عمران ٣٣ .

(٤) رواه احمد ٥/١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) اخرجه عبد بن حميد والأجرى فى الاربعين (در منثور ١/٥١)

مائة الف وأربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم وآخرهم خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

واما الاجماع فما ذكره كتب العقائد . ان أول الانبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم (٢) وأجمع اصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرون الفا اولهم ابونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

ويكفر القائل بقوله لا اعلم أن آدم عليه السلام نبى اولا (٤) .

ومن قال ان آدم عليه السلام نسج الكرباس فقال آخر نحن اذا اولاد الحائك يكفر (٥) وذلك لأنه استخفاف بالنبى (٦) ولو قيل مثل هذا الكلام فى شان الولى من اولياء الله لما ترتب عليه الكفر .

---

(١) الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية نقله عن الأجرى وابى حاتم البستى عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديقة المحمدية ص ٢٠ والعقائد الاسلامية للشيخ سيد سابق

(٣) اصول الدين للامام عبد القاهر البغدادى ص ١٥٧ وقد ورد خبر ضعيف .

(٤) مجمع الأنهر ١/ ٧٠٠ طبعة عثمانية ١٣٢٧ هـ .

(٥) نفس المرجع ١/ ٧٠٠ .

(٦) لان الاستهزاء بالانبياء كفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم .

واما قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده (١) فالمراد به أنه أول نبى أرسل لقوم يعبدون الأصنام فدعاهم الى عبادة الله وحده .

قال ابو السعود بدء بذكر نوح لأنه ابو البشر شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام واول نبى عذب الله امته لرد هـ ـم دعوتـه (٢) .

وكذا المراد (فى حديث الشفاعة) من قول المتشفعين بنوح عليه السلام أنت اول الرسل أرسله الله الى اهل الأرض - اى اول رسول نهى قومه عن الشرك (٣) .

---

(١) النساء - ١٦٣

(٢) كما فى تفسير ابى السعود ص ١/ ٨١٤

(٣) راجع " الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة " للشيخ عبد القادر شيبة الحمد ص ٨ .

فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا .

فسجدوا - الفاء للتعقيب بدون التراخى اى أسرعوا فى الامتثال لمعرفتهم المكانة العلمية لآدم ولانقيادهم التأم أمام الأوامر الالهية " ويفعلون ما يؤمرون (١) الا ابليس اى لم يسجد هو استكبارا وعلوا .

كان من الجن - دلت الآية على أن ابليس لم يكن من الملائكة (٢) وماروى عن ابن عباس انه كان من حى من الملائكة او من أشراف الملائكة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكذا ما روى عن سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا وغيرها من الروايات فيقول فى شأنها المفسر الكبير والمحدث الشهير الحافظ ابن كثير " وغالبها من الاسرائيليات (٣) التى تنقل لينظر فيها والله اعلم بحال كثير منها ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بين أيدينا . وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لانها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد

---

(١) سورة النحل ٥٠ .

(٢) الاكليل ١٤٦ .

(٣) ذهب طائفة من العلماء وفى رأسهم ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وأمثالهم الى ان ابليس من الملائكة ورجحه الطبرى وأنهم لم يقتصروا فى هذه المسئلة على الاسرائيليات بل استدلوا بظاهر الآيات كقوله تعالى فسجدوا الا ابليس فالاستثناء يدل على انه من الملائكة - والله اعلم .

وضع فيها اشياء كثيرة .

وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الائمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه وضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه .

وعرفوا الواضعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب اليه كذب او يحدث عنه بما ليس منه فرضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل (١) .

وقوله تعالى " افتتخذونه وذريته " دليل آخر على أنه ليس من الملائكة لاثبات القرآن الذرية للشيطان ولا ذرية للملائكة (٢) وايضا الجن مخلوق من مارج من نار واما الملائكة فخلقوا من نور (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٨٩ .

(٢) روح المعانى ١٥/٢٧٠ .

(٣) فتح البارى ٦/٣٠٦ .

والآية دليل لأهل السنة والجماعة حيث ذهبوا الى أن الأنبياء أفضل من الملائكة والمعتزلة والفلاسفة عكسوا الأمر (١) .

ففسق عن أمر ربه - اى فخرج عن طاعته وأبى امتثال أمره كما بينه القرآن فى مواضع اخرى " قال مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين (٢) . " قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون (٣) . الفاء فى " ففسق " للسببية (٤) اى بسبب كونه جنيا فسق ولو كان من الملائكة لم يفسق لانهم معصومون البتة (٥) .

واستعمال الفسق فى العصيان والاباء عن الاطاعة من استعملات القرآن وما كان شائعا فى هذا المعنى قبل نزوله (٦) .

وقيل ففسق عن رد أمر ربه (بحذف المضاف) نحو قول العرب أتخم عن الطعام اى عن مأكله أتخم (٧) .

---

(١) اصول الدين ص ٢٩٥ - الطريقة المحمدية ص ٢٠ .
مختصر لوامع الأنوار الالهية ص ٥٣٨ .
(٢) سورة اعراف ١٢ .
(٣) سورة الحجر ٣٢ - ٣٣ .
(٤) تفسير بيضا وى ٨/٢ .
(٥) نفس المرجع .
(٦) روح المعانى ٢٦٩/١٥ .
(٧) معانى القرآن للاخفش المتوسط ٣٩٧/٢ .

" قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين " (١) .

ظن امتثال الأمر الالهى تنقيصا لشانه بسبب قياسه الفاسد بأن النار أفضل من الطين فالمتولد من الأفضل أفضل من المتولد من المفضول ففسق المغرور بالاستكبار ولم يدر أن الخير كل الخير في الاطاعة لا في العصيان .

وذكر الامام ابن قيم الجوزية أفضلية التراب عن النار من وجوه متعددة (٢) بأن منافع الأرض والتراب كثيرة جدا ، ينبت أصناف ما تدعه فيه من أمانة البذور وهو مخزن المعادن والأنهار وجميع الأقوات وأسباب الحيوة ، منبت الأرزاق والألبسة فهو مهد وفراش وبساط وقرار ، ومساجد وكفى البيت العتيق دليلا لشرفه .

وأما النار فقليل نفعها وكثير ضررها ، اذ هى خوانة لا تبقى ولا تذر . ومن ثم لم يذكرها القرآن الا فى مواضع الوعيد والتخويف سوى موضع او موضعين بانها متاع للمسافرين ومذكرة بنار الأخرة ، فهى تتلف جميع ما تعلقت به وتحرقه ولولا الحابس لها لأفسدت الحرث والنسل ، ذات خفة يتلاعب بها الهواء ويميلها حيث مال تفتقر فى وجودها الى محل يحملها وهذا المحل لا بد ان يكون

---

(١) سورة اعراف ١٢

(٢) بدائع الفوائد ٤/١٨٨ - ١٩٩ وبسط هذا البحث وانى اتيت بملخصه اتماما للفائدة وخوفا من الاطناب .

الأرض وهى بمنزلة الخادم لما فى الأرض تطلب عند الحاجة وتطرد عنه الاستغناء وما الى ذلك من المضار .

أفتتخذونه - اى بعد ما تحقق منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته اولياء من دون الله ، فاتخاذكم هذا أمر شنيع ،منكر غاية الانكار .

تخوف الاية بنى آدم من عدوهم القديم عدو أبيهم آدم عليه السلام ، وفى الآية رد على اللذين كان يعبدون الجن ويستعيذون بهم فى أسفارهم " وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (١) . " وجعلوا لله شركاء الجن و خلقهم وخرقوا له بنين وبنت بغير علم سبحنه وتعالى عما يصفون (٢) .

اولياء من دونى - اى تعتقدون الجن متصرفين فتستعينون بهم وتطيعونهم بدل طاعتى .

وهم لكم عدو - اى والحال انهم لكم اعداء فى الدنيا والأخرة فالواجب ان تعادوهم لا أن توالوهم . " وقال الشيطن لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطن الا أن دعوتكم فاستجبتم لى - فلا تلومونى ولوموا انفسكم

---

(١) سورة الجن : ٦ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠١ .

ها أنا بمصرخكم وما انتم بمصرخى - انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم (١) .

أفرد لفظ العدو لكونه اسم جنس او لشبهه بالمصادر كما فى قوله تعالى " فانهم عدو لى الا رب العالمين " (٢) .

وقد دلت الآية على أن لابليس ذرية من صلبه وقد وردت رواية عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون اول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ (٣) .

وقال الشعبى سألنى رجل فقال هل لابليس زوجة ؟ فقلت ان ذلك عرس لم أشهده ثم ذكرت قوله " أفتتخذونه وذريته اولياء " فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم ،وأنكر البعض أولاده وأرادوا بالذرية الأعوان والأتباع من شياطين الانس والجن وقالوا حديث " فيها باض الشيطان وفرخ " . كناية عن استقرار غوايته فيها بالفش والكذب كما يقال " باض فى رأسه الشيطن وفرخ "

---

(١) ابراهيم ٢٢ .

(٢) تفسير قرطبى ١٠/ ٤٢٠ .

(٣) قرطبى ١٠/ ٤٢٠ والحديث رواه الحميدى فى الجمع بين الصحيحين - باض اى القى بيضته - وفرخ اى اتى بالولد والحديث ينهى عن البكور الى الاسواق والهبوط فى الخروج منها فانها شر بقاع الأرض .

اى أضله واغواه وذكر القرطبى أدلة الفريقين (١) . وظاهر الآيـــة والحديث يرجح أن له ذرية من صلبه .

بئس للظالمين بدلا - اى بئس للمشركين ما استبدلوا طاعة ابليس بعبادة ربهم او بئس عوضهم وجزاؤهم (٢) .

---

(١) فمن أراد الاطلاع فليراجعه ،تفسير قرطبى ١٠/ ٤٢٠ -٤٢١ .

ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا (٥١) .

عضدا - بفتح العين وضم الضاد واسكانها بمعنى العضو المعروف وبمعنى العون والنصير (١) .

تقرر الآية كمال استغناء الله تعالى واستحقاقه للعبادة فقط حيث لم يشاركه أحد في الربوبية ولا في الألوهية اى ما أحضرت ابليس ولا ذريته خلق السموات والأرض لاستعين بهم او استشيرهم في تدبير شئونهما اذ لم يكونوا موجودين في ذلك الحين ولا يملكون أدنى تصرف واختيار " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير (٢) .

وفي الآية دليل صريح على أن خلق السموات والأرض مقدم على خلق الجن .

وماكنت متخذ المضلين عضدا - وخص المضلين بالذكر تفظيعا لحالهم وتقريعا لأمثالهم ، اذ ليس له عضد لا من المضلين ولا من الهادين .

---

(١) وام يجمع لانه يطلق على المفرد والجمع ولرعاية الفواصل .

(٢) سورة سبا ٢٢ .

والمراد بالمضلين الشياطين وأتباعهم ؛ وفى الاظهار بدل الاضمار تسجيل الذم عليهم بالاضلال . والآية تصرح بأن الله تعالى متفرد فى خلق جميع مخلوقاته ليس له شريك ولا مشير ولا وزير ولا نظير فهو المعبود والأحد والا له الصمد (١) .

وقرئ وما كنت بالخطاب والمخاطب هو النبى صلى الله عليه وسلم (٢) اى ماكنت ايها النبى متخذ المضلين أعوانا على نجاح دعوتك . وعلى هذا يراد بالمضلين الظالمون المشركون .

وحينئذ ترتبط الآية باية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية كأن القرآن يقول ما أشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم حتى يقترحوا علينا ما يقترحون من ابعاد الفقراء المسلمين وما كنت ايها الرسول متخذا فيهم أعوانا على الدعوة والتبليغ حتى تطيعهم فى ابعاد من شاءوا من مجلسك لمصلحة دعوتك .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٨٩ .

(٢) بيضاوى ٢/٨ .

ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢) .

موبقا - اى مهلكا من وبق يبق بمعنى هلك وأوبقه اهلكه اى يوم يقول الله للمشركين ادعوا الذين زعمتم انهم شركائى وأنهم يستجيبون دعائكم فادعوهم لينقذوكم من عذاب الجحيم والآية من قبيل التذكير بما بعد الموت وفيه توبيخ وتقريع للمشركين .

وقيل يقول الله لهم هذا الكلام على ألسنة الملائكة واضافة الشركاء الى الله تعالى حسب زعمهم الباطل تهكما .

الذين زعمتم - اى ادعيتم فى الدنيا أنهم شفعاءكم واولياءكم ، والمراد بهم كل من عبد من دونه تعالى - وقيل المراد به ابليس وذريته .

فدعوهم - اى استغاثوا بهم حسب عادتهم القديمة كما فى قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ (١) .

---

(١) ابراهيم ٢١ .

فلم يستجيبوا لهم - اى فلم ينصروهم لعدم استطاعتهم الاستجابة والنصرة .

وأما جواب الشركاء اياهم بقولهم " ما كنتم اينا تعبدون " (١) فلا يعارض هذه الآية لان معنى " لم يستجيبوا لهم " لم يغيثوهم ولم ينصروهم وهذا لا ينافى رد القول .

مالمراد بالموبق ؟ قيل المراد به النار وقيل المراد به العداوة وقيل هو واد عميق يفرق به بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة وقيل هو واد من قيح ودم (٢) ويراد بجميع المعانى البعد بين المشركين وآلهتهم التى كانوا يعبدونها وكانوا يعتقدون أنها تنجيهم (٣) . من الأهوال فتجعل النار حاجزا بينهم فلا يصل أحد الفريقين الى الأخر (٤) او تنقلب المودة التى كانت بينهم فى الدنيا عداوة فى الأخرة " واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم (٥) .

" واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦)

---

(١) سورة يونس ٢٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٩٠ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) ويطلق الموبق على الحاجز بين الشيئين - فقه اللغة ص ١ = قرطبى ١١/٣ .
(٥) سورة مريم ٨١ - ٨٢ .
(٦) سورة الاحقاف ٥- ٦

" قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكذبون (١) .

" ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (٢) .

---

(١) سورة النحل ٨٦ .

(٢) سورة الروم ١٤ .

ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٥٣) .

تصور الآية هول المنظر المدهش يوم القيامة وعجز المجرمين في ذلك الموقف الحرج قبل دخولهم النار متيقنين انهم داخلوها لا محالة ولم يجدوا مكانا ينصرفون اليه ليقوا به انفسهم من النار لأنها تحيط بهم من كل جانب " اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١) .

وفي وضع الظاهر موضع الضمير تسجيل الذم بهذا الوصف الشنيع بانهم عريقون في الاجرام ، والظن بمعنى اليقين كما في قول الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج

سراتهم في الفارسي المسرد (٢) .

---

(١) سورة الفرقان ١٢ - ١٤ .

(٢) تفسير قرطبي ١١/٣ .

ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا (٥٤) .

الجدل شدة الخصومة بالباطل منصوب على التمييز .

حكمة تصريف الأمثال :-

توضح الآية حكمة تصريف الأمثال بعد ما كشفت الآيات السابقة عاقبة الدنيا وعاقبة سوء تصرف اهل الدنيا بأمثلة رائعة وشرحت مسئلة المعاد شرحا وافيا ولكن أرباب الفهم السقيم والطبع الغير المستقيم لا يؤمنون بآيات الله .

ولقد صرفنا فى هذا القرآن - اى لقد كررنا فى هذا القرآن المحقق صدقه والمسلم اعجازه - كل مثل بأساليب متنوعة وكل دليل وبرهان ببيان مؤثر للافهام والتذكير ولكن اكثر الناس يجادل فى مسئلة التوحيد والبعث بعد الموت والكتب السماوية ومعجزات الانبياء والمراد بالناس كل الناس مؤمنهم وكافرهم وبالانسان اعداء الاسلام كنضر بن الحارث وابى ابن خلف .

وقيل المراد به مطلق الانسان فيشمل كل محاول ويؤيده ما روى عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله ان شاء ان يبعثنا بعثنا وانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شئ

جـــدلا (١) .

من كل مثل - المراد به كل مثل يرشد العباد الى الصراط المستقيم ويهمهم فى سبيل الارشاد والتذكير كمثل الرجلين ومثل الحيـــــوة الدنيا وأمثالهما .

اكثر شىء جدلا - وهذا أمر مشاهد فى الكفار اذ الجدال مـــــن صفاتهم اللازمة فتارة يجادلون فى مسئلة الالوهية وتارة فى مسئلـــــة المعاد وفى مسئلة الرسالة ومرض الجدال يفلج قوى الادراك ويميت صفة الانقياد والتسليم أمام الأدلة القاطعة ويمنع أصحابه من طلـــب الخير وفعله وفى الحديث " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون (٢) .

---

(١) فتح البارى حديث رقم ٤٧٣٤ / ٨/٤٠٧ . وكـــذا فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة حديث رقم ٧٣٤٧ ١٣/٣١٣

على ابن ابى طالب ابن عبد المطلب الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهـــــره وهو أول شاب أسلم قتل سنة ٤٠ هـ .

فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم - زوجة على ابن ابى طالب ام الحسن والحسين توفيت بعد ستة اشهـــر سنة ١١ هـ من وفاة ابيها صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب التفسير سورة الزخرف وقال هذا حديث حسن صحيح تحفة الأحوزى حديث ٣٣٠٦ - ٩/١٣٠ .

وعن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرنى من الظلم يقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل (١) .

بينت الآية الغرض من تصريف الأمثال ، هو كمال الرحمة الربانية والعناية الالهية حيث أنزل كتابه هاديا للناس ناصحا لهم يكرر الموعظة بأساليب متنوعة وذلك أن الانسان كثير ما يعتريه النسيان او تعتوره الغفلة لتوغله فى شئون الدنيا فتكرر المواعظ كى ترتكز فى أعماق قلبه وتقنع بها نفسه المجادلة .

كما ترى الوالد الناصح ينصح ولده كل يوم يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ودائما ينير أمامه طريق السعادة وهكذا شأن الداعية المصلح او الخطيب المخلص يكرر الاصلاح والرغبة فى

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد ٨/٢١٧ .

اركان الجوارح .

أناضل ادافع .

الأخـــرة فى خطبه كى تـحـل موعظتـه قلوب المجتمع وكذا الجرائـــد والاذاعات تنشر الاعلان كل يوم ترشيحا له فى القلوب لان التكـــرار على السمع او البصر يوجب التقرير فى القلب .

وايضا اذا كان المرض متمينا فمهما عرض المريض نفسه علـــــى الطبيب فانه لا يصف له الا الدواء الذى وصف له اول مرة - ولا يعـــاب بأنه مكـــرر .

وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين او يأتيهم العذاب قبلا (٥٥) وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا (٥٦) .

قبلا - بضم القاف والياء - متقابلا وعيانا (١) وفجأة (٢) او هو جمع قبيل اى متفرقا يتلوا بعضه بعضا (٣) وقال الفخر الرازى اى ضروبا من العذاب تتواصل مع كونهم احياء (٤) .

ليدحضوا - اى ليبطلوا ويزيلوا - الدحض الزلق .

هزوا - لعبا وباطلا قرئ بضم الزاى واسكانها مع تحقيق الهمزة وابدالها قبلا منصوب على الحالية .

اى نصرف الآيات الدالة على الحجج القاطعة التى ترشدهم الى الصراط المستقيم ولكنهم مع هذا النصح النصوح يتجنبون الحق ويطالبون بالعذاب مثل ما طالب به أسلافهم .

اذ جاءهم الهدى - اى القرآن الكريم لانه يمهد أمامهم مائدة وهم يشتهون صاعقة سماوية فما هو علاج هؤلاء المشئومين او المراد

---

(١) بيضاوى ٨/٢ .

(٢) قرطبى ٦/١١ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١٤٧/٢ .

(٤) تفسير كبير ١٤١/٢١ .

بالهدى النبى محمد صلى الله عليه وسلم (١) لانه يهديهم صراط النجاح والفلاح وهم يطلبون العذاب .

ويستغفروا ربهم - الذى رباهم وأنعم عليهم بنعمة الوجود وشرف الانسانية وكرامة الادراك ونور القرآن ورسول السلام ونبى الرحمة ، وفى الآية حسم الأعذار فى الدنيا وفى الأخرة حيث باب الايمان مفتوح لكل أحد والتواب الرحيم يقبل التوبة ويغفر للتائبين .

الا أن تأتيهم سنة الأولين - من غشيانهم بالعذاب المقدر لهم وأخذهم عن آخرهم (٢) .

او يأتيهم العذاب قبلا - حيث يرونهم أمامهم .

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين - تبين الآية منصب الرسل التبشير والانذار .

ويجادل الذين كفروا بالباطل - اى يجادلون بمجرد اهوائهم الباطلة بدون اى دليل من الكتب السماوية ولا برهان عقلى يقبله العقل السليم وكانوا يجادلون فى مسئلة توحيد الالوهية ومسئلة الرسالة

---

(١) بيضاوى ٢/٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٩١

والبعث وغير ذلك من الآيات (١) .

ليدحضوا به الحق - اى ليبطلوا به الحق الذى جاءتهم به الرسل (٢) وخاصة الأصول الأربعة من التوحيد والرسالة والبعث بعد الموت وصدق الكتب السماوية .

واتخذوا آياتى - التى بعثت بها الرسل من المعجزات والكتب.

هزوا - اى لعبا وباطلا .

تبين الآية غاية الشفقة الربانية وشدة قساوة الكفار بأن الله يرحم عباده بارسال الرسل متتابعين للتبشير والانذار لكن الأشقياء يصرون على طلب العذاب رغبة فى مشاهدة العاقبة السيئة التى يحذرهم الرسل منها وايضا فيه اشارة الى أن طلب العذاب من الرسل دليل حمقهم .

فانهم مبعوثون للتبشير والانذار وارسال العذاب ليس فى وسعهم وانما هو من شئون الله تعالى والله اعلم .

---

(١) كقولهم للرسل "مانتم الا بشر مثلنا (يس) - وقولهم "ابعث الله بشرا رسولا " (نمل) وقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (زخرف) وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشى عجاب (ص) مدارك ٣/١٣٤ .

ومن أظلم ممن ذكر بأيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا (٥٧) وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا (٥٨) وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا (٥٩) .

أكنة - اى أغطية جمع كنان كأسنة وسنان .

وقرا - ثقلا وصمما .

موئلا - ملجأ من وأل يئل بمعنى لجأ (١) .

موعدا - وقتا معينا .

يقول القرآن وأى الناس أظلم ممن ذكر بأيات ربه التنزيلية والتكوينية فلم يؤمن بها وأعرض عنها . وفى الآية تقريع للمشركين الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل على نبوته من الاسئلة الثلثة فلما أجابهم القرآن لم يؤمنوا به وأعرضوا بعد التذكير فهو ظلم بعد ظلم اذ لا عذر لهم .

---

(١) لسان العرب ١١/ ٧١٥ - ألت تئل تنجو اى ملجأ ومنجأ فتح البارى ٨/ ٤٠٧ .

ونسى ما قدمت يداه - من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها (١) .

انا جعلنا على قلوبهم أكنة يفقهوه - اى لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان (٢) . او كراهة أن يفهموا الحق (٣) .

وفي آذانهم وقرا - اى جعلنا في آذانهم صمما يمنعهم من استماع الحق حذف منه كلمة أن يسمعوه لأجل التقابل . وفي تغطية قلوبهم واسماعهم اشارة الى انهم لا يؤمنون اجتهادا ولا تقليدا (٤) وكل هذا نتيجة اعراضهم عن الحق فكما أن الارادة الالهية ترتب ثمرة الموت الطبيعي على أكل السم فهكذا ترتب ثمرة الموت المعنوي على المعرض من آيات الله بعد تذكيره بها .

وان تدعهم - مرة بعد اخرى .

الى الهدى - حرصا على فلاحهم ونجاتهم من عذاب جهنم

فلن يهتدوا اذ ابدا - اى لن يتحقق الاهتداء منهم لأن الله تعالى ختم على قلوبهم فلا تؤثر فيهم دعوتك وطبع على أسماعهم فلا يسمعون كلامك سماع قبول وطاعة .

---

(١) بيضاوى ٨/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٩١/٣ .

(٣) بيضاوى ٨/٢ فالضمير المفرد في يفقهوه اما راجع الى القرآن او البيان او الحق المذكور في الآية السابقة .

(٤) بيضاوى ٨/٢ .

روعى الخمس لفظ من فأفرد الضمير (١) وفى الخمس الاخر معناه فجمع الضمير (٢) .

وربك الغفور ذو الرحمة - اى ربك يامحمد كثير المغفرة والرحمة (٣) تبين الآية سبب عدم اهلاكهم بالعذاب الذى كانوا يطلبونه .

ذو الرحمة - حيث يجعل الحسنة بعشر أمثالها بل الى أضعاف كثيرة ويجعل السيئة بمثلها ويغفر الصغائر اذا اجتنب الكبائر ويغفرها ايضا بالتوبة . ان اريد بالرحمة العفو او الثواب فهى مختصة بالمؤمنين وان اريد بها النعمة فتشمل المؤمنين والكافرين وفى تقديم المغفرة على الرحمة اشارة الى أن التخلية قبل التحلية .

لو يؤاخذهم بما كسبوا - اى لو أراد اهلاكهم فى الدنيا بسبب ما ارتكبوا من الجرائم لعجل لهم العذاب فى الدنيا ودمرهم فيها بدون امهال لأن أعمالهم السيئة تستوجب ذلك - ولكنه يعفو ويصفح ليرتدعوا عما هم عليه فاذا أصروا على غيهم وطغيانهم يهلكهم بالعذاب .

بل لهم موعد - وهو عذاب الآخرة يوم القيامة او ذلهم يوم بدر (٤)

---

(١) الخمس الاول ١- ذكر ٢- ربه ٣- فأعرض ٤- نسى ٥- يداه .
(٢) الخمس الاخر ١- قلوبهم ٢- يفقهوه ٣- اذانهم ٤- تدعهم ٥- فلن يهتدوا .
(٣) وربك مبتداء والغفور خبر وذو الرحمة خبر ثان .
(٤) بيضاوى ٢/٩ .

لن يجدوا من دونه موئلا - اى اذا حل بهم العذاب فلن يجدوا عنه ملجأ ومحيصا (١) .

وتلك القرى - اهلكناهم لما ظلموا اى القرى المجاورة بأرض الحجاز من قرى عاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم .

اهلكناهم - حينما كفروا وأشركوا بالله وظلموا وضميرهم باعتبار القوم (٢) .

وجعلنا لمهلكهم موعدا - اى حددنا لهلاكهم وقتا معينا وفي الآية تقريع لأهل مكة الذين كذبوا القرآن والرسول وأشركوا بالله واعتدوا على المؤمنين فمصيرهم مثل مصير اهل القرى فان الاعتداء والظلم يوجب استيصال الظالم ويسبب العذاب الأليم والقرآن مشحون بأن الأمم السالفة أهلكوا بظلمهم وشركهم ولنعم ما قيل " الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم " .

---

(١) الضمير ا على الموعد - وقيل هو عائد على الله تعالى فالمعنى لن يجدوا من غيره تعالى ملجأ يلجئون اليه = روح المعانى ١٥/٣٠٩ .

(٢) معانى القرآن للاخفش المتوسط ٢/٣٩٧ وفيه " ولم يجئ بلفظ القرى ولكن اجرى اللفظ على القوم .

واذا قال موسى لفتـه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين او أمضـــى حقبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحـر سربا (٦١) فلما جاوزا قال موسى لفتـه آتنا غداءنا لقـــد لقينامن سفرنا هذا نصبا (٦٢) قال أرأيت اذ اوينا الى الصخـــرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيلـه فى البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على أثارهمـــا قصصا (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٦٥) .

لا أبرح - اى لا أزال سائرا فالخبر محذوف (١) .

حتى أبلغ مجمع البحرين - اى حتى أنتهى وأصل مجمع البحرين .

او أمضى حقبـا - كلمة او بمعنى الا (٢) .

حقبـــا - اى دهرا طويلا - جمع حقبة وهى مدة ثمانين سنـه او سبعين خريفا وقيل اكثر من ذلك والمراد هنا الدهر الطويل (٣)

سربـا - اى نفقا (٤) وهو الحفير فى الجبل او تحت الأرض وفى

---

(١) من الافعال الناقصة والقرينة على حذف الخبر قوله حتـــى ابلغ مجمع البحرين لان الغاية تستدعى ما هى غاية له وهـــو السير .

(٢) جمـل ٣/٣٣ . (٣) فتح البارى ٨/٤١٠ .

(٤) النفق ماله منفذ والسرب مالا منفذ له نفه اللغة صـ ١٦ .
وقال ابن منظور - السرب المسلك فى خفية لســـان العرب ١/٤٦٤ .

رواية ابن عباس سربا اى مذهبا يسرب يسلك ومنه سارب بالنهار (١)

نصبـــا - اى تعبا شديدا (٢) .

فارتـدا - اى رجعـا .

على آثارهمـا - اى آثار اقدامهما .

قصصـا - اى يتبعان آثارهما كى لا يخطئا طريقهما (٣) .

تبين الآيات قصة موسى والخضر عليهما السلام ردا على اليهود الذين اقترحوا على مبعوثى قريش، أن يسألا محمدا صلى الله عليه وسلم عن الأمور الثلثة فان أجابهم فهو نبى والا فهو متقول فـرد القرآن عليهم فى اطار قصتهما بأن الله يعلم الغيب واما الرسـل فيوحى اليهم وهم لا يعلمون الغيب كما قال خضر ياموسى ان لى علما لا ينبغى لك ان تعلمه وان لك علما لا ينبغى لى أن اعلمه فأخـذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر (٤) .

وايضا أن اليهود فضلوا موسى عليه السلام على سائر الانبيـاء

---

(١) فتح البارى حديث رقم ٤٧٢٦ كتاب التفسير ٨/ ٤١٠

(٢) فقه اللغة صـ ٣٤ بفتح النون والصاد وبضمهما .

(٣) قصصا مصدر اى يقصان قصصـا .

(٤) فتح البارى كتاب التفسير باب حديث الخضر مع موسى عليـه السلام حديث رقم ٤٧٢٥ ٨/ ٤١٠ .

واعتقدوا انه يعلم جميع العلوم ،وأن الكتاب الذى أنزل عليه أحاط بكل خير فلا حاجة الى رسول آخر بعد نبينا موسى عليه السلام وكذلك لا حاجة الى كتاب سماوى بعد التوراة فرد القرآن فى ضمن هذه القصة دعواهم واثبت أن العلم الالهى أحاط بكل شئ وامـا التوراة فهو كتاب سماوى أنزل لاصلاح بنى اسرائيل وليس هو الكتاب الأخر وكذا لا يلزم منه أن غيره ليس بكتاب سماوى فموسى عليه السلام مع جلالة منصبه يرحل لطلب المزيد من العلم .

وايضا فى بيان قصة موسى عليه السلام تقريع وتوبيخ للمشركين المصرين على طرد المسلمين المقلين من مجلس النبى صلى الله عليه وسلم بان العواقب الأخروية خلاف ما اعتاد اصحاب الدنيا من المشركين . كما زعم صاحب الجنتين " ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا " .

فالدنيا دار المحن والابتلاء فلا يغتر عاقل بمظاهر هذه المخاطر ولا بتتابع الأفراح فكم من مسرة تسبب لحاملها الأحزان وكم من كدر يورث لصاحبه الفلاح .

والانسان لضيق افقه العلمى ونقص ادراكه يغتر بالقشور وهو لا يدرى النتائج المخفية فى بواطنها فهذا التقلب فى البلاد وتطور المجرمين فى الدنيا بشتى طرق الرقى وتحمل المؤمنين الشدائد سينقلبان فى الأخرة حينما تكشف الأستار عن وجوه الحقائق ،فالوقائع

الثلاثة التى حدثت فى رحلة موسى والخضر تبين لنا كلتى صفحتى الوقائع ،ظاهرها وباطنها وتؤبخ المفترين بالظواهر وتشجع المؤمنين على معاناة المكاره وتحشهم على طلب العلوم الدينية ونشرها مهما بلغت التضحيات فى سبيلها فان العاقبة للمتقين .

وقصة موسى والخضر مروية عن سعيد بن جبير قال انا لعند ابن عباس فى بيته اذ قال سلونى قلت اى ابا عباس جعلنى الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم انه ليس بموسى نبى اسرائيل قال كذب عدو الله (١) .

قصة موسى والخضر عليهما السلام :-

حدثنى ابى ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الأرض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذا لم يرد العلم الى الله تعالى قيل بلى قال اى رب فاين قال بمجمع البحرين قال اى رب اجعل لى علما بذلك قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتا فجعله فى مكتل (٢) . فقال لفتاه لا أكلفك الا ان تخبرنى بحيث

---

(١) اطلق عليه هذه الصفة لشدة الغضب انكارا لما قاله لا لأجل انه عدو الله فى الواقع والا فهو مؤمن مسلم حسن الايمان والاسلام عمدة القارى ٩/ ٢٤ .

(٢) اى زنبيل .

يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيرا قال فبينما هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان (١) اذ تضرب (٢) الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه . حتى اذ استيقظ نسى أن يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره فى حجر . قال موسى " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال قد قطع الله عنك النصب فرجعا فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه (٣) قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرضى من سلام من أنت؟ قال أنا موسى قال موسى نبى أسرائيل - قال نعم قال فما شأنك؟ قال جئت لتعلمنى مما علمت رشدا قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك ياموسى ان لى علما لا ينبغى ان تعلمه وان لك علما لا ينبغى لى ان اعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله الا كما أخذ الطير منقاره من البحر حتى اذا ركبا فى السفينة الى آخر الحديث (٤) .

فالحديث الصحيح بين أن المراد بموسى هو موسى عليه السلام

---

(١) اى مكان فى ترابه بلل وندى قرطبى ١١/ ١٢ .

(٢) اى اضطراب وتحرك

(٣) كبد البحر اى ساحله - مسجى اى مغطى .

(٤) فتح البارى كتاب التفسير حديث ٤٧٢٦ - ٨/ ٤١١ .

صاحب التوراة (١) لا موسى ابن منشا بن يوسف بن يعقوب .

كما ذهب اليه نوف البكالى (٢) الذى تأثر بأقوال اليهود . لانهم يستبعدون رحلة موسى كليم الله صاحب المعجزات الباهرة للاستفادة ممن هو دونه فنسبوا هذه القصة الى موسى بن منشا

ومن المحقق أن امثال هذه الأقوال مما لا وزن لها فى ميزان الشرع والعقل ،اذا صرح الحديث الصحيح بأنه موسى عليه السلام وحكم العقل بانه لو كان المراد به ابن منشا لقيده القرآن اذا الاسم المشترك بين الاثنين فصاعدا يراد به المسمى الكامل واذا اريد به المسمى الناقص فيقيد كما هو المعروف فعبد الله فى فن الحديث اذ اطلق يراد به ابن مسعود واذا اريد به غيره فيقيد بابن عباس او ابن عمر وهكذا يقيد ابو حنيفة الدينورى ليمتاز به من أبى حنيفة (النعمان) .

واذ قال موسى لفتاه - اى لخادمه ويسمى الخادم والتلميذ فتى (٣) . وهذا من حسن آداب الاسلام حيث يدعى الخادم

---

(١) موسى ابن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب - المنمق ص ٣٨٧ .

(٢) نوف البكالى بكسر الباء وضمها ابن زوجة كعب الاحبار وقيل ابن اخيه وهو تابعى صدوق - فتح البارى ٨/ ٤١٣ .

(٣) وان كان شيخا بحسب السن كما قيل تعلم يافتى فالجهل عار لان الغالب فى التلاميذ والخدام الفتوة والشباب .

باللقب الشريف ولا يدعى بالعبد والخادم كما فى الحديث " لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى (١) .

والمراد بالفتى يوشع بن نون (٢) . واختاره من بين قومه لكمال ادبه ووفاءه كما اختار نبينا صلى الله عليه وسلم رفيق سفر الهجرة ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لجلالة شانه وتقدم مكانه ومن ثم استحق الخلافة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كما صار يوشع خليفة بعد موسى عليه السلام .

وفى الآية دليل على جواز الاستعانة بالخادم . حتى ابلغ مجمع البحرين وذلك أن الله اوحى اليه حينما سأل موسى اى رب فأين قال بمجمع البحرين (٣) .

اين مجمع البحرين ؟ .

اختلف المفسرون فى تعيين المراد به اذ لم يعينه القرآن ولا الحديث ولا بينا الا وصاف التى تميزه من المواضع الاخرى لان

---

(١) صحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب حديث ٢٢٤٩ ٤/١٧٦٤

(٢) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام المعبر ص ٣٨٨ هل هو ابن اخت موسى عليه السلام اولا ، صرحت الروايات الصحيحة بأسمه دون أحواله واوصافه - تفسير كبير - مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٥/٧٣٣ .
وهو الذى جمع الله بنى اسرائيل عليه فذهب بهم الى الارض المطلوبة ففتح الله مدينة العمالقة بيديه بعد انقضاء المدة التى سجل الله عليهم فى وادى التيه .

(٣) فتح البارى ٨/٤٠٩ كتاب التفسير حديث رقم ٤٧٢٥ .

لان معناه محل اجتماع البحرين والأمكنة التى يجتمع فيها بحران كثيرة جدا .

فقال قتادة المراد به ملتقى بحر فارس والروم (١) .

وقال محمد بن كعب " " طنجة (٢) .

" ابى بن كعب " " بافريقية (٣) .

" ابن عطيه " " بقرب آذربيجان (٤) .

" السدى " " عند آرمينية (٥) .

وقيل " " عند مسقط الفرات فى خليج فارس فى العراق (٦) .

" " " بحر الاندلس حينما يقع فى البحر المحيط (٧) .

---

(١) تفسير قرطبى ٩/١١ وعمدة القارى ٤٤٦/١ .

(٢) نفس المصدرين ، طنجة مدينة على مضيق جبل طارق فى المملكة المغربية .

(٣) شرح النووى لصحيح مسلم باب فضائل الخضر عليه السلام ١٣٨/١٥ - عمدة القارى ٤٤٦/١ .

(٤) اى هو ذراع يخرج من البحر المحيط من الشمال الى الجنوب فى أرض فارس من وراء آذربيجان قرطبى ٩/١١ .

(٥) اى نهر الكر والرس بآرمينية نفس المرجع وعمدة القارى ٢٢/٩

(٦) فيض البارى ١٧٤/١

(٧) القرطبى ٩/١١ .

وقيل المراد به ملتقى البحر الأبيض والبحر الأزرق عند مدينة الخرطوم فى السودان (١) .

وقال الشيخ انور شاه أن المراد به عند ايلة فى الجانب الغربى فى الشام وصحف بعضهم فقال ابلة (٢) .

وقال المفسر البقاعى المراد به مجمع النيل والبحر المالح الذى عند دمياط او رشيد من بلاد مصر (٣) . وقول الشيخ انور او الشيخ البقاعى أقرب وأنسب بالبلاد التى عاش فيها موسى عليه السلام وهناك اقوال اخرى تركناها خوفا من الاطناب (٤) .

واما ما ذهب اليه البعض بأن المراد بمجمع البحرين موسى والخضر عليهما السلام فهو قول ضعيف لا يلايم السياق (٥) وانما يحسن ان يذكر فى مناسبة اجتماعهما بهذا المكان المخصوص اجتمع البحران بمجمع البحرين (٦) .

وأن الحكمة فى اختيار مجمع البحرين مكان اللقاء بينهما واتيان الحوت اثناء اللقاء وأخذها القطرة من مجمعهما من الأمور الكونية

---

(١) نفس المرجع وهو المعروف بملتقى النيل الابيض والنيل الأزرق .
(٢) فيض البارى ١/١٧٤ .
(٣) نظم الدرر ١٢/١٠٦ .
(٤) قيل بحر الأردن وبحر القلزم وقيل بحر فارس ينبعث من بحر الهند شمالا بين مكران وهى على فم بحر فارس من شرقية وبين عمان - عمدة القارى ١/٤٤٦ .
(٥) تفسير قرطبى ١١/٩ قال الحافظ ابن حجر العسقلانى غير ثابت ولا يقتضيه اللفظ فتح البارى ٨/٤١٠ .
(٦) فتح البارى ٨/٤١٠ .

افهاما للناس أن مبلغ علم الانبياء بالنسبة الى علم الله تعالى كالقطرة الى البحار والله اعلم .

تدل كلمة " لا ابرح حتى أبلغ مجمع البحرين " وكذا كلمة او امضى حقبا على العزم الأكيد والحرص الشديد على الاستفادة العلمية .

وعلينا ان نقف وقفة مناسبة للتفكر فى هذه الكلمات المحتوية على المبادئ الهامة فى سبيل طلب العلم . فالامام البخارى أورد قصة ذهاب موسى عليه السلام الى الخضر عليه السلام فى كتاب العلم ترغيبا لطلبة العلم فى الرحلات العلمية .

ولا ريب أن ذهاب سيدنا موسى عليه السلام مع مكانته السامية والسيادة المسلمة (١) للاستفادة من الخضر عليه السلام يفيدنا أن الاستفادة العلمية لا نهاية لها فالعالم مهما بلغ قمة العلم ونال ما نال من الشهادات العالية عليه ان يجهد فى طلب المزيد ولا يكتفى بما ناله اذ لا نهاية للعلم " وما اوتيتم من العلم الا قليلا" .

ولما علم جابر بن عبد الله أن حديثا عند عبد الله بن انيس

---

(١) اذ هو صاحب التوراة والمعجزات ولا درجة اعظم من درجة النبوة والرسالة .

الانصارى اشترى بعيرا ثم رحل عليه شهرا حتى قدم الشام فأتـــى منزله (١) .

وروى عن قيس بن كثير قال كنت جالسا مع ابى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء انى جئتك من مدينة رســول الله صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة - قال فانى سمعت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل اللـــه تعالى به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع اجنحتها رضـــى لطالب العلم وان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء .

وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائـــر الكواكب . وان العلماء ورثة الانبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينـارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر (٢) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٢ .

(٢) رواه الترمذى ١٠/ ١٥٤ وابن حبان فى صحيحه ١/ ١٦٩ .

قيس بن كثير او كثير بن قيس شامى روى عن ابى الدرداء فى فضل العلم - تهذيب التهذيب ٨/ ٤٢٦ .

جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن ثعلبة الخزرجى يقـــول لم اشهد بدرا ولا احدا منعنى ابى فلما قتل عبد الله لـــم اتخلف عن رسول الله فى غزوة قط مات ٧٣ او ٧٧ او ٧٨ على اختلاف الأقوال .

وقال الشعبي رحل مسروق في تفسير آية الى البصرة فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها (١) .

وقال ايضا لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أنا سفره ضاع (٢) . لان العلم منقبة عظيمة اذ هو ميراث الانبياء يوقر صاحبه ويجل شانه فموسى عليه السلام مع مكانته العليا اطاع العبد الصالح لاجل علمه وسجد الملائكة لآدم للشرف العلمي ولما تبين علم يوسف عليه السلام قال له عزيز مصر " انك اليوم لدينا مكين امين فوقره العلم بعدما سجنه الجمال مرارا مرة في غيبت الجب ومرة في بيت زليخا ومرة في السجن وللامام ابن القيم الجوزية بحث نفيس في فضيلة العلم على المال (٣) .

والآية ترشدنا الى آداب السفر أولا بأن ينتخب الرفيق المناسب ليرافقه في السفر وخاصة السفر في سبيل العلم فان طرقه محفوفة بالمتاعب والشدائد . والمسافر المنفرد كثيرا ما يمل في وحدته وتجرده . وثانيا أن يجعل الأكبر أميرا في السفر كي لا يقع التنازع

---

(١) فتح البيان ١/ ١٥ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله للامام المحدث ابن عبد البر ١/ ٩٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٥٠ بحث ان العلم افضل من المال من وجوه للامام ابن القيم الجوزية طبعة ثانية ١٣٥٨هـ . وبين فيه وجوها كثيرة لفضيلته وهو حري بأن يكتب بماء الذهب كما أنه يدل على غزارة علمه وجودة بيانه - طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه .

فى مراحل الرحلة وشئون السفر وثالثا أن يبين الرفيق لرفيقه أهداف الرحلة فان وافقه عليها رافقه والا فيفارقه ويطلب رفيقا آخر جادا فى الاستفادة ،لينا فى السلوك . لان الرفيق الطيب يحول وعورة الطريق ومرارة السفر بدماثة خلقه وصفاء نيته الى سفر علمى ورحلة ذهبية . ورابعا ان يعزم عزما راسخا فى طلب العلم متوكلا على الله جل جلاله ثم واثقا بنفسه ثقة كاملة تستصغر جميع العراقيل وخامسا ان يصحب الشيخ ويلازمه . وسادسا ان يجتنب الادعاء الفارغ فموسى عليه السلام مع بيانه ما هو محقق أمر بالسفر الى العبد الصالح لان قوله " انا اعلم " وان كان مطابقا للواقع (١) لكنه يشبه الادعاء . وسابعا ان يراعى أدب العلم واحترامه ويتبع اوامره . وثامنا - ان ينكر عليه ما يراه منكرا . وتاسعا ان يذعن للحق حينما يعلم أنه الحق . وعاشرا - أن يأخذ الزاد للسفر . وحادى عشر - ان يصبر على شدائد السفر وخاصة غضب المعلم وسخطه اذ مدار العلم على الصبر من المبدء الى المنتهى ولنعم ما قيل اخى لن تنال العلم الابستة

سأنبيك عن تفصيلها ببيان

---

(١) لانه كان أعلم الناس فى عهده .

ذكاء وحرص ثم صبر وبلغة

وصحبة أستاذ وطول زمان

ولطالب العلم الديني الاسلامي درس عظيم في هذه الرحلات الثلاث والوقائع التي حدثت فيها ، فان الطالب المسلم الذي يعيش في بيئة محاطة بالزخارف المادية الفريقة في الفنون والعلوم الألية لا يرى أمامه مستقبلا متلألأ في الدنيا بل جل آماله منوطة بالأخرة ويرى أمثاله في المشاكل والمخاطر حينما يشاهد طلبة العلوم المادية على المناصب الحساسة والمراكز الهامه فلهذا الطالب المسلم طالب الأخرة درس ونصيحة في الوقائع الثلاث التي حدثت في رحلة موسى مع خضر فعليه ان ينعم النظر فيها ليعلم أن الادراك الانساني مهما بلغ قمة الكمال فهو محدود جدا لا يدرك به مغزى كل ارادة ربانية وحكمة كل قضية كونية الا اذ بينها الخالق الحكيم فعلى المؤمن أن يؤمن بأمثال هذه الوقائع بالغيب معتقدا بان أسرارها ستتكشف يوم الأخرة ويعتقد في جميع الوقائع التي تقع في الكون آنا فانا أنها مليئة بالمصالح والحكم اذ ان هذا النظام الأرضي والسماوي والجوي يجري بمشية الله تعالى ولا تتحرك ورقة ولا تذرى ذرة في هذا الكون يمينا وشمالا بدون اذنه تعالى ووظيفة العبد في هذا الكون الصبر والشكر بقضاء الله تعالى وقدره متيقنا بأن عواقب هذه المجاهدات في سبيل العلم وتحمل المتاعب في اداء العبادات خيرات وافراح في الأخره وعواقب المعاصي آلام وعقوبات وأن امهال المجرمين

لا لان الله تعالى يحبهم او هو عاجز عن الانتقام منهم بل هو يرمى فى أطوانه الاسرار العظيمة والمصالح الجسيمة وكذا ابتلاؤه المؤمنين بشتى المنغصات والمكاره لا لاجل أنه يبغضهم بل يهيا لهم بها السعادة العظمى والعاقبة الحسنى فالجاهل يغتر باللذة الفانية وهو اعمى لا يبصر غايتها المريرة والعاقل يفكر فى النتيجة قبل كل شئ ولا يبالى بالظواهر والمبادى - فالدواء النافع مذاقه مر ولكن غايته عافية ومذاق الدسم المسموم حلو الا ان عاقبته هلاك ودمار(١)

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا -

اى فسافر موسى ويوشع حتى بلغا مجمع البحرين - اضيف الظرف الى البحرين اتساعا اى مكانا يلتقى وسط ما امتد من البحرين طولا او كلمة بين بمعنى الوصل اى مجمع وصلهما (٢) .

نسيا حوتهما - نسبة النسيان اليهما على غرار قوله تعالى " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٣) . وقوله تعالى يمعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم (٤) فالناسى هو يوشع فقط وقيل نسى يوشع الاخبار بأمر السمك ونسى موسى تفقد حاله وتذكره ليوشع ،وقيل

---

(١) وفى الحديث حلوة الدنيا مرة الأخرة ومرة الدنيا حلوة الأخرة = مستدرك ٤/ ٣١٠ عن ابى مالك الأشعرى .

(٢) تفسير ابى السعود ٣/ ٥٣٦ .

(٣) مع انهما يخرجان من البحر المالح - تفسير ابن كثير ٣/ ٩٢

(٤) مع أن الرسل من الانس لا من الجن على المذهب المختار .

نسيا بمعنى أخرا حوتهما من حمله فلم يحمله واحد منهما فالنسيان بمعنى التاخير فيصح حينئذ نسبته اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت (١) .

والمراد بمجمع البحرين المسافة الطويلة لا النقطة المعينة فلا يرد ما ورد من أن الله لما عين الملتقى مجمع البحرين فما معنى مجاوزتهما عنه لانه لو أريد به النقطة المعينة لما احتاجا الى حيوة الحوت .

حوتهما - وفى البخارى فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق (٢)

وقال الاستاذ أمين احسن (٣) ان التلميذ لم يجترئ ان يذكر لموسى حادثة حيوة الحوت ثم دخوله فى البحر لكونه أمرا عجيبا لا يوافقه عليه موسى بل يعضب عليه ويعاقبه . فلما جاوزا كان التلميذ فى حيص بيص هل يذكر له هذه الأعجوبة او يسكت عنها . وظن موسى أن التلميذ أخذ الحوت ،فطلبه منه فاضطر التلميذ الى بيان ما وقع .

---

(١) القرطبى ١٣/١١ .

(٢) بخارى كتاب التفسير فتح البارى ٤٠٩/٨ .

(٣) الشيخ أمين احسن اصلاحى من علماء باكستان ،رافق الاستاذ المودودى زمنا طويلا ثم فارقه له مؤلفات عديده أشهرها تفسير " تدبر القرآن " بلغة أردو .

وقول الشيخ امين احسن يخالف الواقع لأن الله تعالى علم موسى مكان العبد الصالح حينما دعا ربه اى رب اجعل لى علما اعلم بـــه ذلك فقال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح .

ولذا أكد موسى عليه السلام على فتاه حينما جعل الحوت فـــى المكتل " لا أكلفك الا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيرا " . فكيف يمكن أن يتصور كون التلميذ فى حيص وبيص وما معنـى خوفه من غضبه اذا ذكر له حيوة الحوت . بل يجد التلميذ الطمأنينة باداء الوظيفة المكلف على عاتقه .

وكيف تحمل كلمة النسيان على التردد وأعجب من هذا ماقالـــه " انى لا أدرى أن بعض المفسرين من اين وجدوا هذا الكـــــلام الردى " ان موسى قال يوما ما أحد أعلم منى اليوم .

أولا : أن موسى لا يتلفظ بمثل هذا الكلام فى غير المحل .

ثانيا : لو فرضنا انه تلفظ بهفليس هو من المحال بل هو بيـــان للواقع لأن النبى اعلم الناس فى عهده وهويدعى " انى اعلـم من الله ما لا تعلمون " ولا تحمل أمثال هذه الأقاويل على التعلى والادعاء الفارغ ،ولا هو مستوجب التاديب بموجـب هذا القول وبالجملة ان هذا السبب لنزول هذه الآيـا ت مما لا يعبأ به "انتهى (١) .

---

(١) تدبر القرآن ٤/٥٦

كيف ساغ للاصلاحى اطلاق " الكلام الردى" على ما ثبت بالرواية الصحيحة " بأن موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم ؟ قال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك " (١) .

وعما لا شك فيه أن تفسير الاصلاحى يتضمن الفوائد وبعض المزايا الا أن أمثال هذه الآراء والضرب بالأحاديث عرض الحائط تنقص مكانته وليس ذلك طريقة المفسرين والعلماء .

فاتخذ سبيله فى البحر سربا - وفى الحديث وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق (٢) .

وهذه معجزة فى ضمن معجزة اذ حياة الحوت المشوى معجزة وصيرورة الطريق كالطاق معجزة أخرى وهذه الخوارق من الحلقات الابتدائية من سلسلة العجائب التى حدثت فى السفر .

هل أصاب الحوت من رشاش ماء عين الحياة او حيى بدون ذلك؟ قال سفيان وفى حديث غير عمرو قال وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ الا حيى فأصاب الحوت من ماء

---

(١) فتح البارى ٨/٤٠٩ كتاب التفسير .

(٢) فتح البارى حديث ٤٧٢٧ - ٨/٤٠٩ .

تلك العين الى آخر الحديث (١) .

وقال الكلبى توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح فى المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب فى الماء (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى أنه أخرج بن ابى حاتم من طريق قتادة قال فأتى على عين فى البحر يقال عين الحياة فلما أصاب تلك العين رد الله روح الحوت اليه .

وقد أنكر الداؤدى فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة فقال لا أرى هذا يثبت فان كان محفوظا فهو من خلق الله وقدرته قال ولكن فى دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حيى قبل دخوله فلو كان كما فى هذا الخبر لم يحتج الى العين قال فان الله قادر على ان يحيه بغير العين . قال ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالا ، وكانه ظن أن الماء الذى فيه الحوت هو ماء العين . وليس كذلك بل الأخبار صريحة فى أن العين عند الصخرة وهى غير البحر . وكان الذى أصاب الحوت من الماء كان شيئا من رشاش . ولعل هذا العين ان ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من

---

(١) نفس المرجع ٨/٤٢٣ .

(٢) عمدة القارى ٩/٢٤ .

عين الحياة فخلد .

وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الاسرائيليات وقد صنف ابو جعفر بن المنادى فى ذلك كتابا وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الاسرائيليات (١) .

فلما جاوزا المكان الذى هى الحوت فيه ودخل البحر كان مقدار التجاوز ؟ قيل فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا الاية (٢) .

قال لفتاه - اى قال موسى ليوشع بن نون .

آتنا غداءنا - اى الحوت المملوح وقيل المراد به غير الحوت لانه كان للسلامة لا للأكل ففى الحديث احمل معك حوتا فى مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثم فيظهر منه انهما تزودا شيأ آخر للغداء غير الحوت .

وقيل أكلا من الحوت جانبا وبقى الجانب الآخر قال ابو شجاع رأيته فاذا هو شق حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ قال ابن عطية وأنا رايته والشق الذى ليس فيه شئ عليه قشرة رقيقة

---

(١) فتح البارى ٨/ ٤١٥ .

(٢) فتح البارى كتاب التفسير ٨/ ٤١٢ وفى تفسير ابن كثير بمقدار مرحلة ٣/ ٩٢ .

وكذا ثبت جواز اظهار التعب والجوع وذلك لا ينافى الرضا بالقضاء والانقياد الى حكم الله (١) .

قال أرأيت - اى قال الفتى لموسى أرأيت ما اعجبنى ودهانى (٢) .

اذ أوينا الى الصخرة - نزلنا عندها خص الصخرة بالذكر لزيادة تعيين المكان فان مجمع البحرين مكان متسع .

فانى نسيت الحوت - اى نسيت أن أذكر لك أمره العجيب . وفيه كمال الأدب حيث نسب النسيان الى نفسه والا فان موسى عليه السلام ايضا نسى تفقد الحوت . ولم يقل انى نسيت الغداء لان المطلوب فيه الحوت الذى هو زاد وأمارة لملتقى خضر عليه السلام . كيف نسى الفتى هذا الأمر العجيب مع أن موسى عليه السلام أكد عليه بقوله لا اكلفك الا ان تخبرنى بحيث يفارقك الحوت فقال الفتى " ما كلفت كبيرا ؟ .

ابتلاه الله بنسيان ما ظنه قليلا كما هو الظاهر من قوله "ما كلفت كبيرا" (٣) او نسيه لما كان يشاهد الخوارق من أيدى موسى عليه السلام دائما (٤) .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٤٢٢ .
قال الجصاص يدل على اباحة اظهار مثل هذا القول عندما يلحق الانسان نصب او تعب وأن ذلك ليس بشكاية - احكام القرآن ٣/ ٢٦٥ .
(٢) تفسير بيضاوى ٢/ ٩ .
(٣) صرفى ص ٣٣٩ . (٤) تفسير بيضاوى ٢/ ٩ .

فلم يبق لهذه الحادثة وقع عظيم عنده وان كانت فى نفسهما من العجائب التى لا تنسى لان انقلاب الحوت المملوح حيا أمر يتعجب منه .

وقيل نسيه لاستغراقه فى مشاهدات الآيات (١) وقيل ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله تعالى عن قلب صاحبه هذا العلم الضرورى تنبيها لموسى أن العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على القلب (٢) .

وما أنسانيه الا الشيطان - نسب النسيان الى الشيطان لأنه يشغل الانسان بالوساوس عن التذكر كما نسب التساؤب اليه (٣) ولم يكن يوشع نبيا فى ذاك الوقت (٤) او أن تصرف الشيطان المفضى الى المعصية لا يتحقق له فى جانب الأنبياء وأما التصرفات الاخرى فلا حرج فيها كما اذا رمى الكافر نبيا وجرحه .

أن اذكره - بدل اشتمال من الضمير فى أنسانيه .

اى ما أنسانيه أن اذكره لك الا الشيطان .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) تفسير ابن كثير ٢١/١٤٦ .

(٣) اذ بعض الأمور الطبيعية نسبالية لمناسبة بينهما وبين الشيطان .

(٤) فلا يرد " ان الشيطان لا يغلب على الانبياء " ان عبادى ليس لك عليهم سلطن .

واتخذ سبيله فى البحر عجبا - قال ابن عباس كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا (١) . من تتمة كلام يوشع اى اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا . او هو من كلام الله تعالى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (٢) فكان السرب للحوت والعجب لموسى كما قال ابن عباس (٣) . وقيل كلمة عجبا من كلام موسى اى قال عجبت من هذا عجبا (٤) .

والوجه الأول انسب بأنه من كلام يوشع لأن "عجبا" مفعول ثان لا تخذ وكذا قوله تعالى ذلك ما كنا نبغ يدل على ان قول موسى بدء منه اى ذلك الموضع الذى حيى فيه الحوت كنا نطلبه لأنه ملتقى الخضر عليه السلام ،المقصود فى ذلك السفر .

والآية ترشد الأساتذة والمعلمين الى السلوك اللين والمعاشرة الحسنة مع أبنائهم التلامذة . فموسى عليه السلام مع شدته المعروفة لم يغضب على تلميذه حينما نسى الحوت بل عامله معاملة الرفق والرأفة وأجابه باللطف .لأن الملاطفة تجذب القلوب والفظاظة تنفرها ، فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

---

(١) فتح البارى تفسير سورة الكهف ٨/٤٠٩ .

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم باب فضائل الخضر عليه السلام ١٥/٣٨ .

(٣) مر فى الصفحة السابقة .

(٤) بيضاوى ٢/٩ .

من حولك " (١) . وانما أبهم على موسى عليه السلام سبيله ولقيه أظهارا لقصور علمه فى كل موضع ولذا القى عليه النسيان مرتين (٢) .

وفى الآية درس عظيم لطلبة العلم بأن يركزوا جهدهم فى الحضر والسفر على الاستفادة العلمية مستجنبين جوب البلاد للتفرج والتنزه فالطالب الذى يهجر الأهل والديار فى سبيل العلوم الدينية ابتغاء لوجه الله تعالى فهو مجاهد فى سبيل الله ، تضع الملائكة أجنحتها له ويستغفر له الحيتان فى جوف الماء . ومكانته سامية ورحلاته مقبولة عند الله تعالى وفى الحديث " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع (٣) . وفى حديث آخر " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له طريقا الى الجنة (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) فيض البارى ١ / ١٧٢ .

(٣) الترمذى ١٠ / ١١٦ .

(٤) نفس المرجع ١٠ / ١١٥ .

فوجدا عبدا من عبادنـــا - التنوين للتفخيم واضافة العباد الى ضمير الجلالة لتنويه شان العبد اى كان مع هذه المكانة العليا عبدا مـــن عبادنا والمراد به الخضر كما صرح به الحديث (١) واختلف فى اسمه

فقيل اسمه بليا بن ملكان (٢) .

وقيل " ايليا بن الياس (٣) .

وقيل ايســـــع (٤) .

وقيل خضرون بن قابيل بن آدم (٥) .

وقيل الياس (٦) .

وقيل عامر (٧) .

وقيل احمـــد (٨) .

وقيل أرميا بن حزقيا وانكره الطبرى وقال ارميا كان فـــى زمن بخت نصر و بينه وبين موسى زمان طويل (٩) .

---

(١) فتح البارى ٨/٤٠٩ حديث رقم ٤٧٢٥ - مر ذكره فى ص

(٢) نقل الحافظ ابن كثير من ابن قتيبة - تفسير ابن كثير ٣/٩٩- والكامل لابن الاثير ١/٥٥ - البحر المحيط ٦/١٤٧ .

(٣) الكامل لابن الاثير ١/٥٥ - فيـــض القدير ٣/٥٠٤ .

(٤) فتح البارى ٧/٢٤٣ - تفسير ابى السعود ٣/٥٣٨ .

(٥) فتح البارى ٧/٢٤٣ - البحر المحيط ٦/١٤٧ .

(٦) فتح البارى ٧/٢٤٣ - تفسير ابى السعود ٣/٥٣٨ .

(٧) فتح البارى ٧/٢٤٣ - فيض القدير ٣/٥٠٤ .

(٨) فيض القدير ٣/٥٠٤ .

(٩) عمدة القارى ٧/٤٠٣ .

وتبعه الشيخ انور شاه بانه لا يصح لان عهد ارميا عليه السلام بعد موسى عليه السلام بخمسمائة سنة والخضر فى زمن موسى عليه السلام وايضا وفاة ارميا عليه السلام متفق عليها دون وفاة الخضر (١) ولم سمى خضرا ؟ .

بين الحديث الصحيح وجه تلقيبه به " انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء ،فاذا هى تهتز من خلفه خضراء (٢) .

وما هو نسبه ؟ .

قال الحافظ العينى قال الطبرانى الخضر هو الرابع من ولد ابراهيم عليه السلام لصلبه وقال مجاهد من ولد يافث وكان وزيرا لذى القرنين وقيل هو من ولد رجل من أهل بابل ممن آمن بالخليل وهاجر معه وقيل انه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جدا وقيل هو اخو الياس عليه السلام وروى الدارقطنى من حديث ابن عباس قال الخضر بن آدم لصلبه ونسى له فى أجله حتى يكذب الدجال (٣) .

متى كان عهده ؟ .

قال الطبرى كان فى ايام أفريدون .

---

(١) ملخص من فيض البارى شرح البخارى ٤/ ٣٦-٣٧ .

(٢) فتح البارى ٧/ ٢٤٢ - الفروة " وجه الأرض اليابسة .

"تهتز" اى تتحرك بالنبات .

(٣) عمدة القارى ٧/ ٤٠٣ - وفيض القدير ٣/ ٥٠٤ .

وقيل فى عهد ابراهيم عليه السلام - وقيل فى زمن سليمان عليه السلام

وقيل فى زمن كستاسب بن لهراسب (١) .

وقيل كان فى زمن ثمود وكان عمره الفا وستمائة سنة (٢)

وقيل فى فترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

آتيناه رحمة من عندنا - المراد بالرحمة الوحى والنبوة (٣) .

او الولاية (٤) او العلم او طول الحياة (٥) .

وعلمناه من لدنا علما - علما منصوب على أنه مفعول به لا مصدر اى

علمناه علما خاصا .

ما هو العلم الخاص المسمى بالعلم اللدنى ؟

المراد به علم الوحى (٦) او الالهام (٧) ونقل المفسر

القاسمى ملخص ما بينه الغزالى فى بيان العلم اللدنى وزبدة هذا

الملخص العلم الحاصل على نوعين بتعليم الانسان وبتعليم الرحمن

والقسم الثانى اما بالقاء الوحى او بالالهام ،أشرف الانواع هو العلم

بالوحى (٨) .

---

(١) عمدة القارى ١/٤٤٧ .

(٢) تفسير بحر المحيط ٦/٥٨ .

(٣) بيضاوى ٢/٩ .

(٤) جلالين ٢/٦ .

(٥) تفسير مدارك ٣/١٣٧ .

(٦) ان كان الخضر نبيا .

(٧) ان كان ولما -

(٨) تفسير قاسمى ١١/٤٠٩٤ - ٤٠٩٨ .

وهل الخضر نبى او ولى ؟

ذهب المحققون من العلماء الى نبوته (١) بدليل قوله تعالى " علمناه من لدنا علما " اذ تعليم الله اياه بالذات بدون واسطة معلم دليل واضح على نبوته وبدليل قوله تعالى " هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا لان الله تعالى أمر موسى عليه السلام بالذهاب اليه والتعلم منه ولا يليق بالنبى او الرسول ان يتعلم من غير النبى او الرسول قال القرطبى والآية تشهد بنبوته لان بواطن أفعاله لا تكون الا بوحى وايضا ان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من كان فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبى من ليس بنبى (٢) .

وايضا ان قوله تعالى " وما فعلته عن امرى " يدل على نبوته (٣) لعدم جواز مثل ذلك القول بالجزم للولى لا مكان المغالطة فى الالهام دون الوحى ومن ثم تقع المضادة فى مكاشفات الاولياء دون وحى الانبياء وقوله تعالى " اتيناه رحمة من عندنا " تويد نبوته لان كلمة الرحمة قد تطلق على النبوة (٤) .

---

(١) فيض البارى ١/ ٢٢٠ - عمدة القارى كتاب العلم ١/ ٤٤٧ - واما كونه رسولا فذهب اليه البعض تفسير ابن كثير ٣/ ٩٩ .

(٢) تفسير قرطبى ١١/ ١٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٩٩ لأن الوقائع الثلث التى ارتكبها الخضر بأمر الله (بدون واسطة رسول او نبى بينه وبين الله) دليل على انه اوحى اليه .

(٤) " أهم يقسمون رحمة ربك" زخرف ٣٢ " وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك " قصص ٨٦ " قال يقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده" - هود ٢٨ .

وكذا تنوين عبدا واضافة العباد الى ضمير الجلالة من مؤيداتها لان مقام الولاية أنقص مما بينه القرآن للعبد الصالح ويدل على نبوته ما ورد فى بعض الروايات " فقال موسى السلام عليك ياخضر فقال وعليك السلام يا موسى قال ومايدريك انى موسى قال ادرانى بك الذى ادراك بى " فلو ثبتت هذه الرواية لكانت حجة على نبوته الا أنها معارضة بالرواية الصحيحة " من انت قال أنا موسى (١) وقد أشبع المفسر الآلوسى موضوع نبوته وحياته (٢) .

وقال الكثيرون انه ولى ليس بنبى (٣) لعدم الدليل الصريح على نبوته وأما استفادة النبى من الولى فلا استحالة فيها اذ لا يلزم منه فضيلة الولى على النبى لأن الفضيلة الجزئية لا تستلزم الفضيلة فى جميع الجوانب وكثيرا ما يحتاج الأكمل الى الكامل فى أمر يعلمه الكامل دون الأكمل .

وهناك قول آخر وهو أنه ملك ونسبه ابن كثير الى الماوردى (٤) ويؤيد هذا القول عدم تصريح القرآن ببشريته وكونه عبدا لا ينافى

---

(١) فتح البارى ٨/٤١٧ .

(٢) روح المعانى ١٥/٢٩٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٩٩ .

(٤) وهو ابو الحسن على الماوردى الشافعى من كبار فقهاء بغداد مات ٤٥٠ هـ .

الملكية (١) وأما استطعامه مع موسى عليه السلام "استطعما" (مع أن الملائكة لا يأكلون ويشربون) فلموسى عليه السلام لا لنفسه او نسبة الاستطعام اليه من قبيل قوله تعالى "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان".

وكون الخضر نبيا او ملكا يقلع الوتد الذى يربط به بعض الناس نسيجهم المخترع بكون الولى أفضل من النبى كما قال أحدهم مقام النبوة فى برزخ - فريق الرسول ودون الولى بأن الخضر ولى وموسى نبى فموسى كان يتبع الكتاب والخضر كان يتبع صاحب الكتاب وكلما ارتكب متصوف امرامنكرا ونهاه أحد عنه اجاب بانه صاحب العلم اللدنى والعلم الباطن (٢) وشتان بيننا وبين اصحاب العلوم الظاهرة حتى أن بعض الغفلة منهم يتجاسرون بقولهم "ان العلم الالهى يجرى فى عروق الاولياء فكل ما يفعلونه فهو من عند الله تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون وبعضهم يقولون "ان الولى يتلقى أحكاما سماوية من غير هذه الشريعة ويعتقد بعضهم لأنفسهم من المزايا والمرجحات ما تبيح لهم المحظورات وهدفهم الوحيد بأمثال هذه الترهات الاحتجاج على معارضيهم فيشربون الخمر ولا يصلون ولا يصومون

---

(١) اذ كلمة العبد تطلق على الملك "قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحنه بل عباد مكرمون سورة الانبياء ٢٦.

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا - سورة زخرف ١٩.

(٢) راجع "الطريقة المحمدية" ص ١٣.

وأتباعهم يعتقدون مجازين فيها ويزعمون أن الولى له تقرب خاص عند الله تعالى رفع به التكليف عنه تميزا له عن غير المقربين ولما دعى أحدهم الى الصلوة فأبى ان يحضرها فعاب الناس فأجاب :

يطالب بالأوراد من كان غافلا

فكيف بقلب كل اوقاته ورد

وقال الأخر حينما دعى الى الصلاة " أنتم مع أورادكم ونحن مع وارداتنا " قال الغزالى من زعم أن له مع الله تعالى حالا أسقط عنه نحو الصلوة او تحريم شرب الخمر وجب قتله وان كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره اكثر (١) .

وأمثال هذه الأباطيل كثيرة جدا لا نستطيع ان نحصيها وذكرنا منها بعض النماذج المبنية على زعم أن الولى افضل من النبى قال النسفى وقد زلت أقدام اقوام من الضلال فى تفضيل الولى على النبى وهو كفر جلى حيث قاسوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى والجواب انه نبى (٢) .

---

(١) روح المعانى ١٨/١٦ والاقناع ٢١٠/٢ .

(٢) مدارك ١٤٣/٣ .

وقال الشيخ على القارى " ان الولى لا يبلغ درجة النبى لان الانبياء معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة مكرمون بالوحى حتى فى المنام وبمشاهدة الملائكة الكرام مأمورون بتبليغ الأحكام وارشاد الأنام بعد الاتصاف بكمالات الاولياء العظام فما نقل عن بعض الكرامية (١) من جواز كون الولى أفضل من النبى كفر وضلال والحاد وجهالة نعم قد يقع التردد فى أن مرتبة النبوة أفضل ام مرتبة الولاية (بعد القطع بأن النبى متصف بالمرتبتين وأنه أفضل من الولى الذى ليس بنبى) فمنهم من قال بالاول بناء على أن النبوة تكميل للغير وهو بعد الكمال وفوقه فى الجمال ويؤيده حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ومنهم من قال بالثانى زعما بان الولاية عبارة عن العرفان بالله تعالى وصفاته وقرب منه وكرامة عنده ، والنبوة عبارة عن سفارة بينه وبين عبده وتبليغ احكامه اليه والقيام بخدمته متعلقة بمصلحة العبد (٢) وحاصله ان للنبى جهتين جهة الأخذ من الله وجهة ابلاغه الى الناس فبعضهم رجحوا الجهة الاولى وبعضهم الجهة الثانية فبعض الغفلة اغتنموا هذه المقالة واستدلوا بها على أن الولى أفضل من النبى وقال الامام ابن القيم الجوزية " ومن ظن أن لأحد

---

(١) الكرامية جماعة محمد ابن كرام القائلين بالتجسيم .

(٢) شرح الشيخ ملا على القارى الفقه الاكبر ص ١٠١ .

من اولياء الله طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر ومن احتج فى ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين :-

أحدهما - أن موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان على الخضر اتباعه فان موسى كان مبعوثا الى بنى اسرائيل واما محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والانس ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) وجب عليه اتباعه فكيف بالخضر سواء كان نبيا او وليا ولهذا قال الخضر لموسى أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول مثل هذا .

الثانى - أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام وموسى عليه السلام لم يكن عنده علم الاسباب التى تبيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من الظالم أن يأخذها احسان اليهم وذلك جائز وقتل الصائل جائز وان كان صغيرا ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع الا بقتله جاز قتله قال ابن عباس لنجدة الحرورى لما سأله عن قتل الغلمان

قال ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من ذلك الغلام فاقتلهم والا فلا تقتلهم واما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الأعمال فلم يكن في ذلك شيء مخالف لشرع الله (١) .

وايضا أن اتباع موسى لخضر بسبب الوحي وهل عند احد من الأولياء وحي الله يخبره بأن الولي الفلاني يفعل بمشية الله تعالى فقياس أحد من الاولياء على الخضر قياس مع الفارق والهام الاولياء ليس بحجة كما صرح به المجدد الالف الثاني في المكتوبات (٢) بأن الالهام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ويعلم من ذلك أن لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن فقال في المكتوب القالث والأربعين من المجلد الاول أن قوما مالوا الى الالحاد والزندقة يتخيلون أن المقصود الأصلي وراء الشريعة حاشا وكلا ثم حاشا وكلا نعوذ بالله سبحانه من هذا الاعتقاد السوء فكل من الطريقة والشريعة عين الأخر لا مخالفة بينهما بقدر رأس الشعيرة وكل ما خالف الشريعة مردود وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة (٣) .

---

(١) الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطن (الرسالة الخامسة عشرة من مجموعة التوحيد ص ٧٧٤ .

ذكر الآلوسي والقاسمي قصة نجدة الحروري ايضا .

روح المعاني ١٦/١٦ تفسير قاسمي ١١/٤٠٨٩ .

(٢) روح المعاني ١٦/١٨ .

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى ، جميع الاولياء لا يستمدون الا من كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعملون الا بظاهرهما وقال الشيخ جنيد البغدادى الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلوة والسلام وقال مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يقرء القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به (١) .

وقال السرى السقطى التصوف اسم لثلاثة معان وهو الذى لا يطفئ نور معرفته نوورعه ولا يتكلم بسر باطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب . ولا تحمله الكرمات على هتك محارم الله وقال من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط (٢) .

ولا شك أن التصوف بمعنى الاحسان الوارد فى حديث جبرئيل بأن يعبد الله وحده بكل اخلاص ويلتزم باداء الفرائض ويواظب على الجمع والجماعات ويمتثل جميع الأوامر ويجتنب جميع المحرمات والمكروهات فهو أمر واجب على كل مؤمن ومؤمنة .

وكان السلف أرباب الزهد والتقوى متمسكين بالكتاب والسنة فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات بدليل أن

---

(١) وفيات الاعيان ١/٤٤ - وفضل علم السلف ص ١٦ .

(٢) روح المعانى ١٦/١٨ ووفيات الاعيان ٢/٣٥٨ .

"اولياء الله افضل من الانبياء" ترويجا لبدعهم وخرافاتهم وادخلوا في باب الاحسان امورا ليست من الدين في شيء (١) .

---

(١) كالغناء والرقص وترك الجمع والجماعات والاستمداد من القبور وانعقاد الموالد عليها وما الى ذلك من امور لم تأت بها الشريعة الغراء .

" اختلاف العلماء في حياة الخضر عليه السلام "

قال النووى وابن الصلاح وأهل التصوف انه حى يرزق ويشاهد بلغ عين الحياة فشرب منها فخلد ولا يموت الا فى آخر الزمان .

وحكاياتهم فى رؤيته وزيارته تجاوزت حد الحصر (١) . لأن وجوده ثابت ولا دليل على موته من كتاب اوسنة ، ولقى ذا القرنين الأكبر ولقى موسى عليه السلام وبين زمانيهما بعد شاسع وهذا يدل على انه شرب من ماء الحيوة وانه يعيش حتى يقاتل الدجال لما مر من حديث ابن عباس (٢) .

وبدليل ما قاله ابو اسحق فى الحديث الوارد فى شان الرجل الذى يخرج من المدينة الى مقابلة الدجال عند السباخ ويقول له أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقتله ثم يحييه فيقول ذلك الرجل بعد ما يحييه " والله ما كنت أشد بصيرة منى الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه .

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم ١٥ / ١٣٦ فيض القدير ٢ / ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٢) فى بيان نسب الخضر عليه السلام ص

قال ابو اسحق يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام (١)

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غسل وكفن سمعوا قائلا يقول السلام عليكم يا أهل البيت ان لله خلفا من هالك وعوضا من تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا اى الأصحاب واهل البيت يرونه انه الخضر (٢) .

و قال السيوطى " أخرج الحاكم والبيهقى وابن ابى الدنيا عن انس قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدق به اصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل اصهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم وبكى ثم التفت اليهم فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة

---

(١) واليك نص الحديث بتمامه = عن ابى سعيد الخدرى قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتى وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهى الى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرايتم ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون فى الأمر فيقولون لا - قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه قال ابو اسحق يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام = مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته ٨/١٩٩ وابو اسحق هو ابراهيم ابن سفيان راوى الكتاب عن مسلم رحمه الله .

(٢) البداية والنهاية ٥/٢٧٦ .

وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا فانما المصاب من لم يجبر بالثواب وانصرف فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل فقال ابو بكر وعلى نعم هذا اخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر ولفظ ابن ابى الدنيا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا جاء لعزينا عليه (١) .

وذهب معظم المحدثين وأهل التحقيق الى أنه ميت لعدم ثبوت حيوته بالقرآن ولا بالسنة الثابته وهو الراجح .

لما روى ابن عمر قال صلى لنا رسول الله عليه وسلم العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام فقال أريئتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض احد (٢) . ولقوله تعالى " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " (٣) .

فلوا كان هيا لأتى النبى صلى الله عليه وسلم ولآمن به ونصره فى الغزوات بدليل قوله تعالى " واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال

---

(١) خصائص الكبرى للسيوطى ٢/٢٧٩ - والمستدرك ٣/٥٨ .
وذكر السيوطى روايات عديدة فى التعزية راجع خصائص الكبرى

(٢) فتح البارى كتاب العلم باب السمر فى العلم حديث ١١٦ = ١/٢١١ وأخرج النبى صلى الله عليه وسلم بكلمة من " هو على وجه الارض " الملائكة وعيسى عليه السلام .

(٣) سورة الانبياء ٣٤ .

فاشهدوا وانا معكم من الشهدين (١) .

ولم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه مجىء الخضر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا نصره اياه كما هو ثابت فى حق الملائكة فى الغزوات . اذ لو كان كذلك لنقله القرآن والحديث ثم نقله جم غفير من الصحابة ثم نقل عنهم بالتواتر اذ بقاؤه الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومجيئه اليه أمر عظيم من عجائب الدهر .

وآما طول حياته ووجوده فى عهد ذى القرنين وعهد موسى عليه السلام فلا يدل على بقائه الى الآن اذ قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يبقى على رأس المائة الحديث يدل انه ميت ولو لم يمت قبله لمات على رأس المائة (٢) .

وشربه من ماء الحيوة موقوف على اثباته ولم يثبت بعد بدليل صحيح (٣) . واما قول ابى اسحاق (٤) فهو قوله والمسئلة المبحوث فيها وأمثالها لا تثبت الا بالنصوص القطعية .

---

(١) آل عمران ٨١ .

(٢) واما ما قيل بأن الخضر كان على وجه البحر حينما قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الحديث او لا يبقى ممن ترونه وتعرفونه ، او معمول على الاكثر الاغلب او اراد النبى صلى الله عليه وسلم بالأرض البلدة التى هو فيها فكل هذه احتمالات لا دليل عليها .

(٣) وشربه من ماء الحيوة مروى عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الاسرائيليات - فتح البارى ٨/ ٤١٥ .

(٤) فى شان الرجل الذى يجادل الدجال أنه الخضر .

واما الروايات التى أستدل بها المثبتون لحياته فيقول الحافظ ابن كثير " وذكروا فى ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره فى بعض الأحاديث ولا يصح شئ من ذلك وأشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف (١) وصرح ابن الجوزى بوضع هذه الروايات (٢) .

وقال ابن المناوى " جميع الاخبار فى ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز لا تخلو من أمرين اما أن تكون أدخلت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالا واما ان يكون القوم عرفوا حالها فرووها على جهة التعجب فنسبت اليهم على وجه التحقيق

واكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باق والتخليد لا يكون لبشر قال عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد (٣) .

واستدل الحافظ ابن حجر العسقلانى بقوله عليه السلام يوم بدر " اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض " بأن الخضر لو كان موجودا لم يصح هذا النفى (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٩٩ .
(٢) الموضوعات لابن الجوزى ١/١٩٥ - ١٩٨ .
(٣) الموضوعات لابن الجوزى ١/١٩٩
(٤) فتح البارى ٦/٤٣٤ - والحافظ العسقلانى أجاد هذا البحث وأفاد - راجع نفس المرجع .
والشيخ محمد بن السيد درويش أشبع هذا الموضوع بتحقيقه الدقيق
من شاء الاطلاع عليه ليراجع " أسنى المطالب فى احاديث مختلفة المراتب . ص ٢٩٦ .

وقال الحافظ ابن كثير " وقد استدل بهذه الآية (١) من ذهب من العلماء الى أن الخضر مات وليس بحى الى الآن لانه بشر سواء كان وليا او نبيا او رسولا (٢) .

وقال الحافظ ابو الخطاب واما رواية اجتماعه مع النبى صلى الله عليه وسلم وتعزيته لأهل البيت فلا يصح من طرقها شئ ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الانبياء الا مع موسى وجميع ما ورد فى حياته لا يصح فى شئ باتفاق اهل النقل (٣) .

لا ترو غير الواضح المشهور من

قول النبى الأريحى الأبطحى

ودع الغرائب والمناكير التى

فى الحشران نوقشت فيها تستحى

متى حدثت هذه الرحلة ؟

لم يوجد اى تصريح حول هذه المسئلة لا فى القرآن ولا فى الحديث ، هل هى وقعت قبل مغادرة موسى وبنى اسرائيل مصر او بعدها او وقعت اثناء اقامتهم فى صحراء سينا ورواية

---

(١) اى بآية " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " سورة الانبياء ٣٤

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٨/٣ .

(٣) تفسير قاسمى ٤٠٩٢/١١ .

العوفى عن ابن عباس تدل على وقوعها بعد غرق فرعون وجنوده (١) .

وقال الشيخ انور شاه أنها وقعت اثناء اقامته بسيناء بعد العبور عن البحر (٢) . ويمكن وقوعها والله اعلم فى بدء نبوته عليه السلام حينما بلغ الظلم الفرعونى على بنى اسرائيل أقصى حدوده " وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملائه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٣) .

---

(١) اليك نص هذه الرواية :- عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله " وذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعم وذكرهم اذ نجاهم الله من آل فرعون وذكر هلاك عدوهم وما استخلفهم الله فى الأرض وقال كلم الله موسى نبيكم تكليما واصطفانى لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم من كل شيء سألتموه ونبيكم أفضل اهل الأرض وانتم تقرون اليوم فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا عرفتم اياها فقال له رجل من بنى اسرائيل فهل على الارض اعلم منك يانبى الله قال لا فبعث الله جبرئيل الى موسى فقال ان الله يقول وما يدريك اين أضع علمى بل على ساحل البحر رجل اعلم قال ابن عباس هو الخضر فسأل موسى ربه ان يريده اياه الى آخر الحديث در منثور ٤/٢٣٣ .

(٢) فيض البارى ١/١٧٤ .

(٣) سورة يونس ٨٨ .

وكان يطمأن قومه بالنجاح ويلقنهم الصبر والاستقامة فأراه الله الوقائع الثلث ليعلم في اطوائها أن الاعتداءات الفرعونية المنيفة ستنقلب عليهم . اذ حوادث الكون ذات صفحتين ، صفحة الظاهر وصفحة الباطن " وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون (١) .

ولا يوجد في التوراة ولا الأناجيل الموجودة هذه القصة وذكرها التلمود وعزاها الى ربى يهوحانان بن لاوى مع الياس عليه السلام (٢) . ومن الممكن أن اليهود حذفوها لما يرون فيها من تنقيص نبيهم موسى عليه السلام .

ومن ثم نسبها بعضهم الى موسى بن منشا كما مر (٣) والله اعلم .

---

(١) سورة البقرة ٢١٦ .

(٢) THE TALMUD SELECTION = "مختارات التلمود" ذكره الاستاذ المودودي - تفهيم القرآن ٣/ ٣٥ .

BY H, POLAND PP 313-16

(٣) في ص

قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا (٦٦) قال انك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا (٦٩) قال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠) .

رشدا - بفتح الراء والشين وبضم الراء وسكون الشين بمعنى واحد وهو العلم والحكمة والمراد به هذا العلم الخاص . المتعلق بأسرار الحوادث الكونية الموهوب للخضر عليه السلام .

خبرا - اى الحكمة والمصلحة التى شرف الله بعلمها الخضر عليه السلام .

راعى موسى عليه السلام الأدب الكامل فى التماسه من الخضر عليه السلام موافقته لطالب العلم فان شأنه - مع جلالة منصبه - شأن المتعلم الذى يجب عليه احترام المعلم .

أنظر ايها القارئ الى حسن تقديم موسى عليه السلام معروضه حيث آتى بكلمة الاستفهام واستأذن فى التبعية ليجعل نفسه تابعا للمعلم بقوله هل اتبعك ؟ اذ فيه غاية التلطف (١) فى الاستفسار

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٩٦ .

واقرار على نفسه بالاحتياج الى الاستفادة وعزو الفضل الى المعلم بقوله " على ان تعلمن " اعترافا منه بكماله واستعطاف جميل بقوله " مما علمت رشدا " اى عاملنى مثل ما عاملك الله به فكما أنعم عليك بالعلم فامنن على به .اذ بذل العلم شكر لنعمته (١) .

قال انك لن تستطيع معى صبرا - اى لن تصبر على صنعى فيثقل عليك الصبر عن الانكار او السوال (٢) .

كيف حكم الخضر حكما جازما مؤكدا بان ولن ؟ ثم أكده ببيان العلة " بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ لأنه علم أن موسى عليه السلام نبى مرسل ،صاحب شريعة وكتاب مأمور بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يستطيع السكوت على الأمور التى يراها منكرة بحسب الظاهر ولم يرد به كتمان العلم ولا حرمان الطالب من الاستفادة اذ لم يقل لا اعلمك او لا تتعلم ،بل نفى منه طول الاستفادة والصحبة بقوله انك لن تستطيع معى صبرا وقيل انه لما قال موسى هل أتبعك الاية قال له الخضر كفى بالتوراة علما وببنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله تعالى أمرنى بهذا فحينئذ

---

(١) وفى قوله " مما علمت " غاية الاحترام فان كلمة من للتبعيض اى أتعلم منك بعض ما علمك الله تعالى غيرنا و المساواة فيه وأتبعك عدة أيام لا أتعبك طول الحياة - والله اعلم .

(٢) عمدة القارى ٩/ ٢٤ .

قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا (١) .

وقد عد الحافظ ابن الجوزى المواقع التى قاسى فيها موسى عليه السلام مرارة " لن " فقـــال : " وكم أن موسى من لن

أمر قومه بالايمـــان فقالوا لن نؤمن

وقعـوا فى التيـه فقالوا لن نصبـر

ندبوا الى الجهاد فصاحـوا لن ندخلها

طرق باب أرنى فرده هاجب لن

دنا الى الخضر للتعلم فلفظه بلفظ لن (٢) .

وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا - اى كيف تصبر أنت يا موســـى صاحب الشريعة على فعل ظاهره لا يلايم الشرع بل تنكر علـــى بمجرد روية ما يخالفه فى الظاهر .

وفى الأية اعتذار واضح من قبل الخضر عن موسى على اعتراضـه بما لا يعلم سره وقال النسفى وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هـــى فى الظاهر مناكير والرجل الصالح لا يتماسك ان يسكت اذ رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (٣) .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) المدهش لابن الفرج الجوزى صـ ١٠٠ .

(٣) تفسير مدارك ١٣٨/٣ .

قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا -

وعده موسى عليه السلام بالصبر والمتابعة .

ترشدنا الأية الى أهم المبادئ التعليمية والتوجيهات الأساسية الذهبيـة : -

اولا - عدم الاكتفاء بدرجة علمية اوشهادة عالمية بل على العالم ان يتعلم طول حياته ما لم يعلم كما قال ابن عباس " منهمومان لا تنقضي نهمتهما طالب علم وطالب دنيا (١)

ثانيا - الصبر على الشدائد في سبيل العلم والاستقامة في جميع مراحل التعلم وشئون الدراسة .

ثالثا - طاعة المعلم والاستـاذ .

رابعا - قوة العزم والارادة فموسى عليه السلام رد طلبه مرارا ولكنه لم يرجع عن طلبه ، قال مالك بن دينار أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام " ان اتخذ نعلين من حديـــد وعصا من حديد ثم اطلب العلم والصبر حتى تخرق نعليك او تخلق نعلاك وتكسر عصاك (٢) .

خامسا - المواظبة على الاستثناء في جميع المواعيد التي تتعلـق بافعال العبد في المستقبل وخاصة اذا لم يثق من نفسه

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ١/ ٩٥ .

بالايفاء فان جملة الاستثناء تفتح باب التفصي ولو لم يستثن موسى عليه السلام لما ساغ له نقض عهده الموثق كيف وهو نبي جليل .

سادسا - غاية التأدب والتواضع أمام الشيخ حسب ما قيل " من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا (١) .

سابعا - مراعاة الشروط التي يشترطها المعلم على التلميذ وأعلى الله درجة الامام الشافعي حيث قال :

تصبر على مر الجفا من معلم
فان رسوب العلم في نغراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة
تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه
فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى
اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته (٢)

---

(١) راجع التفسير الكبير للرازي ٢١/١٥١ .

(٢) فتح الرحيم في شرح نصيحة الاخوان ص ٧٧ .

" ولا اعصى لك أمرا " - عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا غير عاص فيما تأمرنى به ،لما بالغ الخضر فى رد طلبه بتوكيدات أكد موسى رغبته فى اتباعه بتوكيدات لان قوله ستجدنى " ان شاء الله صابرا " يدل على الصبر والاطاعة وعدم العصيان لأن الصبر بمفهومه الواسع يشمل انواعه الثلثة من الصبر على الطاعات والصبر على الشدائد والصبر عن العصيان فأكده بقوله " ولا اعصى لك أمرا وهو أكد فى الوعد بالمتابعة من الوعد بنفس الصبر لأن الاعتراف بعدم العصيان لأمره يستلزم ان لا يخالفه فى شئ ولا يترك امتثال أمره فى حين من الأحيان ، ولو قيد قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا بالأمور المستقبلة التى لا يدرى كيف يكون حاله عند مشاهدتها وقيد قوله " لا اعصى لك أمرا " بالحال الذى هو فيه فعلى هذا هو تأسيس لا تأكيد (١) .

وقيل كان الوعد فى الأمور المباحة ، وايضا ان اقتران كلمة " ان شاء الله " أخرج الكلام عن الوعد فلا يرد ابراد نقض العهد ويمكن ان يكون قول الخضر " انك لن تستطيع معى صبرا مبنيا على الأكثر الاغلب وكذا قول موسى " ستجدنى ان شاء الله صابرا "

---

(١) وقال الشيخ صديق حسن خان أن الصبر ونفى المعصية متفقان فى كون كل واحد منهما معزوما عليه فى الحال وفى كون كل واحد منهما لا يدرى كيف حاله فى المستقبل - فتح البيان ٥/٤٧٧ .

فلا يرد ما ورد من الحاق الكذب بأحدهما (١) .

قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا -

اى قال الخضر لموسى آذنا له فى الاتباع اذنا مشروطا فان اتبعتني فلا تسألني - اى لا تناقشني فيما تشاهده من أفعالى وتنكره فى نفسك - قرئ بتخفيف النون وتتشديدها فعلى الاول النون للوقاية واللام ساكنة وعلى الثانى النون للتأكيد واللام مفتوحة .

حتى أحدث لك منه ذكرا - اى حتى أبين لك حكمته وسره . وفيه اشعار بأن أفعاله محبوبة بالحكم والغايات الحميدة . وفى الآية اشارة الى الأدب العلمى وهو ان لا يبتدئ المتعلم السؤال حتى يكمل الشيخ درسه اذ ربما يذكر أثناء درسه جواب ما يخطر فى ذهن الطالب من السؤال . وايضا سؤاله اثناء المحاضرة يقاطع التسلسل الذى فى ذهن الشيخ الذى رتبه اثناء المطالعة من ترتيب مقدمة وتمهيد ونتائج - وبينت الآية جواز اشتراط الشيخ على الطالب شروط الصحبة او شروط القبول .

---

(١) كما فى تفسير الرازى ٢١/١٥٣ - فى تفسير قوله تعالى ستجدنى ان شاء الله صابرا فى المسألة الاولى .

فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيا امرا (٧١) قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا (٧٣) .

خرقهـــا - شقهـا .

امـــــرا - منكرا عجبا (١) ويقال أمر امرا اى عجب منكر من أمـــر أمره اى اشتـــد (٢) .

ولا ترهقنى - اى لا تحملنى ما لا اطيقه من الأرهاق يقال ارهقه ايـاه اذا حمله عليه مالا يطيقه - رهقه غشيـه (٣) .

فانطلقا - اى ذهب الخضر وموسى عليهما السلام بعد الاتفـاق بينهما على الشروط ، وفى ايراد صيغة التثنية اشعار بالأنتقـــال من قصة تمهيدية - بين موسى ويوشع - الى قصة جوهرية - بيـــن موسى والخضر عليهما السلام ،وكما أن فيه تعليما للادب الســـامى من آداب المجلس والرحلة ، وهو أن المشايخ اذا اجتمعوا فيمـــا بينهم فالأحرى بالتلاميذ السكوت والاصغاء لحوار الاكابر بجعـل انفسهم تابعين ففى صيغ التثنية اشارة الى أن يوشع تابعهما بكل

---

(١) قال مجاهد منكرا - تفسير ابن كثير ٣/٩٧ .

وقال قتادة عجبا نفس المرجع .

(٢) لسان العرب ٥/٩٣ .

(٣) نفس المرجع ١٠/١٣١ .

صمت وتوقير .

واما ما ذهب اليه بعض العلماء (١) بأن موسى عليه السلام أرسل يوشع بن نون الى بنى أسرائيل فمن ثم لم يذكر فى هذه الرحلات الثلث فهو قول مرجوح لعدم ما يقتضى ارساله اليهم لوجود هارون عليه السلام فيهم ولحاجة موسى عليه السلام اليه وخاصة بعد فراغه من الرحلة العلمية بدليل الرواية " أن موسى لما رأى ذلك (خرق الخضر السفينة) امتلأ غضبا وشد ثيابه وقال أردت اهلاكهم ستعلم أنك اول هالك فقال له يوشع الا تذكر العهد الى آخرها (٢) .

وبدليل قوله عليه السلام مرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، اذ صيغ الجمع تدل على بقاءه معهما واما عدم ذكره فى القصة فلكونه تابعا لهما فذكرهما يغنى عن ذكره كما أن ذكر الخضر اغنى عن ذكرهما فى قوله فحملوه بغير نول (٣) اى حملوا الخضر مع اتباعه .

---

(١) كما قال الشيخ محمد بن احمد الحنفى " فقال موسى لفتاه ارجع انت لبنى اسرائيل وكن مع هارون حتى أرجع ومشى موسى حتى وصل الى خضر " بدائع الزهور فى وقائع الدهور صـ ١١٠

وكذا قال العسقلانى ويكن لم يركب يوشع معهما لانه لم يقع له ذكر بعد ذلك فتح البارى ١/١٥٧ .

(٢) فتح البارى حديث ٤٧٢٤ - ٨/٤١٩

(٣) فتح البارى - كتاب التفسير حديث ٤٧٢٥ - ٨/٤٠٩ .
نول العطاء والأجرة .

حتى اذا ركبا فى السفينة - هذه هى الرحلة الاولى - الرحلة البحرية .

وفى الحديث يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأهم الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم (١) .

خرقها - اى خرق اللوح من جدار السفينة ليكون العيب ظاهرا ولا يفضى الى الغرق (٢) .

أنكر موسى صنيع الخضر بقوله " أخرقتها لتغرق اهلها " اى عاقبة ذلك الغرق الغرق فى البحر واهلاك النفوس وهذا أمر محرم لا مسوغ له نقلا ولا عقلا وخاصة حينما حملوهم بغير نول .

واذا كان اللام للتعليل فالغرق علة لانكاره عليه (٣) وورد أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضبا وشد ثيابه وقال أردت اهلاكهم ستعلم أنك اول هالك فقال له يوشع ألا تذكر العهد فأقبل عليه الخضر فقال ألم اقل لك فأدرك موسى الحلم فقال لا تؤاخذنى ، وأن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة انما أردت الخير فحمدوا

---

(١) نفس المرجع - القدوم آلة معروفة للنحت والنجر .

(٢) كما أشار اليه الفخر الرازى - تفسير كبير ٢١/١٥٤ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/١٤٩ .

رأيه وأصلحها الله على يده (١) .

وفى كلمة لتفرق اهلها - حمية واضحة للحق اذ لم يقل لتفرقنا .

تفيد الآية أن التلميذ اذا شاهد من شيخه ما يخالف الشرع أنكره عليه وان كان شيخه جليل المنصب صاحب رشد وكراسة لأن معيار الحق الشريعة المطهرة المحتم اتباعها كل حين وآن .

كما أن موسى عليه السلام لم يسكت حينما رأى أمرا مخالفا للشرع مع علمه أن الخضر من عباد الله المكرمين آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما وانه أرسل اليه بأمر الله تعال والتزم على نفسه الطاعة وتفيد الآية ايضا التسليم والانقياد حينما يعلم التلميذ أن الحق مع الشيخ كما اطمأن موسى عليه السلام بجواب الخضر عليه السلام بأنى فعلته بأمر ربى .

ولما لم يتصور موسى عليه السلام اثناء التعاهد أن العبد الصالح سيفعل ما يخالف ظاهره الشرع التزم على نفسه الصبر .

ومثل هذا السؤال لا يعتبر منقصة فى شان موسى عليه السلام بل هو منقبة فاخرة تبنى على الحمية الدينية .

---

(١) فتح البارى حديث رقم ٤٧٣٤ = ٨/٤١٩ .

واستنبط من ذلك بعض المفسرين أن للولى ان ينقص مال اليتيم اذا رأى فى تنقيصه صلاحا (١) ! لان أعظم المفسدتين يدفع بارتكاب أخفهما (٢) .

قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا -

ذكر الخضر لموسى ما قال له اولا ونبهه عليه بنقضه اياه فاعتذر موسى بقوله لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى ، اى لا تكلفنى بما لا اطيقه ولا تضيق على دائرة الاستفادة بسبب نسيانى .

من أمرى - وهو التعلم والمصاحبة ، اى لا تعسر على مرافقتك وسامحنى فيما نسيته (٣) .

والآية صريحة فى أن النسيان يعترى الأنبياء عليهم السلام بمقتضى البشرية اشعارا بأنهم عباد مخلوقون ، ويستنبط من الآية جواز امتحان الشيخ التلميذ هل هو ملتزم بعهوده اولا - . وكذا التسامح وعدم المؤاخذة بما يصدر من التلميذ نسيانا ، وكذا اعتذاره فورا اذا أتى بما يغضب المعلم . وقبوله تنبيه المعلم بسعة الصدر معترفا بأن لا يعود الى مثلها فان اتباع الحق بدون الجدال شان المؤمن الكامل .

---

(١) كما قال ابو يوسف يجوز للولى ان يصانع السلطان ببعض مال اليتيم عن البعض - تفسير قرطبى ١١/١٩ .

(٢) شرح مسلم للنووى ١٥/١٤٤ باب فضائل الخضر عليه السلام .

(٣) اذ لا مؤاخذة بالنسيان شرعا .

فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا (٧٤) قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا (٧٥) قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا (٧٦) .

زكية - اى طاهرة من الذنوب (١) وقرئ زاكية بصيغة اسم الفاعل (٢) .

نكرا - النكر الدهاء والأمر الصعب الذى لا يعرف وقد نكر نكارة (٣) . وقال قتادة وابن كيسان النكر أشد وأعظم من الامر (٤) .

عذرا - بضم العين وسكون الذال وقرئ بضمهما (٥) .

فانطلقا - اى رحلا رحلة ثانية بعد قبول الخضر عذر موسى .

---

(١) صيغة مبالغة على وزن فعلية من الزكاة بمعنى الطهارة .

(٢) قرأ نافع وابن كثير " زكية " فتح البارى فى شرح حديث ٤٧٢٦ = ٨/٤١٩ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٠٥ .

(٤) عمدة القارى ٩/٢٥

(٥) البحر المحيط ٦/١٥١ .

حتى اذا لقيا غلاما فقتله ، اى قتله الخضر وفى رواية واذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه (١) . ولماكان قتله عقب لقائه جعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه واما خرق السفينة فلم يتعقب الركوب فجعله جزاء للشرط (٢) .

---

(١) تحفة الاحوزى حديث ٥١٥٧ - ٨/٥٩٣

(٢) فتح البارى ٨/٤١٩ - تفسير مدارك ٣/١٣٩ .

كيف قتلـه ؟ .

روى البخارى أنه أخذ برأسه من اعلاه فاقتلعه بيده (١) .

وفى رواية وجد غلمانا يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين (٢) وقيل رفسه برجله (٣) . وقيل ضربه بالجدار فشج رأسه فمات (٤) . وقيل فتل عنقه (٥) . وقيل ادخل اصبعه فى سرة فاقتلها فمات ، وجمع الحافظ العسقلانى بين هذه الاقوال بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه (٦) . ومن الممكن ان ضربه بحجر من الجدار ثم اضجعه ثم اقتلع رأسه وسرته (٧) .

قيل اسمه جيسور وقيل جيسور وقيل جيسون (٨) .

هل كان الغلام بالغا ؟ .

ذهب الجمهور الى عدم بلوغه (٩) بدليل كلمة " الغلام "

---

(١) فتح البارى ٨/٤٢٣

(٢) نفس المرجع ٨/٤١٢ .

(٣) عمدة القارى ٩/٢٥ .

(٤) بيضاوى ٢/١٠ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) فتح البارى ٨/٤١٩ .

(٧) قرطبى ١١/٣٦ .

(٨) قرطبى ١١/٢١ - فتح البارى ٨/٤١٢ - وقيل اسمه " خوش بود " وقيل حسرو وقيل سمعون عمدة القارى ٩/٢٤

(٩) وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما - عمدة القارى ٩/٢٥ .

فانه يطلق على غير البالغ " كالجارية " تطلق على من لم تبلغ وبدليل كلمة " زكية " لان المراد بها النفس التى لم تذنب ولم تبلغ أوان المعصية ، ويؤيد قولهم ما روى عن عطاء قال كتب نجدة الحرورى الى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب اليه ان كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم . ولكنك لا تعلم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم فاعتزلهم (١) .

وذهب الكلبى الى بلوغه بدليل نسبة الكفر اليه لان الصغير لا يوصف به وقد وصفه الحديث غلاما - لان الخضر عليه السلام كان نزع اللحم عن كتفه فاذا فيه مكتوب طبع يوم طبع كافرا وقراءة ابن عباس واما الغلام فكان كافرا - تؤيد ما قاله الكلبى .

وبدليل تقييده " بغير نفس " ولو كان صبيا لما احتاج الى ذلك التقييد لانه لا يقتل فى القصاص مطلقا سواء قتل النفس او لم يقتل (٢) .

وبدليل ما جاء فى بعض الآثار انه كان يفسد ويقطع الطريق ثم يحلف عند ابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه حماية له (٣) .

---

(١) روح المعانى ١٦/١٦ .

(٢) قرطبى ١١/٢٢ .

(٣) بحر المحيط ٦/١٥٠ .

وبدليل أن الغلام يطلق على البالغ ايضا كما فى قول ليلى الأخيلية

شفاها من الداء العضال الذى بها

غلام اذا هز القناة سقاها (١)

قال أقتلت نفسا زكية - قال موسى حينما رأى قتل النفس الزكية أقتلت نفسا زكية ولم يستطع ان يسكت عن بيان الحق .

بغير نفس - اى بغير قتل ذلك الغلام شخصا آخر حتى يقتل قصاصا لان المسوغ للقتل أحد الأمور الثلاثة زنا المحصن ،وقتل النفس والردة ولم يرتكب هذا الغلام واحدا من هذه الثلاثة .

لقد جئت شيئاً نكرا - اى فعلت أمرا منكرا فظيعا فى الشرع وكذا فى العرف ، وكلمة نكرا أبلغ فى الانكار من كلمة امرا لأن القتل مما لا يمكن تداركه واما نزع اللوح او الثقب فيه فيمكن تداركه بالسد (٢) .

وقيل ان النكر أسهل من الامر بدليل أن قتل النفس أهون من اغراق النفوس والقول الاول أرجح لما فى بعض الروايات " وهذه أشد من الاولى " (٣) .

---

(١) بحر المحيط ٦/ ١٥٠ .

(٢) تفسير الكشاف ٢/ ٤٩٤ .

(٣) الترمذى ٥/ ٣١١ .

وايضا أن قتل النفس متحقق واغراق النفوس محتمل فالواقع أشد من المحتمل .

كانت الأولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (١) واما وعد موسى وان كان صورته مطلقة الا أنه مقيد بأن لا يخالف أمر الشيخ الشرع فلا يرد اعتراض نقض العهد والخلف فى الوعد .

قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا -

رد الخضر عليه ردا أكيدا من الأول بزيادة كلمة "لك" لانه عليه السلام خالف الشرط مرتين . وفى زيادة كلمة "لك" اشعار بأن العهد قد تقرر بينى وبينك وأمرتك خاصة لا الغير فعاهدت اولا ثم نسيته ثم عاهدت مرة ثانية فخالفت ايضا بدون اى عذر.

ومن ثم اعترف موسى بقوله ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا اى عن شئ تفعله من الأعاجيب (٢) والضمير فى بعدها الى المرة او الى النفس المقتولة .

فلا تصاحبنى - من باب المفاعلة وقرئ فلا تصحبنى من صحب(٣) .

---

(١) فتح البارى كتاب التفسير ٨/ ٤١٢ - وقال رسول الله وكانت الاولى من موسى نسيانا فتح البارى ٨/ ٤١٠ .

(٢) روح المعانى ١٦/ ١ منيرية .

(٣) قراءة عيسى ويعقوب - بحر المحيط ٦/ ١٥١ .

وفلا تصحبنى من أصحب (١) وفلا تصحبنى بفتح الفاء والباء وشد النسون (٢) .

قد بلغت من لدنى عذرا - اى قد أعذرتنى مرارا ويقول المفسسر الآلوسى اى وجدت عذرا من قبلى . وقال النووى قد بلغت الى الغاية التى تعذر بسببها فى فراقى حيث تحقق ما يبرر فراقـــك مرة بعد مرة (٣) .

من لدنـى - قرأه الجمهور مشددا ونافع وعاصم مخففا (٤)

عزم النبى موسى عليه السلام بالتفرق اذ لم يستطع ان يسكت على ما هو خلاف الشرع بحسب الظاهر .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى (٥) لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدهـــا فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع .

(٣) روح المعانى ١/١٦ - (منيرية) .

(٤) البحر المحيط ١٥١/٦ .

(٥) الترمذى ٣١٢/٥ - وفى البخارى " ودد نا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما فتح البارى ٤١٠/٨ حديث رقم ٤٧٢٥ - وكذا ٤٢٠/٨ .

وهذا الحديث صريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم ايضـــا ما كان يعلم أسرار هذه الأمور الكونية وتمنى صبر موسى لتظهـــر البدائع اكثر من هذا ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا (١) .

---

(١) بنى اسرائيـل ٨٥ .

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨) .

اى بدء الرحلة الثالثة فلما وصلا الى قرية طلبا الطعام من اهلها فلم يطعموهما .

اى قريـة كانت هذه ؟ .

قد بلغت الأقوال فى تعيين المراد بها الى عشرة :-

١- قيل المراد بهـا أنطاكيـة (١) .

٢- " " " أبلـة (٢) .

٣- " " " ايكـة (٣) .

٤- " " " باجروان (٤) .

---

(١) شرح مسلم للنووى باب فضائل الخضر - ١٤١/١٥ - عمدة القارى ٢٥/٩ "انطاكية" مدينة على العاصى قريبة الى البحر الابيض المتوسط .

(٢) تفسير قرطبى ٢٤/١١ - "أبلة" بضم اوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها - بلدة على شاطئ دجلة البصرة فى زاوية الخليج

(٣) تفسير ابن كثير ٩٨/٣ "ايكة" قيل هى تبوك - وقيل هى مدين .

(٤) تفسير قرطبى ٢٤/١١ "باجروان" قرية من قرى آذربيجان من نواحى "باب الابواب" .

٥- قيل المراد بهـا آرمينيـه (١) .

٦- " " " برقـة (٢) .

٧- " " " ناصرة (٣) .

٨- " " " بلدة بجزيرة الأندلس (٤) .

٩- " " " الجزيرة الخضراء (٥) .

١٠- " " " ايلـة (٦) .

والقول العاشر أليق بالبلاد التى عاش فيها النبى موسى عليـه السلام وخاصة اذ أريد بمجمع البحرين عند ايلة او جانبى القلـزم كمامـر (٧) .

---

(١) بحر المحيط ١٥١/٦ "آرمينية" اسم مقاطعة ،أنجاد وجبال وبينها سهول جنوب القفقاس متاخمة بحدود ايران .

(٢) او أبرقة قرطبى ٢٤/١١ - "برقة" هى المنطقة الشرقية من جمهورية ليبيا تشمل درنه - بئر حكيم - بنغازى - زاوية مسوس والقرى الاخرى .

(٣) نفس المرجع "ناصرة" من مدن فلسطين فى منطقـة جليل عاش فيها النبى عيسى عليه السلام مع امه مريم مدة طويلة

(٤) تفسير قرطبى ٢٤/١١ .

(٥) نفس المرجع "الجزيرة الخضراء" مدينة على مضيق جبـل طارق من مدن اسبانيا وهى أبعد الارض من السماء - شرح مسلم للنووى ١٤١/١٥ .

(٦) عمدة القارى ٢٥/٩ - "ابله" ميناء بمسافة خمس كم من عقبة الأردن وتسمى "ايلات" ايضا ،وهى أبعد أرض من الخيـر عمدة القارى ٢٥/٩ .

(٧) فى ص

استطعما اهلها - اى طلبا من اهل القرية الطعام .

قال الخفاجى " فى اعادة لفظ " الاهل " هنا سؤال مشهور وقد نظمه بعض الأدباء سائلا عنه الامام السبكى فى قصيدة منها :-

رأيت كتاب الله أعظم معجز
لأفضل من يهدى به الثقلان
ومن جملة الاعجاز كون اختصاره
بايجاز الفاظ وبسط معان
ولكننى فى " الكهف " بصرت آية
بها الفكر فى طول الزمان عنانى
وما هى الا استطعما اهلها فقد
نرى استطعماهم مثله ببيان
فما الحكمة الغراء فى وضع ظاهر
مكان ضمير ان ذاك لشان

ثم ذكر الأجوبة بان الأتيان ينسب للمكان نحو اتيت عرفات وينسب لمن فيه نحو أتيت اهل بغداد فلو لم يذكر لفظ "الاهل" لالتبس المعنى وليس ذلك نظير آية واسأل القرية ،لان السؤال نفس القرية محال فيقدر الأهل ، وأعيد لفظ الاهل لانه غير الاول وليست كل معرفة اعيدت عينا يراد بها الاول كما بينوه لان المراد به بعضهم اذ سؤالهم فردا فردا مستبعد فلو لم

يذكر فهم غير المراد وكذا لو قيل استطعماهم فظاهر وكذا لو قيل استطعماها فلان النسبة الى المحل تفيد الاستيعاب كما اثبتوه فى محله واما اتيان جميع القرية فهو حقيقة فى الوصول الى بعض منها كما يقال زيد فى البلد او فى الدار وقيل الأهل اعيد للتأكيد وقيل اتى بالظاهر لكراهة اجتماع ضميرين متصلين (١) .

وايضا فى الاظهار مقام الاضمار تصريح على بخلهم وتقبيح لسلوكهم بأنها طالبا الضيافة من اهل القرية لا من الاجانب المسافرين النازلين فى القرية (٢) .

وفى رواية حتى اذا اتيا اهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما اهلها (٣) .

وفى الآية دليل جواز طلب المسافر الضيافة من اهل القرية (٤) اذا احتاج اليه ولم يكن فيها مطاعم او لم يكن عنده ما يشترى به الطعام .

واما استدلال الحريرى (٥) فى موقع الشحاذة بهذه الآية

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٦/ ١٢٥ .

(٢) حتى يعتذروا بعدم اهلهم وديارهم فيها .

(٣) فتح البارى ٨/ ٤٢٠ .

(٤) نفس المرجع ٨/ ٤٢٢ .

(٥) القاسم بن على صاحب المقامات .

تسويغا لحرفة الكدية بقوله :-

فان رددت فما فى الرد منقصة = على قد رد موسى قبل والخضر

فرد عليه المفسر القرطبى بلغة الحريرى ردا جميلا حيث قال ويعفو الله عن الحريرى حيث استخف فى هذه الآية وتمحن وأتى بخطل من القول وزل فاستدل بها على الكدية والالحاح فيها وأن ذلك ليس بمعيب على فاعله ولا منقصة عليه فقال :-

" فان رددت " الى آخر البيت ، قلت وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام ... وهى شنشنة رديئة وهفوة سخافية ويرحم الله السلف الصالح فقد بالغوا فى وصية كل ذى عقل راجح فقالوا مهما كنت لاعبا بشئ فاياك أن تلعب بدينك (١) .

اذ حرفة الكدية والتسول أمر قبيح محرم والاستطعام مرة او مرتين فهو طلب الحق الواجب على الناس للأجانب المسافرين وقد ورد فى الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليصل رحمه (٢) .

فأبوا أن يضيفوهما - قيل أطعمتها امرأة من أهل بربر

---

(١) تفسير قرطبى ١١/٢٥ .

(٢) فتح البارى حديث ٦١٣٦ / ١٠/٥٣٣ .

بعد أن طلبا من الرجال فدفعا بنسائهم ولمنا رجالهم (١) .

قال قتادة شر القرى التى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه (٢) . وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (٣) .

وقد رد المفسر الآلوسى ما هو المشهور عند القصاصين بأن اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من ذهب فقالوا يارسول الله نشترى بهذا الذهب أن تجعل الباء من أبوا تاء فأبى عليه الصلاة والسلام وبعضهم يحكى وقوع هذه القصة فى زمن على رضى الله عنه ولا أصل لشئ من ذلك وعلى فرض الصحة يعلم منه قلة عقول أهل القرية فى الاسلام كما علم لؤمهم من القرآن والسنة من قبل (٤).

وذلك ان القرآن والحديث لم يحددا القرية فاعتراف هؤلاء المغفلين اتهامهم أنفسهم بهذه الخساسة الرديئة .

فوجدا فيها جدارا - قيل عرضه خمسون ذراعا فى مائة ذراع بذراعهم (٥) ومثل هذا الطول والعرض والامتداد مما لا دليل عليه وخاصة عرضه يستبعده العقل .

---

(١) معالم التنزيل ١/٥٠٥ .
(٢) تفسير قرطبى ١١/٢٥ .
(٣) فتح البيان ٥/٤٨٣ .
(٤) روح المعانى ١٦/٦ .
(٥) فتح البارى ٨/٤٢٠ نقله عن الثعلبى .

يريد ان ينقض - النقض انتشار العقد من البناء والحبل (١) .

وفى رواية يريد ان ينقض يقول مائل (٢) . اى كان قريبا من السقوط حيث ظهرت فيه آثار السقوط من الشقوق والميلان .

قال ابن الجوزى " ومن عادتهم التجوز وفى القرآن فما ربحت تجارتهم وكذا قوله تعالى يريد أن ينقض (٣) . اى نسب فعل العاقل الى ما لا يعقل تجوزا .

قال القرطبى وهو من أدلة القائلين بوجود المجاز فى القرآن الكريم وأما الشيخ ابو اسحق الاسفرائينى وابو بكر محمد بن داؤد الأصبهانى وأتباعهم فذهبوا الى عدم المجاز فى القرآن بدليل انه لو خاطبنا الله تعالى بالمجاز لزم وصفه بأنه متجوز وهذا يقتضى عجزه عن الحقيقة فكل ما ورد من أمثال هذه التراكيب يحملونها على الحقيقة (٤) .

اختلف المفسرون فى كيفية اقامة الجدار هل كان بالعمل مثل البنائين او على سبيل الأمر الخارق للعادة ذهب البعض الى القول الاول .

---

(١)

(١) مفردات صـ ٥٠٤ . (٢) رواه الترمذى ٣١١/٥ .

(٣) المدهش لابن الجوزى فى الباب الثانى فصل فى تصريف اللغة وموافقة القرآن لها ص ٢٤ .

(٤) تفسير قرطبى ٢٧/١١ .

وروى عن رسول الله انه قرأ " يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه" (١) . وذهب البعض الى أنه أقامه على سبيل الأمر الخارق للعادة كرامة او معجزة وهو قول سعيد بن جبير (٢) .

وفى رواية فقام الخضر فأقامه بيده (٣) . ورجحه القرطبى بقوله وهذا القول صحيح وهو الأشبه بأفعال الانبياء بل والاولياء لانه لم يثبت اقامتهم فى تلك القرية ولوكان الهدم ثم البناء مثل البنائين لقاما مدة طويلة (٤) .

وقال الحافظ ابن كثير " وقد تقدم فى الحديث انه رده بيده ودعمه حتى رد ميله وهذا خارق (٥) .

وقال القرطبى وعلى هذا ثبت كرامات الأولياء ولا ينكرها الا المبتدع الجاحد (٦) . لانها ثابتة بالكتاب والسنة وكذلك المعجزات فقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام بحمله عرش بلقيس من اليمن ووضعه بين يدى سليمان دليل على ثبوتها (٧) .

---

(١) قرطبى ١١/٢٧ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) فتح البارى كتاب التفسير ٨/٤١٠ .
(٤) قرطبى ١١/٢٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٣/٩٨ . (٦) قرطبى ١١/٢٨ .
(٧) على ما ذهب اليه الجمهور فى تفسير قوله تعالى " قال الذى عنده علم من الكتاب أنا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك "

وكذا وجود الثمار عند مريم في غير موسمها وحملها بعيسى من غير أب وكذا نوم اهل الكهف وحفظهم من التغير والبلى ثم بعثهم كلها من الكرامات (١) .

قال لو شئت لتخذت عليه اجرا - اى أجرة وضيافة (٢) لأنهم لم يجاملونا بالضيافة فطاب لنا عدم المجاملة وأخذ الأجر على هذا العمل العظيم .

دلت الاية على جواز الاجارة وكسب المعيشة ، وما قال الحافظ ابن الجوزى والثعلبى لقد انكرت ما جرى لك مثله حذرت يوم السفينة من الغرق فصمت بانكار أخرقتها أنسيت يوم فالقيه في اليم الى آخر ما قالا (٣) فلو كان ذلك ثابتا بسند صحيح فلا مساغ فيه واذا لم يثبت كما هو الظاهر فهو لا يلايم شان الانبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين بعد وضوح الفرق الكبير بين ما فعله الخضر وبين ما فعله موسى اذ خرق السفينة كان اختيارا وكونه في التابوت اضطرارا وقتل الغلام كان عمدا وقتل القبطى كان خطأ (٤) وكذا

---

(١) راجع الفرقان بين اولياء الرحمان واولياء الشيطان ص ٦٩-٧٠

(٢) تفسير طبرى ١٥/١٨٧ - عمدة القارى ٩/٢٥ .

(٣) وتمامه : انكرت قتل نفس بغير نفس أنسيت يوم " فوكزه " نهيت عن عمل بلا أجر أنسيت يوم نسقى لهما - المدهش ص ١٠٠ وكذا قال الثعلبى فتح البارى ٨/٤٢٠ .

(٤) اذ لم يرد قتله بل أراد تاديبه مع ان قتل القبطى قبل النبوة وقتل الخضر للغلام بعد النبوة .

طلب الأجر باقامة الجدار لسوء معاملتهم للضيوف وكانوا قادريـــن على الضيافة وأما سقيه لبنتى شعيب بدون أجر فهو تفضل منه عليهما الجديرتين بالمساعدة وايضا ان سفره الى مدين سفر هجرة فوكل الـى النصرة الغيبية وسفره الى الخضر سفر اختيار وتعلم وتأدب فوكل الـى تجشم المشقة (١) .

قال هذا فراق بينى وبينك - اى هذا الانكار الثالث على ترك الأجر سبب فراق يحصل بينى وبينك . نهاه عن مصاحبته بعد ذلـــك لظهور عذره وكرر كلمة بين تاكيدا لانقطاع الصحبة من الجانبين .

سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا - اى سأخبرك بتفسير هـذه الحوادث التى لم تستطع الصبر عليها ويصح ان يراد بالتأويل عاقبة الأمر (١) اى سأخبرك بعاقبة هذه الأمور .

---

(١) قرطبـــى ١١/ ٢٤ .

(٢) التاويل رد الشئ الـى مآله والمراد به هنا المآل والعاقبة روح المعانى ١٦/ ٨ .

اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (٧٩) .

بدء الخضر عليه السلام فى تفسير ما أنكره موسى عليه السلام من الوقائع الثلث على سبيل اللف والنشر المرتب اجابة لطلب موسى عليه السلام بقوله أن تعلمن مما علمت رشدا اذ لو لم يفسر مصالح هذه الأمور لتحيرت العقول فى ادراكها الى يومنا هذا وليعلم أهل الدنيا عجزهم عن ادراك الحقائق الكونية ولو كشف القناع عنها كما كشف عن هذه الثلاث لهدمت أنظمة الابتلاء فى الدنيا ولتعطلت الأعمال والأشغال فى مختلف شئون الحياة .

فقال - اما السفينة حرف تفصيل وتفسير . اى السفينة التى خرقتها - فكانت لمساكين يعملون فى البحر اى يكتسبون بها ما يتعيشون به فجعلتها معيبة رأفة بحالهم كى لا يغصبها الملك الظالم قيل كان المساكين عشرة اخوة خمسة فيهم معذورون وخمسة منهم اقوياء يعملون فى البحر ويعيشون بأجرة هذه السفينة ما كان لهم شغل آخر لكسب المعاش سواها فأردت أن اعيبها اذا هى مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها (١) .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٤١٢ كتاب التفسير .

قيل سدوها بقارورة - وقيل بالقار فتح البارى ٨/ ٤١٢ .

وكان وراءهم ملك - وراءهم اى أمامهم (١) وكان ابن عباس يقرء وكان أمامهم ملك (٢) . اى وكان طريقهم على الملك الظالم الذى كان يقبض على السفن الصحيحة وهؤلاء الاخوة الملاحون ما كانوا يعلمون جور هذا الملك - قيل اسم الملك هدد بن بدد (٣) . وقيل اسمه الجلندى الأزدى (٤) وذكرته التوراة فى ذرية العيص ابن اسحاق (٥) .

يأخذ كل سفينة اى سليمة وصالحة (٦) . وفى الآية دليل على جواز الضرر التافه لنيل المنفعة العظيمة وكذا دليل على جواز الحيلة للمصلحين الذين يسعون فى حفظ المظلومين عن اعتداءات الظالم حينما لا يستطيعون منعه عن الظلم كما أعاب العبد الصالح سفينتهم انقاذا من بطش الظالم ودلت الآية على أن المسكين أحسن حالا من الفقير لان القرآن اطلق على هؤلاء كلمة المساكين وكانوا يملكون السفينة وهو من أدلة الامام الشافعى رحمه الله تعالى اذ الفقير عنده من لا مال له ولا كسب والمسكين بعكسه وكذا استدل بقوله عليه السلام اللهم احيينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى

---

(١) وهو قول قتادة وابى عبيد وابن السكيت والزجاج قرطبى ١١/ ٣٤

(٢) نفس المرجع .

(٣) فتح البارى ٨/ ٤١٢ حديث رقم ٤٧٢٦ .

(٤) قرطبى ١١/ ٣٦ - فتح البيان ٥/ ٤٨٥

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٩٨ .

(٦) خ ٥/ ٢٣٥ (دار الفكر) وكان ابن عباس يقرء وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا .

المساكين (١) . وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الفقر بقوله " اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر (٢) وايضا أن تقديم الفقراء في آية المصارف للزكوة دليل لشدة احتياجهم وايضا الفقير بمعنى المفقور اى مكسور الفقار (٣) واما ابو حنيفة رحمه الله تعالى فذهب الى أن الفقير من له أدنى شئ دون النصاب والمسكين من لا شئ له فيحتاج للمسألة واستدل بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة (٤) اى ألصق جلده بالتراب يستر به عورته وألصق بطنه بملفوط الجوع .

واما قوله تعالى" اما السفينة فكانت لمساكين " فيمكن انها لم تكن ملكا لهم بل كانوا اجراء فيها او كانت عارية معهم (٥) او قيل لهم "مساكين " ترحما والمراد من الفقر المتعوذ منه فقر النفس لما روى انه عليه السلام يسأل العفاف والغنى اى غنى النفس لا كثرة الدنيا ويمكن ان يكون الفقير من فقرت له فقرتن مال اذا قطعتها فيكون له شئ وحديث اللهم احينى مسكينا ضعيف (٦)

---

(١) رواه ابن ماجة حديث ٤١٢٦ = ٢/١٣٨١ .

(٢) عون المعبود حديث ٥٠٦٨ - ١٣/ ٤٣٣ .

(٣) اى عظام الظهر فكما أن مكسور الفقار لا يستطيع الحركة فكذا الفقير لعدم الوسائل لا يقدر على الكسب .

(٤) سورة البلد ١٦ .

(٥) روح المعانى ١٦/ ٨ فاللام للاختصاص في هذه الصورة لا للملك .

(٦) وحسنه الترمذى وعده ابن الجوزى فى الموضوعات ،راجع حاشية ابن ماجة حديث ٤١٢٦ - ٢/١٣٨١ .

ولو كان صحيحا فالمراد به التواضع وفسر الأصمعى وابو عمرو بن العلاء المسكين والفقير مثل ما فسره ابو حنيفة وكذا قال ابن قتيبة " ان الفقير الذى له بلغة من العيش والمسكين الذى لا شئ له ، ورد الثعالبى استدلاله بقول الراعى :

اما الفقير الذى كانت حلوبته

وفق العيال فلم يترك له سبد

فقال قد غلط لأن المسكين هو الذى له البلغة من العيش اما سمع قول القرآن اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاثبت لهم سفينة وقوله اولى (١) ما احتج به .

وقال ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى ان المسكين والفقير صنف واحد وفائدة الخلاف تظهر فيما اذا اوصى بثلث ماله مثلا لفلان وللفقراء والمساكين فمن ذهب الى انهما صنف واحد جعل لفلان النصف - والنصف الباقى يوزع بين الفقراء والمساكين ومن قال انهما صنفان جعل للفلان الثلث والثلث للفقراء والثلث للمساكين (٢) .

والفقير والمسكين من الألفاظ التى اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا .

---

(١) اى قول القرآن احرى من غيره لاثبات معنى المسكين .

(٢) روح المعانى ١٥/١٠٨ .

ودلت الآية على ان الزكاة غير واجبة فى آلات الكسب والحرفة حيث اطلقت كلمة المساكين عليهم مع وجود السفينة لهم ، وفى تقديم جملة فأردت أن اعيبها (١) . على جملة وكان وراءهم ملك اشارة الى الاهتمام او لترتبه (٢) . على أقوى الجزء من السبب وهو فقرهم واما خوف الغصب فهو الجزء الضعيف من السبب وفى عزو التعييب الى نفسه رعاية التأدب مع الله سبحانه وتعالى .

وفى هذه الواقعة درس عظيم للمصابين فى الأموال بالصبر والرضاء بالقضا والاستقامة على جادة الحق مهما بلغت المصائب والمخاطر فان القضاء الالهى يصطحب الخير كل الخير .

ففى غرق السفينة مصلحة عظيمة لم يدركها الا الذين يعرفون الأسرار والحكم فى القضاء فكم من الوقائع ظاهرها نقص مالى لكن فى باطنها فوائد جمة وكم من الحوادث ظاهرها نفع وربح لكن فى داخلها خسائر فادحة " وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون (٣)

غصبا - مصدر مبين لنوع الأخذ اى يأخذ أخذ غصب وقد تبين

---

(١) وكان حقه التاخر لانه سبب عن خوف الغصب
بحر المحيط ٦/١٥٤ .

(٢) اى التعييب .

(٣) البقرة ٢١٦ .

بتفسير الخضر عليه السلام أنه لا يوجد مقدار ذرة من القباحة فـــى خرق السفينة اذ لم تغرق بخرق لوحة من جدرانها الجانبية وقـــد سلمت لهم بهذا الخرق من النهب والسلب وماهذا الا كحلق شعـــر الرأس لدفع الأذى (١) كما دلت على حرمة الغصب (٢) وأفادت أن مساعدة الفقراء وأهل العلم تسبب الحفظ من الآفات والمصائب.

---

(١) اكليـــل ١٤٦ .

(٢) نفس المرجع .

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا (٨٠) فأردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما (٨١) .

بيان للواقعة الثانية اى أن الغلام وان كان مولودا فى بيت المؤمنين ورضع من المؤمنة لكنه كفر وعصى .

وروى أن الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا (١) وكان ابن عباس يقرء واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين (٢) . وقال ضحاك كان غلاما يعمل الفساد ويتأذى منه ابواه وقال الكلبى كان يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى ابويه فيحلفان دونه (٣) .

فخشينا ان يرهقهما طغيانا كفرا - اى لما كان كافرا فقتله كى لا يسبب حبه كفر الوالدين وفى الحديث يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه (٤) وفيه رحمة عظيمة من الله بهما حيث حفظهما الله تعالى من الارتداد وفى استعمال صيغ الجمع اشارة الى أن الخضر لم ينفرد بهذا الفعل بل اشترك فيه معه الملائكة المؤكلون فى عالم القضاء والقدر وفى كلمة خشينا رعاية لجانب المباشرين لهذا الفعل (٥) وايضا ان الخشية فى تعدى الكفر الى والديه لا فى قتله

---

(١) فتح البارى فى شرح حديث ٤٧٢٦ - ٨/٤٢١ .
(٢) فتح البارى ٨/٤١٠ كتاب التفسير حديث ٤٧٢٥ .
(٣) عمدة القارى ٩/٢٨ .
(٤) فتح البارى فى شرح حديث ٤٧٢٦ - ٨/٤١٢ .
(٥) فلا يرد الايراد بأن الله كيف يخشى ؟ .

فلا يرد أن الله لما أمره بقتله فما معنى خشية الخضر .او أن الخشية بمعنى العلم لا بمعنى الخوف (١) .

وقال ابن جرير " والخشية والخوف توجههما العرب الى معنى الظن وتوجه هذه الحروف الى معنى العلم بالشيء الذى يدرك من غير جهة الحس والعيان وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى قوله خشينا فى الموضع كرهنا لان الله لا يخشى (٢)

وقال الأخفش المتوسط معنى خشينا كرهنا لان الله لا يخشى وهو فى بعض القراءات فخاف ربك وهو مثل خفت الرجلين ان يحولا وهو لا يخاف اكثر من أنه يكرهه لهما (٣) .

ولما كان انكار موسى أشد فى هذه الواقعة الثانية أكد الخضر فى تفصيلها باستعمال صيغة جمع المتكلم اظهارا لقوة ارادته .

والآية تدل على مؤخذة الوالدين اذا تغافلا عن تربية الأولاد ولم يمنعاهم عن ارتكاب الجرائم .

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما -

قيل " ولدت " لهما جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم (٤) .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١٥٧/٢ .
(٢) تفسير طبرى ٤/١٦ (ط اولى اميرية ١٣٢٨) .
(٣) معانى القرآن للاخفش ٣٩٩/٢ .
(٤) قرطبى ٣٧/١١ روى عن ابن جبير وابن جريج .

وقال جريج لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم (١)

وقال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرضى امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب (٢) ، لقوله تعالى " وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون (٣) .

ان يبدلهما ربهما - أسند فعل الابدال الى الله تعالى وحده لان التعويض عن هذا الولد من تصرفاته تعالى وحده (٤) .

وفي كلمة الرب اشعار باحسان الله تعالى فانه هو يربي عباده بما هو الأصلح لهم اعطاء وسلبا (٥) .

وفي هذه الواقعة درس عظيم للمصابين في الأنفس بان يصبروا ويفوضوا أمرهم الى ربهم الحكيم الخبير فان جميع تصرفاته مصحوبة بالمصالح لا يعلمها الا هو .

كما صار موت الولد الذي كان عارا في الدنيا والأخرة سببا لحفظ ايمان الوالدين وسببا للاولاد الصالحين .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٩٨ .
(٢) قرطبي ١١/٣٨ .
(٣) البقرة ٢١٦ .
(٤) نظم الدر ١٢/١٢١ .
(٥) نظام الدر ١٢/١٢١ .

قال القرطبى " ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بفقد الأولاد وان كانوا قطعا من الأكباد ومن سلم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء ( ) .

زكوة - منصوب على التميز اى طهارة من المعاصى والأخلاق الرديئة (٢) .

وأقرب رحما - بضم الراء وسكون الحاء وبضمهما ايضا (٣) اى اقرب أن يرحما به (٤) . او ابر بوالديه من القتيل الذى قتله الخضر (٥) .

وفى رواية هما به أرحم منهما بالأول الذى قتله الخضر (٦) .

يقال وما أقرب رحم فلان اذا كان ذا مرحمة وبر (٧) .

وقد تبين بتفسير الخضر مصلحة قتل الغلام والحق انه لا مساغ للنقد فى فعل المامور من الله تعالى والا لوجب النقد على ملك الموت الف الف مرة على قبضه ارواح آلاف الألوف من الصبيان بأمر الله جل جلاله .

---

(١) قرطبى ١١/٣٨ - ٣٧ .
(٢) بيضاوى ٢/١١ او زكوة بمعنى اسلاما - فتح البارى ٨/٤٢١
(٣) قرأه ابن عباس القرطبى ١١/٣٧ .
(٤) معانى القرآن للفراء ٢/١٥٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ٣/٩٨ .
(٦) فتح البارى ٨/٤٢١ .
(٧) لسان العرب ١٢/٢٣١ .

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا (٨٢) .

تفسير للواقعة الثالثة - اى الجدار الذى اصلحته بدون أجر فكان ملكا لليتيمين من أهل المدينه .

وكان تحته كنز لهما - اى كنز مدفون لهما .

مالمراد بالكنز ؟ - قيل المراد به الذهب والفضة .

كما روى عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال ذهب وفضة (١) .

وقيل المراد به الأموال المدفونة وألواح حكم ونصائح كما روى عن ابى ذر رفعه قال ان الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت (٢) . مكتوب فيه عجبت لمن ايقن بالقدر ثم نصب وعجبت لمن ذكر النار ثم ضحك - وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل

---

(١) مستدرك ٣٦٩/٢ وصححه الحاكم - جمع الفوائد ٢٣٣/٢ .

(٢) اى خالص لم يخالطه شئ آخر .

لا اله الا الله محمد رسول الله (١) .

وروى بمثل ما هو عن عثمان رضى الله عنه انه قال وفى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال الكنز لوح من ذهب وعليه سبعة أسطـــــر مكتوب فى احداها عجبت لمن عرف الموت وهو يضحك . وعجبـــــت لمن عرف الدنيا فانية وهو يرغب فيها . وعجبت لمن عرف أن الأمـــور بأقدار وهو يغتم للفوات . وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمـــع مالا . وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب . وعجبت لمن عرف اللـــه يقينا وهو يذكر غيره . وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريـــح بالدنيا . وعجبت لمن عرف الشيطان عدوا فأطاعه (٢) .

وروى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال ما كان ذهبـــــا ولا فضة كان صحفا علما (٣) .

وفى كلمة يتسين اشارة الى عدم بلوغهما واستحقاقهما الاحسان كما أن فى كلمة المدينة هنا والقرية هنا لك اشعار ببخلهم اولا واستعدادهم للغصب ثانيا .

فذكر القرآن كلمة القرية فى الاجمال وكلمة المدينة فى التفصيل

---

(١) مجمع الزوائد ٧/ ٥٣ - وتفسير ابن كثير ٣/ ٩٣ - وقال الحافظ ابو جعفر العقيلى فى سنده بشر بن المنذر وفى حديثه وهم تفسير ابن كثير ٣/ ٩٩ .

(٢) الاستمداد ليوم المعاد ص ٦٩ .

(٣) المستدرك ٢/ ٣٦٩ .

لان قرى يقرى قريـــا .

فكانوا مغرمين بجمع الأموال ولا ينفقون منها ، وفى ذكر كلمـــة المدينة اشعار بأن أهل المدينة كانوا مقيمين فيها فلو انهـــدم الجدار لقبضوا على الكنز (١) .

---

(١) نظام الدرر ١٢/ ١٢٢ .

صلاح الأباء يفيد العناية بالابناء

وكان ابوهما صالحا - تدل الآية على ان صلاح الأباء يفيد العناية باحوال الأبناء (١) .

وروى عن ابن عباس كان ابوهما صالحا قال حفظا بصلاح ابيهما وما ذكر عنهما صلاحا (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والأخرة (٣) . وفي رواية البركة مع أكابركم (٤) .

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما انه قال لبعض الخوارج بم حفظ الله كنز الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فأبى وجدى خير منه (٥) .

فذكر قوله " وكان ابوهما صالحا " مع كونهما يتمين اشعارا بتنويه صلاح الأباء وكونه علة لحفظهما والا فاليتم كاف للعلية .

فأراد ربك ان يبلغا أشدهما - الأشد القوة اى اراد ربك ان يصلا

---

(١) تفسير كبير ٢١/١٦٢ - (ط اولى مطبعة عبد الرحمن

(٢) المستدرك ٢/٣٦٩ وصححه وقال على شرط الشيخين .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٩٩ - وقصص الانبياء للحافظ ابن كثير ٢/١٤٩

(٤) مستدرك ١/٩٢ رواه الحاكم عن ابن عباس وقال هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

(٥) كشاف ١/٥٧٨ .

عـن أمـرى .

والحق أن عزو الخضر هذه الأمور مرة الى نفسه ومرة الى اللـه عز وجل لكمال تأدبه مع الله تعالى فلما كان خرق السفينة أمرا معيبا فى بادئ النظر نسبه الى نفسه " فأردت ان أعيبها " وكذا قتـل الغلام بدون اى مبرر فى الظاهر أمر شنيع فقال " فأردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما " الا أن التعويض امر مختص به تعالى فنسبه اليه .

وأما صون الكنز لليتامى فهو أمر مستحسن مرغوب فيه فنسبـه الى الله تعالى قائلا " فأراد ربك ان يبلغا اشدهما " الاية .

ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا - اى ذلك تفسير الوقائـع التى سارعت فى النقد عليها .

اختار القرآن كلمة " لم تستطع فى قوله سأنبئك بتاويل مالـم تستطع عليه صبرا ،لكون الاشكال قويا قبل تفسير الخضر لهـذه الأمور ولما فسرها زال الاشكال فأتى بكلمة لم تسطع فى قوله " ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ليقابل الأثقل والأخف بالأخف(١) . وايضا ذلك مقام البسط والتفصيل وذا مقام النهاية والمفارقة والله اعلم .

---

(١) تفسير ابن كثيـر ٣/١٠٠ .

مواضع العبرة فى قصة موسى والخضر عليهما السلام

١- عزوا لفضل والعلم الى الله تعالى والاجتناب عن الصيغ التى تشم منها رائحة التعلى فالله أمر نبيه موسى عليه السلام بالاستفادة من العبد الصالح حينما لم يرد العلم اليه تعالى .

٢- فضيلة العلم وأهله وفضل السفر فى طلبه .

٣- ليس له حد يجب الوقوف عنده بل على العالم ان يحرص على طلب المزيد منه ولا يقنع بما عنده فموسى عليه السلام مع نبوته ورسالته طلب المزيد .

٤- آداب السفر - وآداب الطلب ، وآداب الكلام ، وشرائط التعليم والتعلم والتواضع فى سبيل العلم .

٥- الاجتناب من التعجيل فى النقد حين مشاهدة الأمور الغريبة حتى يفسر الشيخ حقائقها وتتكشف العواقب .

٦- جواز المناقشة فى المسائل اذ أراد كل واحد احقاق الحق بدون المماراة .

٧- نفى علم الغيب عن موسى والخضر عليهما السلام .

٨- حصره فى الله تعالى .

٩- حصر التصرف فى الله تعالى .

١٠- أن كل ما يقع فى الكون فهو ملئ بالمصالح والحكم .

١١- أن الاطلاع على المغيبات ليس من المقاصد بل المقصود الأعظم هو اتباع الشريعة فموسى عليه السلام مع كونه من الانبياء

لم يعلم عواقب هذه الوقائع [illegible]

١٢- أخذ الزاد للسفر من شأن الأنبياء وهو لا ينافي التوكل .

١٣- اختيار الرفيق المناسب للسفر أمر مستحسن .
[illegible]

١٤- جواز استخدام العالم تلميذه (١) .
[illegible]

سبأ - اي كل ما يرحل [illegible] المقصود من علم وغيره (١) .
[illegible] المراد به العلم [illegible]

يسلك - [illegible] قال القاضي كانت همة موسى وفتاه مشتغلة طلب رحلات العلم وأما ذو القرنين مشتغلة طلب رحلات الجهاد ولما كان العلم أساس الجهاد جمعه وأيضا كل همة تشمل على أمور ثلاثة آخرها بناء دار ونحوها للمعاد (٢) .

تحويب الآيات من السؤال الثالث جوابا موجزا مفيدا على الأسئلة العالية [illegible] المدركين بشتى العصور [illegible]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠١

(٢) [illegible] ١٠١/٢ .

---

(٢) [illegible] ١٠١/٢

(١) معظم هذه الفوائد ماخوذ من فتح الباري ومن تفسير [illegible] ٨/١٢ - ١٢٦ [illegible] الكبير للرازي . [illegible] البشر [illegible] ذو القرنين [illegible] المعاصرة [illegible] الذي [illegible] ذي القرنين [illegible] الأرض [illegible] في الشرق كلمة عامة تشمل كل ما تسطع وما اسلم يا [illegible] [illegible] .

٧- قيل لقب بـه لانه رأى فى اول ملكه كأنه قابض على قرنى الشمـس فسمى بـه (١) .

٨- " " " لان صفحتى رأسه كانتا من نحاس او كان له قرنـان من نحاس فى رأسه او شبه القرنين (٢) .

٩- " " " لانه عاش القرنين من الزمان (٣) .

١٠- " " " أن الملك المؤكل بجبل قاف سماه بذى القرنين (٤) .

١١- " " " كان له علمان أبيض وأسود وجعل الله معجزته فيهما فجعل ضوء النهار فى الأبيض وظلمة الليل فى الأسود فاذا أراد الضوء والنهار فى الليلة المظلمة ينصب العلم الأبيض فيصير الليل مثل النهار المضيء واذا أراد فى وقت المحاربة ان يلقى الظلمة فى عسكر العدو يفعل فيكون النهار عليهم مظلما كالليل ويبقى الضياء والنهار فى عسكره فينهزم العدو (٥) .

١٢- " " " وقيل ان دارا الأكبر تزوج بابنة فيلبس فلما قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردها على ابيهـا

---

(١) فتح البيان ٥/٤٩٥ .

(٢) تفسير قرطبى ١٦/٨ رواه عن وهب بن منبه (او كان لتاجه قرنان - فتح البيان ٥/٤٩٥ .

(٣) بيضاوى ٢/١٢ .

(٤) مروج الذهب ١/٢٨٨ .

(٥) تاريخ الخميس ١/١٠١ .

وكانت قد حملت منه بالاسكندر فلما ولدت به عند ابيها اظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر فهو انما تولد من اصليين مختلفين الفرس والروم (١) .

وهناك اقوال اخرى في وجوه لقبه وفيما ذكرناه كفاية .

قل سأتلوا عليكم منه ذكرا - اى قل للسائلين سأقص عليكم من خبر ذى القرنين او سأتلوا عليكم ايها السائلون من قبل الله تعالى ذكر ذى القرنين (٢) .

انا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا -

وآتيناه الوسائل والأسباب التي يحتاج اليها في فتح البلاد وبسط العدل والسلام في أرجاء المعمورة وشرفناه بعلم الدين والدنيا ، وملكة السياسة المدنية وأمور المملكة ، وليس المراد " من كل شيء " جميع الاسباب في الأرض وفي السموات فانه لا سبيل للبشر الى شيء من ذلك .

قال الحافظ ابن كثير ، وقوله وآتيناه من كل شيء سببا مثل

---

(١) تفسير كبير للرازى ٢١/١٦٤ .

(٢) الضمير المجرور راجع الى ذى القرنين او الى اسم الجلالة بيضاوى ٢/١٢ والوجه الأول أنسب بسياق الآيات لان كون كلمة من للتبعيض أرجح اى سأتلوا بعض ما يتعلق به التذكير والموعظة .

قوله تعالى " واوتيت من كل شيء ، اى مما يؤتى مثلها من الملوك وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب اى الطرق والوسائل الى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الاعداء وكبت ملوك الأرض واذلال اهل الشرك فقد اوتى من كل شيء ما يحتاج اليه مثله سببا والله اعلم (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠١ .

فأتبع سببا (٨٥) حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٧) واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا (٨٨) .

سببا - السبب بمعنى الطريق (١) والمنزل (٢) والعلم (٣) والمعالم والأثار (٤) .

مغرب الشمس - المراد به منتهى الأرض من جهة المغرب (٥) .

وجدها - كلمة وجد تستعمل بمعنى الوجود الخارجى احيانا (٦) وتستعمل احيانا بمعنى الاحساس والوجدان (٧) .

كما قال الالوسى اى وجدها فى نظر العين (٨) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع - او علم منازل الأرض والطرق ، الاشباه والنظائر ص١٠

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

(٦) وهذا المعنى يتطلب التطابق بالواقع والمعرفة بالوجود .

(٧) وهو لا يقتضى التطابق بالخارج .

(٨) روح المعانى ١٦/٣٢ .

وهكذا قال الحافظ ابن كثير (١) .

حمئة - اى ذات حمأة اى طين اسود (٢) .

وقرئ حامية اى حارة ويجوز ان تكون العين جامعة للوصفين (٣) .

ووجد عندها قوما - وجد بالمعنى الاول اى وجد قوما فى الواقع .

فله جزاء الحسنى - جزاء منصوب او مرفوع فالنصب على كونه حالا (٤) . والرفع على كونه مبتدأ (٥) .

تدل الآية على عمق تدبيره وحسن سياسته حيث استعمل الاسباب فى صالح الرعايا وبسط العدلة فى أرجاء العالم .

قلنا يذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا -

الخطاب اليه اما بطريق الوحى او بواسطة نبى فى عهده او بطريق

---

(١) حيث قال اى رأى الشمس فى منظره تغرب فى البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى الى ساحله يراها كأنها تغرب فيه - تفسير ابن كثير ٣/١٠٢ .

(٢) المفردات ص ١٣٣ .

(٣) تفسير بيضاوى ٢/١٢ .

(٤) اى له الحسنى حال كونها جزاء او من الضمير البارز المجرور اى فله الحسنى حال كونه مجزيا او من الضمير المستكن فى الخبر العائد الى الحسنى اى له الحسنى حال كونها مجزيا بها .

(٥) اى فله الجزاء وهو الحسنى اى الجنة او له جزاء الكلمة الحسنى (كلمة التوحيد) فالاضافة بيانية فى الصورة الاولى او اضافة المسبب الى السبب فى الصورة الثانية .

الالهـــام .

والآية تدل على مكانته السامية حيث شرفه الله تعالى بتفويـــض أمر القوم اليه وخيره بين ان يعذبهم لأجل كفرهم وبين ان يمهلهـم ويجاملهم ليتعلموا الدين ، اذ اتخاذ الحسن فيهم يقتضى دعوتهم الى التوحيد فمن استجاب فله الحسنى ومن أبى فله العذاب .

قال أما من ظلم - اى كفر بالله واستمر على كفره (١) .

فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكـــرا -

وفى كلمة سوف وصيغة نعذب للمستقبل اشارة الى سعة صدر ذى القرنين وكمال مروءته حيث لم يعجل فى تعذيبهم بل أمهلهـم ودعاهم الى الايمان ، ولا ريب ان المجاملة والشفقة على الجهـال وارخاء العنان لهم مع القدرة على تعذيبهم شان المقربين .

ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا - اى عذابا شديدا خارجـــا عن دائرة التصور .

واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء ن الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا - اى من آمن بالتوحيد والبعث بعد الموت وعمل صالحـــا

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠٢ .

فله الجنة . او ونلاطفه فى الكلام " وقولوا للناس حسنا (١) .

علينا أن نتدبر فى هذه الكلمات التى فيها قبس للملوك والحكـــــا الذين يسعون لصالح الرعية .

اذ هى تدل على الصفات التى لا بد للراعى ان يتصف بها .

من الايمان بتوحيد الله تعالى وباليوم الأخر ، وفرقه بين المؤمن والكافر ، وفهمه قوانين الشريعة وهذا أشد وجوبا على الحكام اذ يتوقف عليه تنفيذ الحدود والتعزيرات التى بها قوام العدل وبقـاء الأمن ، وفى سلوك ذى القرنين مع الكافرين والمؤمنين درس عظيم لأرباب السلطة بان يرشدوا الظالمين المتصين دماء الأبريـــــاء والمفسدين فى الأرض ويدعوهم الى التخلق بالأخلاق الفاضلة وينهوا الآثمين المعتدين من اعتدائهم باللين والرفق وأن يشجعوا الصالحين بالاكرام والانعام لان الشدة فى محلها اطيب واللين فى مقامه أنسب وهما من أنجح الوسائل فى شئون الدولة .

ووضع الندى فى موضع السيف بالمدى

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

---

(١) سورة البقرة ٨٣ .

ورسالة الاسلام فى أمس حاجة الى السلطة العادلة التى ترسخ قوائم الدولة بهسط الأمن والسلام ونشر المودة والمحبة والمنهج الاسلامى يتطلب من المسلمين ان يدعوا الناس الى الصراط المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة وينهاهم عن الفواحش والمنكرات ، واذا بدأ الطغاة يلعبون بقيم الناس واعراضهم ويسخرون بالشعائر الاسلامية فهذه السلطة العادلة تؤدبهم وتقومهم .

اذا كنتم للناس فى الأرض قادة

فسوسوا كرام الناس بالحلم والعدل

وسوسوا لئام الناس بالذل وحده

صريحا فان الذل أصلح للعدل

ثم أتبع سببا (٨٩) حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) .

اى ثم سلك طريقا الى مطلع الشمس حتى انتهى اليه وجدها طالعة على القوم ولم يكن لهم بيوت تحفظهم من حر الشمس ولا اشجار يستظلون بها .

كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا - اى كان أمر ذى القرنين فى أهل المشرق مثل أمره فى اهل المغرب من التخيير او أمر ذلك القوم فى الكفر مثل اهل المغرب وحكمهم مثل حكمه فى تعذيبه لمن استمر على الظلم واحسانه الى من آمن منهم (١) .

وقد أحطنا بما لديه خبرا - اى نحن مطلعون على جميع احواله واحوال جيشه لا يخفى علينا منها شئ وان تفرقت امتهم وتقطعت بهم الأرض فانه تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء (٢). او نحن مطلعون على استعداده الكامل وانسانيته المقولة المتوجه بعدله التام وسلوكه اللين على غرار قوله تعالى فى حق خليله

---

(١) تفسير مدارك ٣/١٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٠٣ .

" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (١) .

اى اعطينا له منصب الامامة والهداية حسب علمنا لصلاحياته المستحقة لهذه السيادة .

وفى كلمة قد أعطانا - اشارة الى سعة علمه تعالى بأنه محيط بجميع ما كان وما يكون ، واما هذه الوقائع وأسفاره غربا وشرقا وشئون دولته وجنوده فهى بمنزلة القطرة من بحار علومه تعالى .

---

(١) سورة الانبياء ٥١ .

ثم اتبع سببا (٩٢) حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) أتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال أتونى افرغ عليه قطرا (٩٦) .

السدين - تثنية السد بضم السين وفتحها الجبل والحاجز(١) السد بالسين والصد بالصاد بمعنى واحد (٢) .

يفقهون يعلمون - من دونهما قوما قيل هم الترك (٣) .
وقيل غيرهم لان الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين وبنى السد فبقوا خارجا فسموا بالترك لتركه اياهم وراءه (٤) .

يأجوج ومأجوج - على وزن يفعول ومفعول اسمان عجميان وقيل

---

(١) لسان العرب ٤/١٩٠

(٢) نفس المرجع ٤/٢٣٣ .

(٣) التسهيل ٢/٣٥٦ .

(٤) فتح البارى كتاب الفتن ١٢/١٠٧ .

عربيان من اج الظليم اذ أسرع اوأجت النار اذا التهبت(١) .

وهما قبيلتان من بنى آدم (٢) .

" خرجا " - اى جعلا نخرجه من أموالنا (٣) او اجرا عظيما (٤) .

" ما مكنى فيه ربى " - اى ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك (٥) .

ردما - اى حاجزا حصينا وهو اكبر من السد (٦) .

زبر الحديد - جمع زبرة بمعنى القطعة الكبيرة (٧) .

الصدفين - بفتحتين وبضمتين وقرئ بالضم فالسكون والصدف جانب الجبل (٨) الصدفين الجبلين (٩) .

قطرا - اى نحاسا مذابا (١٠)

فى سلوك ذى القرنين مع الرعايا دروس جوهيرية للملوك والسلاطين

---

(١) فعلى الاول منع صرفهما لأجل العلمية والعجمة وعلى الثانى لاجل العلمية والتانيث .

(٢) تفسير بيضاوى ١٣/٢ .

(٣) تفسير مدارك ١٤٧/٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٤/٣ .

(٥) تفسير بيضاوى ١٣/٢ .

(٦) بيضاوى ١٣/٢ .

(٧) فتح البارى ٣٨١/٦ .

(٨) جلالين ٨/٢ .

(٩) فتح البارى ٣٨١/٦ (١٠) لانه يقطر مدارك ١٤٨/٣ .

فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هـذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعنـهـم جمعا (٩٩) .

دكاء - بالمد والهمز اى مدكوكا مسوى بالارض ناقة دكاء اى ليس لها سنام (١) اى ما قدروا على أن يعلوه ولا على ان ينقبـوه ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال فما اسطاعوا ان يظهروه - بدون التاء - وما استطاعوا له نقبا مـع التاء (٢) .

والآية صريحة فى عدم قدرتهم على الصعود من فوق السـد وكذا على عدم قدرتهم على النقب فيه .

قال هذا رحمة من ربى -

اعترف ذو القرنين بآلاء الله تعالى بعد ما كمل البناء الشامخ وأحس لذة فى أعماق فؤاده بعد اداء واجبه فى مساعدة المظلومين

---

(١) بيضاوى ٢/١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٠٤ .

عليك بالعدل ان وليت مملكة

واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على عدل الكنوز ولا

يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

والقارئ المتأمل يرى فى قوله " ما مكنى فيه ربى خير" وكذا فى قوله " هذا رحمة من ربى " ايمانه الراسخ وعقله السليم ، وعلمه النافع ، وسخاءه العميم ورفقه وصدقه والشجاعة والأناءة .

ولا ريب أن المؤمن الحساس اذا نسب جهوده فى سبيل الله تعالى الى الله تعالى يجد بها طمأنينة النفس وراحة الضمير والوجدان تتضاءل أمامها راحة كل ثناء وثواب .

ليس الكريم الذى يعطى عطيته

على الثناء وان اغلى به الثمنا

بل الكريم الذى يعطى عطيته

لغير شئ سوى استحسانه الحسنا

وهذه هى نفسية المؤمن الصادق حيث لا يغفل عن ذكر الله تعالى فى حين من الأحيان ، ولا ينفخ بمنصبه الرفيع وأمواله الطائلة واما نفسية الكافر فقد شاهدناها فى صاحب الجنتين حينما دخل جنته ورأها مزدهرة بالثمار فافتخر قائلا :

" ما اظن ان تبيد هذه أبدا " .

"فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا "

اى كائن لا محالة .

اختلف المفسرون فى تعيين المراد بالوعد فقال البعض المراد به وقت خروج يأجوج ومأجوج وقال البعض المراد به يوم القيامة فمن لا حظ قوله عليه السلام " ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا حمل الوعد على خروجهم .

ومن رأى أن قوله تعالى " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا" يدل على صلابة السد وصموده وأن اندكاك الأرض ونسف الجبال سيقعان يوم القيامة وجعل آية سورة الانبياء " حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " مفسرة لاية سورة الكهف اراد بالوعد يوم القيامة (١) .

ومن راعى كلا الجانبين قال المراد به يوم القيامة او يوم خروجهم ثم اختلف القائلون بحمل الوعد على خروجهم فى أن خروجهم قد تحقق او سيقع فى المستقبل قبل الساعة فذهب البعض الى الاول بدليل ماروى عنه عليه السلام حينما استيقظ من نومه وهو محمر

---

(١) كما قال ابو السعود " وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم - تفسير ابى السعود ٥/٢٤٦ .

وجهه وهو يقول " لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث (١) .

قال الشيخ الكرماني في شرح كلمة " ويل للعرب " انما خصص بهم لأن معظم مفسدتهم راجع اليهم وقد وقع بعض ما اخبر به صلى الله عليه وسلم حيث يقال ان يأجوج هم الترك وقد أهلكو الخليفة المستعصم وجرى ما جرى ببغداد (٢) .

ويقول الشيخ القاسمي " والغالب أن المراد بخروجهم هذا خروج المغول التتار وهم من نسل ياجوج وماجوج وهو الغزو الذي حصل منهم للامم في القرن السابع الهجري وناهيك بما فعلوه اذ ذاك في الأرض (٣) .

ويقول الشيخ المراغي في تفسير قوله تعالى " وكان وعد ربي حقا "

---

(١) فتح الباري حديث ٣٣٤٦ - ٦/٣٨١ .
وحلق اى حلق باصبعه الابهام والتي تليها عقد العشرة او التسعين او المائة حسب الروايات - الخبث الفسوق او الزنا او اولاد الزنا والمعنى الأول أظهر وأشمل .

(٢) شرح الكرماني كتاب بدء الخلق حديث ٣١٣٠ - ١٤/٩
كذا قاله الحافظ بدر الدين العيني عمدة القاري ١٥/٢٣٨ .

(٣) تفسير قاسمي ١١/٤١١٤ .

وقد جاء وعده تعالى بخروج جنكيزخان وسلالته فعاثوا فى الأرض فسادا من الشرق والغرب وفعلوا الأفاعيل بالدولة الاسلامية وأزالوا معالم الخلافة من بغداد كما علمت ذلك فيما سلف - ثم ذكر سبب خروج جنكيزخان ونقل رواية البخارى " ويل للعرب من شر قد اقترب " ثم قال " ولقد اتسع ذلك الفتح من هذا التاريخ شيئا فشيئا حتى فتح من آخره فى القرن السابع الهجرى وخرج هؤلاء القوم كما قدمنا (١) .

ويقول القاسمى " ولا يوجد فى القرآن ما يدل على بقائه الى يوم القيامة واما قوله تعالى " هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء " فمعناه أن هذا السد رحمة من الله بالأمم القريبة منه لمنع غارات يأجوج ومأجوج عنهم ولكن يجب عليهم ان يفهموا أن مع متانته وصلابته لا يمكن ان يقاوم مشيئة الله القوى القدير فان بقائه انما هو بفضل الله ولكن اذا قامت القيامة وأراد الله فناء هذا العالم فلا هذا السد ولا غيره من الجبال الراسيات يمكنها أن تقف عشرة لحظة واحدة أمام قدرة الله فمراد ذى القرنين بهذا القول تنبيه تلك الأمم على عدم الاغترار بمناعة هذا السد او الاعجاب والغرور

---

(١) تفسير مراغى ١٦ / ٢٠

بقوتهم فانها لا شيء يذكر بجانب قوة الله فلا يصح ان يستنتج من ذلك أن هذا السد يبقى الى يوم القيامة بل صريحه أنه اذا قامت القيامة في اي وقت كان وكان هذا السد موجودا دكه الله دكا (١) وقال الشيخ " انور شاه " وينبغي ان يعلم ان قول ذي القرنين " هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا " قول من جانبه لا قرينة على جعله منه من أشراط الساعة ولعله لا علم له بذلك وانما أراد وعد اندكاكه فان قوله تعالى بعد ذلك " وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض " للاستمرار التجددي نعم قوله تعالى " حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون " هو من أشراط الساعة لكن ليس فيه للردم ذكر فاعلم الفرق (٢) ثم فصل هذه المسئلة فقال في آخره واعلم أن ما ذكرته ليس تاويلا في القرآن بل زيادة شيء من التاريخ والتجربة بعد ان اخراج لفظة من موضوعه (٣).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى " وما استطاعوا له نقبا " اي في ذلك الزمان لان هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل باذن الله لهم في ذلك قدرا وتسليطهم عليه

---

(١) تفسير قاسمي ١١/٤١١٤ .

(٢) عقيدة الاسلام ص ٢٠١ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٠٣ .

بالتدريج قليلا قليلا حتى يتم الأجل ويقضى الأمر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى " وهم من كل حدب ينسلون " (١) .

واما الذين حملوا الوعد على يوم القيامة بدليل قوله تعالى " فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا " استدلوا ايضا بالروايه التى وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى السد " قال يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم او اراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر الناس منهم فيرمون بسهامهم فى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الأرض وعلونا من فى السماء قسرا وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا (٢) فى أقفائهم فيهلكون فوا الذى نفس محمد بيده ان دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم (٣) .

فهذا الحديث يدل على انهم لا يستطيعون نقبه الا عند قرب

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ١١٢ .

(٢) نغفا جمع نغفة دودة فى أنوف الابل والغنم .
اقفائهم اى رقابهم .

(٣) تحفة الأحوذى حديث ٥١٦٠ - ٨/ ٥٩٧ .

الساعة وهؤلاء العلماء اولوا قوله عليه السلام " فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج " على شيوع الفتن والشرور على سبيل الاستعارة وقالوا ليس المراد به الفتح الحقيقي والا لوقع التعارض مع الآية " فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا وكذا مع حديث حفر السد

والراجح ما ذهب اليه الحافظ ابن كثير والقاسمي والشيخ انور شاه وصفوة اقوالهم أن خروج يأجوج ومأجوج من امارات الساعة كما هو الظاهر من قوله تعالى " حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " (١) وليس في هذه الآية ذكر اندكاك السد ، واما آية سورة الكهف فهي تدل على أن ذا القرنين شكر الله تعالى على توفيقه اياه لبناء هذا السد الرفيع المنيع وليس فيها ما يدل على انه يبقى الى يوم القيامة فعلم من مجموع هذه الآيات الأمران :-

الاول : أن السد سينهدم قبل خروجهم .

---

(١) وما قال المراغي في تفسير قوله تعالى " حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج " وتلك حال تنطبق على قوم جنكيزخان فقد كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى كل هذا قبل النفخ في الصور بزمن مجهول غير معلوم - (تفسير مراغي ١٦ / ٢٠) وكذا ما قال الطنطاوي في نفس هذه الآية اي فتحت جهتهم على أحد التفسيرين ولقد فتحت تلك الجهة في اوائل القرن السابع (جواهر القرآن ٩ / ٢٠٤) فهو يخالف ما عليه الجمهور فانهم قالوا ان آية سورة الانبياء صريحة في خروجهم قبيل الساعة .

الثانى : ان الوقت الموعود لخروجهم عند قرب الساعة .

كما صرح به الشيخ انور شاه " وليس فى القرآن أن هذا الخروج يكون عقب اندكاك السد متصلا بل فيه وعد باندكاكه فقط فقد انسد كما وعد أما ان خروجهم موعود بعد اندكاكه بدون فصل فلا خوف فيه (١) فاندكاك السد مسئلة منفردة وهى مذكورة فى آية سورة الكهف .

وخروج ياجوج وماجوج مسئلة مستقلة مذكورة فى سورة الانبياء لا علاقة بينهما واما حديث حفر السد فقال الامام الترمذى فى درجته " هذا حديث حسن غريب انما نعرف من هذا الوجه مثل هذا " وقال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى ولكن متنه فى رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتفاعه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه الا القليل الى آخره ثم قال الحافظ هذا متجه ولعل ابا هريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به ابو هريرة

---

(١) فيض البارى ٤/٢٣ .

فتوهم بعض الرواة عنه انه مرفوع والله اعلم (١) ثم قال ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري الى آخر الحديث (٢) .

ثم ذكر نوادر السند (٣) وغرض الحافظ ابن كثير ان الرواية المرفوعة تدل على فتح السد فرواية الترمذي التي في رفعه نكارة مرجوحة في ازاء هذه الرواية المرفوعة (٤) وقال الشيخ انور شاه وآما رواية الترمذي فهو قول كعب الاحبار ويحكم وجداني أنه ليس بمرفوع بل هو من كعب نفسه (٥) .

وبما ذهب اليه الحافظ ابن كثير والشيخ انور شاه والشيخ القاسمي وامثالهم يرفع التعارض بين الروايات ويحمل قوله عليه السلام " فتح اليوم " على المعنى الحقيقي فثبت أن خروجهم من امارات

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠٥

(٢) المذكور في ص

(٣) وهي رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ، واجتماع اربع نسوة في السند كلهن يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضي الله عنهن - تفسير ابن كثير ٣/١٠٥ .

(٤) لان رواية الترمذي تحتمل ان تكون ماخوذة من الاسرائيليات فكيف تقاوم الرواية المرفوعة التي رواها الشيخان .

(٥) فيض الباري ٤/٢٤ .

الساعة ولكن بين خروجهم والساعة فاصل وذلك أن أمارات الساعة على انواع : -

- امارات بعيدة : كشق القمر (١) وبعثة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم (٢) وقلة العلم وكثرة الجهل وتباهى الناس فى المساجد وتضييع الأمانة وما الى ذلك .

- وامارات قريبة بالساعة : كطلوع الشمس من مغربها و كالدخان .

- وامارات متوسطة بين البعيدة والقريبة : كخروج يأجوج ومأجوج والدجال ونزول المسيح عيسى ابن مريم وما الى ذلك من العلامات(٣)

وقد وردت روايات كثيرة فى ذكر خروج يأجوج ومأجوج منها ما

---

(١) اقتربت الساعة وانشق القمر - سورة القمر ١ .

(٢) وفى الحديث " بعثت انا والساعة كهاتين " .

(٣) كما روى عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج ياجوج وماجوج وخروج ابن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق او تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا - مسند الامام احمد ٤/٧ .

ذكرنا من رواية النواس بن سمعان (١) ومنها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لى بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم بى بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها احد الا الله وفيما عهد الى ربى أن الدجال خارج ومعى قضيبان فاذا رأنى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله فاذا رأنى حتى أن الحجر والشجر يقول يا مسلم ان تحتى كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم ولا يأتون على شئ الا هلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى اوطانهم ليشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ،ففيما عهد الى ربى أن ذلك اذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدرى اهلها متى تفجؤهم بولدها ليلا او نهارا (٢) .

---

(١) التى مر ذكرها فى بيان فضل سورة الكهف ص

(٢) رواه احمد عن ابن مسعود ١/ ٣٧٥ .

تجوى الأرض اى تنتن الأرض من نتن ريحهم .

كالحامل المتم اى التى تمت مدة حملها وقربت مدة الوضع.

وبعد أن فرغنا من الآيات التي بينت قصة ذى القرنين واستيلائه على اقصى المغرب والمشرق والشمال نود ان نقف على شخصيته فان اقوال المفسرين والمؤرخين فى هذا الموضوع متضاربة فذهب البعض الى أن المراد به الاسكندر بن فيلبس (١) وذهب البعض الى انه صعب بن ذى مرثد بن الحارث الرائش - وقيل هو معاصر ابراهيم عليه السلام وقيل هو من ملوك الحيرة منذر بن ابى القيس المعروف بمنذر الأكبر ،وقيل هو خورس (٢) وهناك أقوال اخرى أشرنا اليها فى الجدول المرفق اجمالا .

---

(١) او فيلقوس ،بانى الاسكندرية ولد فى مقدونية - عهده بين ٣٥٦ - ٣٢٤ ق م .

(٢) خورس اوقورش م ٥٣٩ ق م .

" الأقوال فى شخصية ذى القرنين "

١- قيل انه الاسكندر بن فيلقس (١) بانى الاسكندرية (٢) .

٢- " " الصعب بن ذى مرثد (او مراثد) بن الحـــــارث الرائش (٣) .

٣- " " ابو كرب شمس بن عبير بن افريقش الحميرى (٤) .

٤- " " مرزبان بن مرزبه من ولد يونان بن يافث (٥) .

٥- " " عبد الله بن الضحاك بن معد بن عدنان (٦) .

٦- " " مصعب بن عبد الله من اولاد كهلان (٧) .

٧- " " هميسع ابو الصعب بن عمرو بن عرب بن زيد بن كهلان (٨)

٨- " " المنذر الاكبـــر (٩) .

---

(١) اوفيلقـوس .

(٢) تفسير كبير ٢١/١٦٣ - ١٦٥ وغرائب القرآن ٢١/١٦ - بيضاوى ١٢/٢ - تفسير قاسمى ٤٠٩٩/١١ .

(٣) عمدة القارى ٣٣٧/٧ .

(٤) روح المعانى ٢٩/١٦ .

(٥) تفسير طبرى ١٧/١٦ - تفسير قرطبى ٦٥/١١ - الأنساب للسمعانى باب الذال والواو .

(٦) عمدة القارى ٣٣٧/٧ - تاريخ الخميس ١٠١/١ .

(٧) فتح البارى ٣٨٤/٦ ، عمدة القارى ٣٣٧/٧ .

(٨) الأنساب للسمعانى باب الذال والوار .

(٩) الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٤٧ .

٩- قيل أنه هرمس او هرديس بن قيطون النبطى (١) .

١٠- " " صعب بن ذى يزن الحميرى من ولد وائل بن حمير (٢)

١١- " " كورش (٣) .

١٢- " " ملك أهبطه الله الى الارض وأتاه الملك (٤)

وهناك اقوال اخرى وفيما ذكرناه كفاية .

---

(١) تفسير قرطبى ١١/٤٦ - البداية والنهاية ٢/١٠٥ .

(٢) تفسير قرطبى ١١/٤٦- روح المعانى ١٦/٢٣ .

(٣) فتح المنان ٥/١٤٢ ترجمان القرآن ٢/٤٠٠-٤٢٠
قصص القرآن ٣/١١٧ - ٢٤٤ - الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٤٧ .

(٤) روح المعانى ١٦/٢٣ .

والأنسب بهذه الرسالة الوجيزة ان نذكر الأقوال المشهورة وهي اربعة : -

القول الأول : أن ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلبس (١) بدليل أن ما بينه القرآن من سيطرته على المغرب والمشرق ينطبق تماما عليه لانه ملك بلاد الروم والمغرب بعد وفاة ابيه وقاتل دارا ابن دارا وملك بلاد الفرس والهند والصين واستولى على آرمينيه وآذربيجان وبنى السد في هذه المنطقة (٢) .

والقول الثاني : أن المراد به هو صعب بن ذي مرثد بن الحارث الرائش بدليل قول ابن عباس حينما سأل عنه عن ذي القرنين فقال من حمير وهو الصعب الذي مكنه الله في الارض قيل فالاسكندر قال كان رجلا

---

(١) فيلبس او فيلقوس باني الاسكندرية ولد في مقدونية وتوفي ببابل عهده بين ٣٥٦ - ٣٢٤ ق م .

(٢) ذهب الى هذا القول الفخر الرازي ٢١/١٦٣ - ١٦٥ .
والقاضي البيضاوي ٢/١٢ .
والنيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٦/٢١ .
والقاسمي ١١/٤١٠٧ - ٤٠٩٩ .
وفريد وجدي دائرة المعارف ١/٣١٤ .
وأمثالهم من المفسرين والمؤرخين .

صالحا روميا حكيما وكذا أجاب كعب الاحبار فقال الصحيح عندنا من أحبارنا واسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذى مراثد وكذا قال وهب بن منبه ورجح الحافظ ابن حجر العسقلانى هذا القول بقوله " ويؤخذ من اكثر هذه الشواهد أن الراجح فى اسمه الصعب (١) لان الاذواء من اليمن كذى المنار وذى نواس وذى النون وذى يزن (٢) .

وقد وصف ابو كرب التبع جده بذى القرنين :

قد كان ذو القرنين جدى مسلما

ملكا تدين له الملوك وتسجد (٣) .

وقال النعمان :-

فمن ذا يعادينا من الناس معشر

كراما فذو القرنين منا وحاتم

وقال الحارثى :-

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه

فى الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذى القرنين يقبله

أهل الحجى فأحق القول ما قبلا

---

(١) فتح البارى فى شرح حديث ٣٣٤٨ = ٦/ ٣٨٥ .

(٢) تفسير ابى السعود ٣/ ٥٤٦

(٣) وفى بعض الكتب تحشد بدل تسجد كما فى البداية والنهاية ٢/ ١٠٥ .

وقال ابن ابى ذئب الخزاعى :-

ومنا الذى بالخافقين تغربـا

وأصعد فى كل البلاد وصوبـا

فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا

وفى ردم ياجوج بنى ثم نصبـا

وذلك ذو القرنين تفخر حميـر

بمسكرليس يحصى نحـ... (١)

وكذا أطلق امرء القيس واوس بن حجر وطرفة بن العبد علـى الملوك الحميرين كلمة ذى القرنين (٢) .

والقول الثالث : انه معاصر لابراهيم عليه السلام وقد اجتمعا فى موسم الحج وقد احتكم اليه ابراهيم فى معاملة وحكم له وكان الخضر وزيرا له وذهب الى هذا القول اكثر السلف ويميل اليه رأى الحافظ ابن حجر العسقلانى (٣) فانه روى من طريق عطاء

---

(١) دائرة المعارف للبستانى ٨/٤١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٠٠ .

(٣) فتح البارى ٦/٣٨٢ - وقال السهيلى هما أثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام والآخر كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام " والمذكور فى القرآن هو الأول فتح البارى ٦/٣٨٤ .

عن ابن عباس أن ذا القرنين سأل ابراهيم ان يدعوا له فقال وكيف وقد أفسد تم بثرى فقال لم يكن ذلك عن أمرى يعنى أن بعض الجند فعل ذلك لغير علمه .

وروى ابن ابى حاتم من طريق على بن احمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم واسماعيل يبنيان الكعبة فاستفهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش فشهدت فقال : قد صدقتم قال واظن الأكبش المذكورة حجارة ويحتمل ان تكون غنما فهذه الأثار يشد بعضها بعضا (١) .

واستنبط الحافظ ابن حجر العسقلانى من تنسيق البخارى استنباطا دقيقا حيث قال " وفى ايراد المصنف ترجمة ذى القرنين قبل ابراهيم اشارة الى توهين قول من زعم انه الاسكندر اليونانى (٢) . ثم بين العسقلانى فى الفرق بينهما بأن عهد اليونانى قبل النبى عيسى عليه السلام بثلثمائة سنة وبين عيسى عليه السلام وابراهيم عليه السلام اكثر من الفى سنة وأن ذا القرنين عربى والاسكندر

---

(١) فتح البارى ٦/ ٣٨٢ - وتفسير ابن كثير قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد الاية ١/ ١٧٩ .

(٢) فتح البارى ٦/ ٣٨٢ وأثبت الحافظ العسقلانى الفرق بين المقدونى وبين ما بينه القرآن بوجوه ثلاثة ١- ان ذا القرنين حج ماشيا فلقى ابراهيم ٢- ان ذا القرنين نبى والاسكندر كافر ٣- اسكندر يونانى وهم من ولد يافث وذا القرنين عربى عن ولد سام بن نوح ..

يونانى . وقال ان اطلاق ذى القرنين على اليونانى لاجل الرواية الضعيفة التى لا يعتمد عليها حيث اطلق فيها عليه الرومى وبانى الاسكندرية (١) .

وهكذا قال الحافظ ابن كثير (٢) بأن الاشتباه لأجل اشتراك الاسم - اسكندر - بينهما وقال شيخ الاسلام ابن تيمية " وكذلك حكماء اليونان مثل أرسطوا (٣) . وامثاله كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب وكان ارسطوا قبل المسيح بثلمائة سنة وكان وزيرا للاسكندر بن فيلبس المقدونى وهو الذى يؤرخ له تواريخ الروم واليونان ويؤرخ به اليهود والنصارى وليس هذا هو ذو القرنين الذى ذكره الله فى كتابه كما يظن بعض الناس ان ارسطوا كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا ان ذاك اسمه الاسكندر وهذا قد يسمى بالاسكندر ظنوا ان هذا ذاك كما يظنه ابن سينا وطائفة معه وليس الأمر كذلك بل هذا الاسكندر المشرك الذى قد كان ارسطوا وزيره متاخرا عن ذاك ولم يبن السد ولا وصل الى بلاد ياجوج وماجوج (٤) . وكذا قال الشيخ ابن القيم الجوزية (٥) .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) البداية والنهاية ٢/١٠٥ .

(٣) كان ينكر الصانع ويقول بقدم العالم تلبيس ابليس ص ٤٤ ، واغاثة اللهفان ٢/٢٦٠ .

(٤) الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٠ - وكذا فى كتاب " الرد على المنطقين ص ١٨٦ .

(٥) اغاثة اللهفان ٢/٢٦٤ - ٢٦٥ .

والمفسر النيسابوري والألوسي والمقدسي وأمثالهم وان اجابوا عن هذا الاشكال (١) لكن جوابهم لا يرفع الاشكال لثبوت شركه بالتواتر ، قال محمد فريد وجدي " فلما دخل مدينة بابل وكان بها الصنم المشهور باسم بعل قرب له قربانا على عادته في عبادة كل اله يصادفه في فتوحاته وكذا قوله " وقبل سفره للفتوحات أراد ان يستخير الألهة في معبد " دلف " على عادتهم (٢) .

والقول الرابع: أن المراد به كورش (٣) واليه ذهب الشيخ

---

(١) وهو كونه تلميذا للمشرك ، قال النسفي قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر ، وقال الألوسي " بان التلمذة على شخص لا توجب الموافقة في جميع مقالاته ألا ترى كثرة مخالفة الامامين لشيخهما الامام ابي حنيفة وفي ذبحه في مذبح بيت المقدس دليل على كونه موحدا وذكر الشهرستاني أن الحكماء تشاوروا في أن يسجدوا له اجلالا فقال لا يجوز السجود لغير بادئ الكمل روح المعاني ١٦ / ٢٣ وكذا قال القاسمي في تفسيره ١١ / ٤١٠٧

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ١ / ٣١٤ .

(٣) كورش او قورش أحد ملوك فارس المصلحين وأشار اليه صاحب الموسوعة العربية ص ٨٤٧ " او يراد به قورش أحد ملوك فارس المصلحين وصل في فتوحه الى بلخ " وقال في بحث ياجوج وماجوج ص ١٩٧٩ الأمر الذي دفع ذا القرنين او قورش الى بناء سده الحديدي كم يمنع تدفقهم .

عبد الحق الحقانى (١) والشيخ ابو الكلام آزاد (٢) والشيخ حفظ الرحمن (٣) ومال اليه الأستاذ المودودى (٤) .

والمفسر الحقانى أشار الى ما فى الكتب السماوية وابو الكلام استوعب جميع النصوص المتعلقة "بكورش" الواردة فيها ثم الشيخ حفظ الرحمن بسط كل البسط ، وملخص ما ذهب اليه هؤلاء المشايخ أن كونه الاسكندر بن فيلبس المقدونى يعارض النصوص القرآنية لانها تصرح بايمانه الكامل والمقدونى كان مشركا تعلم من ارسطا طاليس كما صرح به الحافظ ابن كثير أن ذا القرنين غير الاسكندر بن فيلقوس قائلا " وانما نبهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد ..... فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فان الاول كان عبد الله مؤمنا صالحا وملكا عادلا وكان وزيره الخضر وقد كان نبيا (٥) على ما قررناه قبل هذا

---

(١) فى تفسيره فتح المنان ٥/ ١٤٢ - ١٤٣ - الشيخ عبد الحق الحقانى من كبار مشائخ الهند وتفسيره بلغة أردو فى سبع مجلدات ومقدمة التفسير مليئة بأهم المباحث والرد على اليهود والنصارى والهنادكة والفرق الباطلة الاخرى .

(٢) فى تفسيره " ترجمان القرآن ٢/ ٤٠٠ - ٤٢٠ ، وتفسيره بلغة أردو وقد ترجمته فى صفحة .

(٣) فى كتابه قصص القرآن فى ثلث مجلدات بلغة أردو .

(٤) تفهيم القرآن ٣/ ٢ ف- ٤٣ .

(٥) اى كان الخضر نبيا .

واما الثانى فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانيهما أزيد من الفى سنة فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان الا على غبى لا يعرف حقائق الامور (١) .

وكذا صرح الفخر الرازى بكفره (٢) . والامام بدر الدين العينى (٣) والمقريزى (٤) وذكر البستانى وصية المقدونى الدالة على شركه (٥) وقال السمعانى اما ذو القرنين المذكور فى القرآن فهو غير الاسكندر حتما (٦) .

ويقول ابو الكلام أزاد وحفظ الرحمن أن اقوال العلماء مضطربة فى اسم الملك الحميرى الذى يطلقون عليه لقب ذى القرنين

---

(١) البداية والنهاية ٢/١٠٥ - ١٠٦ -

(٢) تفسير كبير ٢١/١٦٣ - ١٦٥ .

(٣) عمدة القارى ٧/٣٣٧ .

(٤) خطط المقريزى صرح بكونه شريرا وماكرا ١/٢٧١ .

(٥) وفيه " ثم لما رأى ان لا رجاء له بالشفاء وان ساعته دنت نزع خاتمه من اصبعه وسلمه الى الامير برديكاس واوصاه ان ينقل جثته الى هيكل المشترى بواحات " سيوة " ليدفن هناك بين الاصنام = دائرة المعارف للبستانى ٣/٥٤٨ .

(٦) الأنساب للسمعانى ٦/١٥ .

ولأجل هذه الاضطرابات لم يجزم ابن حجر بل اكتفى بقوله " ويؤخذ من اكثر هذه الشواهد أن الراجح فى اسمه الصعب " (١) وايضا يعارض هذا ما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى تبع أنبيا كان ام لا وما ادرى ذا القرنين أنبيا كان ام لا وما أدرى الحدود كفارات لاهلها ام لا (٢) .

فان هذه الرواية تصرح على أن التبع غير ذى القرنين وايضا أن الصعب ليس بتبع اول (٣) . بل التبع الاول هو حارث الرائش أو زيد الرائش (٤) .

وقال ابو الكلام آزاد اذا تدبرنا فى سبب نزول هذه الآيات " بأن قريشا سألوا اليهود عما يمتحنون به النبى صلى الله عليه وسلم كما مر فى سبب نزول هذه السورة (٥) .

وقد ورد فى رواية أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراه الا فى مكان واحد قال ومن ؟ قالوا ذو القرنين (٦) .

---

(١) فتح البارى ٦/ ٣١٥

(٢) رواه الحاكم عن ابى هريرة وصححه وقال على شرط الشيخين ولا اعلم له علة مستدرك كتاب الايمان ١/ ٣٦ .

(٣) كما قال وهب بن منبه انه صعب بن مراثد التبع الاول .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٥٢ .

(٥) فى صفحة

(٦) الدر المنثور ٤/ ٢٤٠ .

علمنا أن السؤال عنه من مقترحات اليهود وانه مذكور في التوراة باسم ذى القرنين،وانه كان معروفا لديهم بهذا اللقب كما هو الظاهر من أسلوب القرآن " ويسئلونك عن ذى القرنين " . وأنه مقدم على عهد عيسى عليه السلام . وانه ملك عادل رقيق القلب استولى على أكناف العالم .

واذا تصفحنا صفحات التاريخ ادركنا بان بخت نصر حينما دمر بيت المقدس وقتل سبعين الفا من بنى اسرائيل وساق منهم عددا هائلا يتجاوز من مائة الف الى بابل سنة ٩٧هـ ق م (١) بسبب عدوانهم وفسوقهم كما اشارت الى ذلك الآية القرآنية .

" فاذا جاء وعد اولهما بعثنا عليكم عبادا لى اولى بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا (٢) .

فتذكروا بهذه الحادثة النكراء نصيحة النبى اشعياء عليه السلام والنبى يرميا عليه السلام وندموا على عصيانهم وتمردهم ولكن لم ينفعهم الندم بعد ما دمرت هذه الأفة حياتهم وآفت عقولهم ولم يبق عندهم ما ينجيهم من هذه الطاغية الا شعاع الرجا

---

(١) معجم البلدان ١/٤٤٨ .

(٢) سورة بنى اسرائيل ٥ .

المنبثق من مبشرات الانبياء (١) .

وكان فى الاسارى النبى دانيال عليه السلام ،ولما سمع بخت نصر أقواله الرشيدة ورأى اعماله المرضية اصطفاه مستشارا خاصا لنفسه ، ولما حانت أيام سراح نبى اسرائيل راى النبى دانيال عليه السلام " خورش " فى رؤياه فى السنة الثالثة من ملك بيلشاصر (٢) .

---

(١) فان النبى اشعياء بشرهم قبل مائة وستين سنة بأن بنى اسرائيل سيعودون الى بلادهم بعد انهدام القدس بسبعين سنة ففى صحيفة اشعياء ١- هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى امسكت بيمينه لأدوس أمامه امما واحقاء ملوك أحل لافتح أمامه المصراعين والابواب لا تغلق الى الفقرة الرابعة كتاب اشعياء وهكذا النبى يرميا بشرهم .

(٢) ولما مات بخت نصر انتخب " نايونى دس " ملكا فلم يلبث على دست المملكة اياما حتى استقال من منصبه وأقام بيل شازار ملكا " مقامه وقرر أركان الدولة النبى دانيال عليه السلام مستشارا له لما شاهدوا استعداده الكامل وفراسته النيرة ، والنبى دانيال هدد " بيل شازارا " بعد ما عاين اعتداءته لكنه ما امتثل فتجنب دانيال شئون الدولة ولما أمر " بيل شازار بانعقاد محفل للملاهى وشرب الخمور فى الاوا التى نهبها بخت نصر من الهيكل المقدس فى بيت القدس كما نصت صحيفة دانيال هذه الحادثة فى الباب الخامس فقرة (فسلط عليهم خورس سنة ٥٣٩ ق م واحتل القدس سنة ٥٣٨ ق م كما هو مذكور فى صحيفة عزرا فقرة ٣ .

كما يقول " فرأيت فى الرؤيا وكان فى رؤياى وانا فى شوشان القصر الذى فى ولاية عيلام ورأيت فى الرؤيا وأنا عند نهر اولاى .

٣- فرفعت عينى ورأيت واذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان عاليان والواحد اعلى من الآخر والاعلى طالع اخيرا .

٤- رأيت الكبش ينطح غربا وشمالا وجنوبا فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم .

٥- وبينما كنت مقابلا اذا بتيس من المعز جاء الى نقرة ١٤ .

١٥- وكان لما رأيت انا دانيال الرويا وطلبت المعنى اذا بشبه انسان واقف قبالتى .

١٦- وسمعت صوت انسان بين اولاى فنادى وقال يا جبرئيل فهم هذا الرجل الرؤيا .

١٧- فجاء الى حيث وقفت ولما جاء خفت وخررت على وجهى فقال لى افهم يا ابن آدم الى الفقرة ١٩ .

٢٠- اما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى وفارس .

٢١- والتيس العانى ملك اليونان والقرن العظيم الذى بين عينيه هو الملك الاول (١) .

---

(١) صحيفة دانيال صحاح ٨ .

فعبر جبرئيل هذه الرؤيا فى حق خورس (١) .

وبشرهم النبى يوميا عليه السلام بقوله " قولوا أخذت بابل خزى بيل - انسحق مردوخ خزيت أوثانها انسحقت اصنامها ٣- لانه قد طلعت عليها امة من الشمال الى الآية التاسعة (٢) .

وكذا فى صحيفة عزرا عليه السلام .

١- وفى السنة الاولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بفم ارميا نبه الرب روح كورش ملك فارس ....

٢- هكذا قال كورش ملك فارس - جميع ممالك الارض دفعها الرب اله السماء وهو اوصانى أن ابنى له بيتا فى " اورشليم" التى فى يهوذا الى فقره نمرة ١١ (٣) .

فاذا تفكرنا فى هذه البشارات تيقنا أن خورس حرر بنى اسرائيل من الرق " ثم رددنا لكم الكرة عليهم " ورأه دانيال فى رؤياه ذا القرنين وعبر جبرئيل هذه الرؤيا بذى القرنين - لأجل هاتين الدولتين (٤) . واشتهر بهذا اللقب لأجل هذه الرؤيا

---

(١) الذى هو مذكور فى مبشرات يسمياه وتحققت هذه البشارة بعد مائة وستين سنة .

(٢) صحيفة ارمياه باب ٥٠ فقره ١-٩ .

(٣) صحيفة عزرا اصحاح ١- فقرة ١-١١ .

(٤) كما فى صحف انبياء بنى اسرائيل .

واليهود كانوا يذكرونه بهذه الصفات مع أن تعصبهم الشعبى لا يسمح لهم ان يذكروا غير شعبهم بهذه المناقب سوى انبيائهم واطلقوا عليه لقب المنجى ، ومسيح الله ،وراعى الرب (١) . وأنه عمر القدس مرة ثانية وأعاد بناء الهيكل سنة ٥١٥ق م (٢) .

فهذا الانقلاب العظيم الخارق للعادة بيده ركز سيادته فى أعماق قلوبهم فصاروا يرددون ذكره جيلا بعد جيل فى محافلهم ولا شك أن استيلائه على بابل أمر خارق للعادة (٣) .

ولما أراد "كرديس" (٤) القتال معه ،أمر جنوده الى مقاومة كرديس فغلب عليه وفتح بلاده (٥) الى أقصى الساحل الغربى (٦) .

---

(١) كما هو مصرح فى صحيفة عزرا - ٢ - "فى السنة الاولى لكورش الملك أمر كورش الملك من جهة بيت الله فى أورشليم ليبنى البيت المكان الذى يذبحون فيه ذبائح - صحيفة عزرا الباب السادس الفقرة الثانية .

(٢) لانه كان رئيسا لمنطقة انشان ثم غلب على بلاد فارس وميديا بدون اى قتال وذلك لعدله التام وسياسته الرشيده ولاعتماده على الله عز وجل اعتمادا كاملا = ميديا (MEDIE) منطقة فى شمال غربى ايران أقام فيها الميديون (الالف ق م) كانت عاصمتها اكبتانا (همدان) احتلها "كورش" ٥٥٦ ق م الأعلام تبع المنجد - ص ٨٩٨ الطبعة الرابعة والعشرون

(٣) اسم لملك الأسيا الصغرى (ميديا) .

(٤) كما أشار اليه المؤرخ الشهير" هيرودوس(المؤرخ اليونانى لقب بابى التاريخ عهده ٤٨٤-٤٢٠ق م) بأن غلبة خورس وانتصاراته المدهشة كانت خارقة للعادة حيث استولى فى الاسبوعين على الدولة القديمة قوية الأركان وسخر عاصمتها المنيعة " ساردييس" وسجن مالكها كرديس- قصص القرآن ٣/ ١٦٧

(٥) نفس المرجع ٣/ ١٦٨- ودائرة المعارف البريطانية مادة "سائرس"

وسجل التاريخ أن " خورس " فتح البلاد بفتوته الفذة ولم يؤلم أحدا من المفتوحين ولم يدمر البلاد ولم يجعل المغلوبين فكانت فتوحاته فتوحات تحرير وهداية لا فتوحات استعمار وجباية .

يقول " هيرودوتس " " ان خورس أمر جنوده بأن لا ترفع الأيدى الا على جنوده العدو المقاتلين - ولا يقتل من الجنود من ينكس رمحه ولا يضار الملك " كرديس " وان استعمل سيفه

وكانت عواطفه حول الرعية مثل عواطف الصلحاء من الملوك كما صرح المؤرخ اليونانى " كى سياز " " بان خورس كان يقول " ان الدولة لخدمة الشعب لا لراحة الملوك فقط بل هى لراحة جميع أفراد المملكة وتوزع أموال الدولة فى صالح الرعية (١) .

وقال المؤرخ هيرودوتس أن " خورس " توجه مرة ثانية الى بلاد المشرق لأجل اعتداءات القبائل التى كانت تسكن فى باديات المشرق من قبائل باختر (٢) .

وكذا صرح المؤرخ المذكور والمؤرخ " زينوفن " أن خورس رحل مرة ثالثة الى تاديب القبائل الوحشية من " سيتهن " التى كانت

---

(١) قصص القرآن - نفس المرجعين السابقين .

(٢) باختر هى مدينة بلخ من مدن أفغانستان - تسمى قديما " بكتريا " وباختر " .

تهاجم القبائل المهذبة (١) .

وكان " خورس " موحدا والشاهد على هذا اللوحة التي وجدت في مدينة اصطخر (٢) .

وكان تلميذه " دارا " ايضا من الموحدين اذ أمر الكتاب بان ينقشوا في هذه اللوحة الصخرية " ان الله عز وجل هو " اهورموزده " الذي خلق الأرض والسماء وهو الذي أسعد الانسان وهو الذي جعل دارا ملكا (٣) .

وكذا الفقرة السادسة والعشرون من صحيفة دانيال تدل على عقيدته السليمة .

٢٦- من قبلي صدر أمر بانه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام اله دانيال لانه هو الحي القيوم الى الأبد

---

(١) قصص القرآن ٣/١٦٩ ودائرة المعارف البريطانية ..

(٢) مدينة في الشمال الشرقي من شيراز بمسافة ستون كليلومترا ولا شك ان الآثار القديمة يستعان بها على بعض الأمور وخاصة على معرفة سنن الله في تدمير الأقوام وقد قال الله تعالى " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف عاقبة المكذبين .

(٣) قصص القرآن ٣/١٧٤ - " اهورموزده " اى " الله " ..

من بنى اسرائيل وتحميره القدس وعدله الكامل تيقنا أن خورس هـو ذو القرنين فانه بسط العدل ونشر الفضل واعلن العفو العام وأحسن بالاطفال والنساء والمعذورين من المفتوحين وأطلق " كوريس " وأكرمه والقرآن يقول " حتى اذا بلغ مغرب الشمس " ويقول " حتى اذا بلغ مطلع الشمس " وهذا بعينه مصطلح التوراة كما فى صحيفة اشعياه عليه السلام فى شان خورس .

١- هكذا يقول الرب لمسيحه كورش ... الى آخر الفقرة الخامسة لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى انا الرب وليس آخر (١) .

وكما فى صحيفة زكريا فى حقب بنى اسرائيل ٧- هكذا قال رب الجنود هأنذا أخلص شعبى من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس ... الى آخر الفقرة الثامنة (٢) .

وتوجد مدينة الى الآن باسم " كورش " وكذا نهر باسم "كورش" فى مقاطعة قفقاز وكذا يسمى السد باسم " كورا " نسبة الى كورش (٣) .

---

(١) صحيفة اسمياه باب ٤٥ - فقره ١ - ٦ .

(٢) صحيفة زكريا باب ٨- فقره ٧ - ٨ .

(٣) تدبر القرآن ٤/١٨٧ .

هذا ملخص ما ذكره آزاد وحفظ الرحمن وقد نقلت هذا الرأى الجديد ليناقش بين مشائخ البلاد العربية هل هو صواب او خطأ.

فان التوراة والانجيل والصحف السماوية الاخرى قد أصابها نقص وزيادة من أيدى اليهود والنصارى وقد صرح علماء الاسلام بأن ما وافق القرآن مما فى هذه الكتب فهو حق نؤمن به ونتيقن بصدقه وما خالفه فهو من صنيعهم نرده ونتيقن كذبه ومالا يوافقه ولا يخالفه فنتوقف فيه لان القرآن الحكيم حاكم ومهيمن على الكتب السابقه وهو المعتمد فاذا أيد ما فى كتبهم ما فى القرآن فلا مساغ فى رده اذ هو حجة عليهم مع تعصبهم الشديد .

وصفوة القول أن ذا القرنين ملك صالح اعطاه الله العلم والحكمة واى قول من هذه الاقوال اذ صح ينطبق عليه ما بينه القرآن وتعيين شخصيته ليس من اركان المؤمن به .

واما مسئلة نبوته فهى ايضا مختلف فيها فذهب البعض (١) الى نبوته بدليل قوله تعالى " انا مكنا له فى الأرض " اذ نسبة التمكين الى ذاته جل وعلا تدل على تمكين خارج عن قوى المخلوق تمكين فى الدين وفى الدنيا فالاول النبوة والثانى استيلاؤه على مشارق الأرض ومغاربهـا .

وكذا قوله تعالى " وآتيناه من كل شئ سببا " ومن جملـــة الاشياء النبوة - وكذا الخطاب بقوله " قلنا ياذ القرنين " دليـــل نبوته بان الله اوحى اليه .

وكذا قوله تعالى " هذا رحمة من ربى " على نبوته لان الرحمـــة تطلق على النبوة كما مر فى بحث نبوة الخضر عليه السلام وايضا ذلـك القول على غرار قول سليمان " هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر " فذو القرنين شكر مثل شكر سليمان (٢) .

وكذا قوله " لا يكادون يفقهون قولا " يدل على نبوته لأن فهمه كلامهم وافهامه اياهم من معجزاته كما كان سليمان عليه السلام يعلم منطق الطير وايضا ما رواه السدى (٣) يدل على نبوته .

---

(١) مثل عمرو بن العاص فتح البارى ٦/٣/٣٨ - والبداية والنهاية ٢/١٠٣ والعلامة نواب صديق حسن خان فتح البيان ٥/٤٩٥

(٢) عند رؤية عرش بلقيس حاضرا لديه - وكذا قوله " ما مكنى فيه ربى خيرا " مثل قول سليمان فما آتانى الله خير مما آتاكم .

(٣) مر ذكرها فى ص ٤٦٤ - وفيها فأخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراه الا فى مكان واحد الى آخر الرواية .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني ظاهر القرآن يدل على ذلك (١) .

وذهب الجمهور الى انه كان ملكا صالحا (٢) .

واما كلمة قلنا فيمكن ان يكون الخطاب بها بواسطة النبي في عهده على غرار قوله تعالى قلنا اضربوه ببعضها او يكون الخطاب تكوينيا لا قوليا مثل قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويسماء اقلعي وقوله تعالى قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم " اذ قد يعبر بكلمة قلنا عن الاختيار اى وهبنا له المقدرة والاختيار ليحسن اليهم او يعذبهم ، ويؤيد هذا القول ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدرى أتبع نبيا كان ام لا ، وما أدرى ذا القرنين نبيا كان ام لا .

وقال الحافظ ابن كثير " والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين (٣) .

وهناك رأى ثالث وهو انه كان من الملائكة بدليل ماروى عن عمر

---

(١) فتح الباري ٦/ ٣٨٣ .

(٢) روح المعاني ١٦/ ٢٦٢ .

(٣) البداية والنهاية ٢/ ١٠٢ - وظهر بقوله هذا خطأ ما تبادر الى بعض الأفهام من عبارته انه ذهب الى نبوته " وهذا نص العبارة " فان الاول كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا وكان وزيره الخضر وقد كان نبيا .

من هم يأجوج ومأجوج ؟ .

هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح (١) .

وقال الحافظ ابن كثير " ثم هم من ذرية نوح لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح فى دعائه على أهل الارض بقوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " وقال تعالى " فأنجيناه وأصحاب السفينة " وقال " وجعلنا ذريته هم الباقين (٢) .

وقال العسقلانى اذ لم يكونوا ممن بطن حواء وليسوا من ذرية نوح فأين كانوا فى زمن الطوفان وكيف عصموا مع أن القرآن يقول " لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم (٣) وليسوا من أعاجيب الخلق (٤) . ولا انهم خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت

---

(١) فتح البارى ٦/٢٩٧ .

(٢) البداية والنهاية ٦/٢٩٥ - وجه الاستدل بأن القرآن صرح بأن الله استجاب لنوح فأهلك الناس جميعا سوى نوح عليه السلام واصحابه فى السفينة فالناس كلهم بعد الطوفان من ذريته .

(٣) سورة هود ٤٣ .

(٤) بأن البعض فى غاية الطول والضخامة حتى يستفرش أحدهم بالأذن ويتغطى بالأخرى وبعضهم قصير جدا مثل شبر او شبر ونصف .

بتراب فخلقوا من ذلك (١) .

وروى عن ابن عمرو بن العاص رفعه" ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجلا الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وان من ورائهم ثلاث امم تاول وتاريس ومسلك - ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد (٢) .

وفي التوراة اسماء ابناء يافث ، حمر - ماجوج - مادى - يونان توبل - مسك (٣) .

وهذا دليل على ان يأجوج ومأجوج من ذرية يافث ابن نوح عليه السلام - يافث ابو الترك فياجوج وماجوج طائفة من الترك وهم سفل المغول وهم أشد بأسا واكثر فسادا من هؤلاء (٤) .

---

(١) كما حكاه النووى في شرح مسلم ٣/٩٧ فرد عليه الحافظ ابن كثير تفسير ابن كثير ٣/١٠٤ وكذا رد عليه الحافظ ابن حجر العسقلانى - فتح البارى ١٣/١٠٧ .
حيث قال " ولم نر عن احد من السلف الا عن كعب الاحبار ويرده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا وقال في موضع آخر " وهو قول منكر جدا لا أصل له الا عن بعض اهل الكتاب - فتح البارى ٦/٣٨٦

(٢) جمع الفوائد ٢/٧٣٨ - ٧٣٩ .

(٣) الثورة أصحاح تكوين باب ١٠ =

(٤) البداية والنهاية ٢/١١٠ ، وهكذا في فتح البارى " انهم من الترك " ١٣/١٠٦ .

وقال ابن الأثير والصحيح أنهم نوع من الترك لهم شوكـــــة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون في الارض ويخربون ما قدروا عليه من البلاد يؤذون من يقرب منهم (١) .

---

(١) الكامل لابن الاثير ١/٦٨ - وقيل ياجوج من التـــرك وماجوج من الجيل والديلم تفسير قاسمي ١١/٤١١٦ .

هل بلغت ياجوج وماجوج دعوة الله ؟ نعم بلغتهم الدعوة لقوله تعالى " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١) .

ولقوله تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (٢) .

ومن المعلوم بداهة أن ذا القرنين دعاهم الى التوحيد اولا فلما أبوا عن قبوله بنى السد دونهم (٣) .

وروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى ياآدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يارسول الله واينا ذلك الواحد قال ابشروا فان منكم رجلا ومن ياجوج وماجوج الف .

ثم قال والذى نفسى بيده انى ارجو أن تكونوا ربع اهل الجنة

---

(١) سورة النحل ٣٦ .

(٢) سورة الاسراء ١٥ .

(٣) كما ذكر ابن هشام فى " التيجان " أن أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بآرمينية فسموا الترك لذلك فتح البارى ٣٨٦/٦ .

فكبرنا فقال ارجوان تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال ارجوان تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما انتم فى الناس الا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض او كشعرة بيضاء فى جلد ثور اسود (١) .

فهذا الحديث يدل على أنهم معذبون فى الأخرة والقرآن يقول " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " فظهر أن الله بعث اليهم الرسل .

وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى السد قال يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا فيعيده كأشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم او اراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله (٢) واثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس الى آخر الحديث (٣) .

---

(١) فتح البارى حديث رقم ٣٣٤٨ : ٦/٣٨٢ - وفى رواية من كل مائة تسعة وتسعين حديث ٦٥٢٩ - فتح البارى ١١/٣٧٨ .

(٢) وفى تفسير مقاتل يغدون اليه فى كل يوم فيعالجون حتى يولد فيهم رجل مسلم فاذا عدوا عليه قال لهم المسلم قولوا باسم الله فيعالجونه حتى يتركوه رقيقا كقشر البيض ويرى ضوء الشمس فيقول المسلم قولوا بسم الله غدا نرجع ان شاء تعالى فنفتحه عمدة القارى ١٥/٢٣٨ .

(٣) تحفة الاحوذى حديث ٥١٦٠ = ٨/٥٩٧ .

فهذا الحديث يدل على وجود المسلمين فيهم وهذا دليل وصول الدعوة اليهم وفى تفسير مقاتل " يغدون اليه فى كل يوم فيمالجون حتى يولد فيهم رجل مسلم فاذا غدوا عليه قال لهم المسلم قولوا باسم الله فيمالجونه حتى يتركونه رقيقا كقشر البيض ويرى ضوء الشمس فيقول المسلم قولوا بسم الله غدا نرجع ان شاء الله تعالى فنفتحه (١) .

وفى صحيفة حزقيل عليه السلام :-

١- وكان الى كلام الرب قائلا .

٢- يا ابنى آدم اجعل وجهك على جوج ارض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال وتنبأ عليه .

٣- وقل هكذا قال السيد الرب هانذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال . (٢) .

وكذا فى الباب التاسع والثلاثين فى الفقرة الاولى والثانية من نفس هذا الأصحاح .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى وان منهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته (٣) .

---

(١) عمدة القارى ١٥/٢٣٨ .

(٢) الكتاب المقدس اصحاح حزقيل باب ٣٨- فقره ١-٣ .

(٣) فتح البارى ١٣/١٠٩ .

اين الســـد ؟ .

اختلفت الأقوال فيه فذهب البعض الى أن مكانه غير معـــروف مع وجوده فى الخارج وعدم مشاهدتنا اياه لا يعارض صدق القـرآن كما لا يستلزم عدمه لأن كثيرا من الاشياء المتحققة الموجوده لـــم يطلع عليها الانسان فى الجزر والبقاع الجنوبية والشمالية (١) .

وليس ببعيد بأن الله أخفاه وأخفى ياجوج وماجوج وسيظهـر هذه الحقائق قبيل القيامة وذهب البعض الى أنه مشاهد معلوم ثم اختلف هؤلاء فى تعيينه وذلك لتعدد السدود المبنيـــة لحماية الناس من اعتداءات القبائل الوحشية .

فأحد السدود معروف بالجدار الصينى الممتد من بيكينـــج الى صحراوات وسط آسيا - طوله الف وخمسمائة ميل وهذا الســد واقع فى شمال البلاد الصينية (٢) .

والسد الثانى بين بخارى وترمذ ويسمى دربنـد (٣) .

والثالث قريب الى مدينة باكو وتفلس من ضواحى آرمينية وهـــو

---

(١) كما زعم البعض أن وراء جبل القاف المحيط بالأرض عوالـــم وخلائق لا يعلمها الا الله تعالى معجم البلدان ٤/٢٩٨ وتوجد قطع من الارض فى جنوب غرب أمريكا لا تطيـــق الطائرة المرور عليها .

(٢) بناه جى وانجى فغفور الملك الصينى .

(٣) كلمة فارسية در بمعنى الباب - بند بمعنى المسدود اى الباب المسدود .

معروف بباب الابواب وبالباب ويطلق عليه دربند .

والرابع وراء السد الثالث وهو واقع بين الجبلين وهو معروف بعقبة " داريال " ويسمى بسد القفقاز وبسد القوقاز وبسد القاف .

فذهب " سرسيد احمد خان " الى السد الاول الذى بناه فغفور الملك الصينى أنه هو السد القرآنى . وذهب ابو الفداء (١) والمقدسى (٢) وغيرهما الى السد الثانى الواقع بين بخارى وترمذ بانه هو السد المذكور فى القرآن .

وذهب الأصطخرى (٣) والحموى (٤) وغيرهم الى السد الثالث " سد باب الابواب " الى انه سد ذى القرنين وذهب البعض الأخرون الى ان السد الرابع " سد القفقاز " هو السد المعهود اما السد الاول الذى ذهب اليه سرسيد احمد خان فهو ليس المذكور فى القرآن بل بناه جى وانكى فغفور الصينى وهو ممتد على الجبال والوديان ذات شرفات طول كل شرفة ثلثة عشر ذراعا وعامة الجدار ارتفاعه بين سبعة اذرع الى عشرة اذرع وهو مبنى من

---

(١) مصنف تقويم البلدان - ذكره فى بيان مدينة " سمرقند " .

(٢) مصنف احسن التقاسم فى معرفة الاقاليم ذكره فى بيان مدينة " سمرقند " .

(٣) المسالك والممالك ص ١١٠ .

(٤) معجم البلدان ١/٣٠٣ - ٣٠٤ - مادة " باب الابواب " .

الأحجار والجص يسميه المغوليون " اتكوده " والأتراك " بوقورقه " وليس هو بين الجبلين ولا هو مبنى من الحديد والقطر واما السد الثانى بين " بخارى وترمذ " المسمى " بدربند " فيقول الطنطاوى الجوهرى فى حقه " وكان هذا السد موجودا فى عهد الملك تيمور لنك المغولى (١) وذكره " سيلابرجر " الألمانى المستشار لسلطان الروم وكذا ذكره " كلافجو " (٢) فى رحلته حينما حضر ١٤٠٣م عند تيمور لنك سفيرا من سلطانه . وهما يقولان أن سد باب الحديد واقع على الطريق الموصل الذى بين بخارا والهند (٣) .

واما السد الثالث الواقع على ساحل بحر الخزر فهو مبنى بالصخر والرصاص ذكره ابن الفقيه فى عدة مواضع (٤) وابن جرير الطبرى (٥) والفخر الرازى (٦) .

وقال الآلوسى " وهذان السدان فيما يقرب من عرض تسعين من جهة الشمال وهو المراد بآخر الجربيا " فى كتاب حزقيل عليه السلام وقد ذكر بعض أحبار اليهود أن يأجوج ومأجوج فى منتهى الشمال

---

(١) تيمور الأعرج م ١٤٠٥م ملك المغل وحفيد جنكيزخان .
(٢) مندوب الكيتل ملك اندلس .
(٣) جواهر القرآن ٩/١٩٨ .
(٤) فى ص ٢٨٨ - و ص ٢٩٨ .
(٥) تفسير الطبرى ١٦/٢١ .
(٦) تفسير كبير ٢١/١٦٩ .

حيث لا يستطيع أحد غيرهم السكنى فيه وهم فى زاوية من ذلك لكنهم لم يتحقق عندهم أنهم فيما يلى المشرق من الشمال او فيما يلى المغرب منه وهذا موافق لما ذكرناه فى موضع السدين وهو الذى مال اليه كاتب جلبى وقيل هما جبلا آرمينية واذربيجان ونسب ذلك الى ابن عباس رضى الله عنهما .

وقال القاسمى " جاء فى الجغرافية العمومية " فى المقالة السابعة والأربعين فى تخطيط آسيا بلاد القوقاسيين اى أهالى كوه قاف اى جبل قاف ان فى تلك الأقطار يمتد هذا الجبل كالسور العظيم وفيه مجازان يسميان عند القدماء الأبواب القوقازية والأبواب الألبانية فالمجاز الأول وهو الابواب القوقازية هو الذى كان يخشى منه هجوم المتربرين على كل دولة الرومانيين والعجم (١) .

واليه يميل صنيع البيضاوى وتعقب بانه توهم ولعل النسبة والخبر غير صحيحة وكان من يزعم ذلك يزعم أن سد ذى القرنين هو السد المشهور فى باب الابواب وهو مع استلزامه ان يكون يأجوج وماجوج الخزر والترك خلاف ما عليه المؤرخون فان بانى ذلك السد عندهم كسرى أنو شروان وقيل اسفنديار وهو ايضا لم يبق الى

---

(١) تفسير قاسمى ١١/ ٤١١٥ وايضا قال - " وبه موضع يسمى باب الحديد وهو اثر حديدى قديم بين جبلين من جبال القوقاز الشهيرة عند العرب بجبل قاف نفس المرجع ١١/ ٤١١٤ .

الآن بل خرب من قبل هذا بكثير وزعم أن سد بأجوج وماجـــوج هناك (١) وقد أتى المفسرون والمؤرخون وعلماء الجغرافيا ببحوث طويلة حول السد ولم تتفق كلمتهم لأجل هذه السدود الثلاثـــة المبنية لدفع حملات القبائل الوحشية ولا ريب أننا لم نكلف من قبل الشرع بتعيين السد اين هو ؟ ولا بتعيين ياجوج وماجوج مـــن هم واين يسكنون ؟ .

نعم اننا مكلفون بالايمان بما ذكره القرآن والحديث الا أن التحقيق فى موضوع "السد" فى العصر الحاضر عصر الاكتشافـــات أمر أهم فان الوصول الى أمثال هذه الأماكن ليس بصعب فى العصر الحاضر لوجود الوسائل والمواصلات حيث يسر الله للناس قطـــع المسافات البعيدة بسبب الطائرات التى تطوى مسافات الشهـــور فى ساعات فمشاهدة هذه السدود الثلاثة والمقارنة بينهـــــا وتطبيق ما بينه القرآن حول السد على أحد هذه الثلاثة أمر سهل جدا فان السد القرآنى لا بد ان يكون بين الجبلين مبنيا من الحديد والقطر فى موقع يسد صولات القبائل الوحشية وستنكشف بمشاهدة هذه السدود ان السد المبنى من الحديد والقطر هل هو موجود الى الآن او اندك بالثورات البركانية (٢) .

---

(١) روح المعانى ١٦/ ٢٥ .

(٢) كما قال القاسمى " فاذا سلم ان سد ذى القرنين المذكور فى هذه الآية غير موجود الآن فربما كان ذلك ناشئا من ثورة بركانية خسفت به الارض او زالت آثاره " - تفسير قاسمى ١١/ ٤١١٤ .

وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا - عطف على مقولة ذى القرنين " وكان وعد ربى حقا " او هو كلام مستأنف .

تركنا بمعنى جعلنا (١) وضمير " بعضهم " راجع الى ياجوج وماجوج والمراد بيومئذ يوم تمام السد اى يوم كمال السد ماج بعضهم في بعض لما منعوا من الخروج (١) . او يموج بعض ياجوج في بعض يوم خروجهم (٢) او ضمير بعضهم راجع الى الخلق (٣) . والمراد بيومئذ يوم القيامة اى تركنا الجن والانس يموجون فيما بينهم لكثرتهم (٤) فعلى هذا هو شروع في كلام آخر (٥) .

يموج - من ماج البحر اذا اضطربت مياهه (٦) .

ونفخ في الصور - النفخ لغة اخراج الريح من الفم لاحداث الصوت والصور القرن او البوق الذى ينفخ فيه اسرائيل عليه السلام النفخة الاولى للفناء والثانية لبعث الموتى .

---

(١) تفسير كبير ٢١/١٧٢ قال القرطبى هو أظهر الاقوال قرطبى ١١/٦٥ .

(٢) نفس المرجعين السابقين .

(٣) كشاف ٢/٤٩٩ .

(٤) قرطبى ١١/٦٥ .

(٥) عمدة القارى ٧/٣٤٠ .

(٦) قاموس ١/٢٠٨ والموج في البحر ما يعلو من غوارب الماء مفردات في غريب القرآن ص ٤٧٧ .

تصور الآية صورة هذا الجمع الحاشد الذى يعجز الأنظار عن الاحاطة بجوانبه مثل البحر المواج المترامية الأطراف .

قال ابو الهيثم من أنكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط (١) . لثبوته بالقرآن والسنة كما روى عن ابن عباس فى قوله عز وجل فاذا نفخ فى الصور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نقول يارسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله (٢) .

فجمعناهم جمعا - اى جمعنا الانس والجن للحساب وفى التاكيد بكلمة " جمعا " اشارة الى الاحاطة اى نجمع الجميع " قل ان الأولين والأخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم او فيه اشارة الى التمام والكمال اى نجمعهم جمعا تاما على أكمل صفة وأتم هيئة " أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ،بلى قادرين على أن نسوى بنانه "(٣) .

---

(١) تفسير قرطبى ٢٠/٧ .

(٢) المستدرك كتاب الأهوال ٥٥٩/٤ .

(٣) سورة القيامة ٣ - ٤ .

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا (١٠١) أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢) .

عرضنا - من عرضت الشيء اذا اظهرته .

غطاء - اى ستر وحجاب .

اى اظهرنا جهنم يوم القيامة للكافرين ،وفي الحديث يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (١)

والقرآن عبر عن هذه الأمور بالصيغ الماضية اشارة الى وقوعها حتما والتاكيد بكلمة " عرضا " لتهويل شان العرض او الاشارة الى عدم الحجاب بينهم وبينها ولما كان عرض جهنم لاجل الكفار اختص بهم مع أن المسلمين ايضا يرونها (٢) . او لأنهم كانوا ينكرونها في الدنيا ففي اختصاص العرض بهم تقريع لهم .

ثم بين القرآن الكريم سبب استحقاقهم جهنم بقوله " الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري " اى استحقوا جهنم بسبب

---

(١) صحيح مسلم باب في شدة حر نار جهنم ٨/١٤٩ .

(٢) تفسير ابي السعود ٣/٥٥٧ .

تعاميهم عن الآيات الكونية والتنزيلية التى تهدى المتأمل فيها الى الايمان بتوحيد الله تعالى . والموصول مع الصلة نعت للكافرين او بدل منهم (١) . وفى جملة " كانت اعينهم " اشارة الى استمرارهم على التعامى واصرارهم على الاعراض والمراد بالذكر القرآن العظيم (٢) . او المراد به الايمان بالله واتباع الحق او ذكره اللائق بشانه (٣) .

" وكانوا لا يستطيعون سمعا اى لشدة عداوتهم لله ولرسوله لا يسمعون الحق وفيه مبالغة ما ليس فى قوله " كانوا صما " لأن الأصم اذا صيح به يسمع (٤) .

فهم فقدوا قوة البصر وقوة السمع فلم يتدبروا فى آياته ولم يستمعوا نصيحة الرسل عنادا ." افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء " .

اعاد القرآن الكريم موضوع الانذار والتبشير باسلوب جديد فى آخر السورة ليربط خاتمة السورة بفاتحتها " لينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا على سبيل رد العجز على الصدر (٥) وليرسخ

---

(١) او هو خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين كانت أعينهم الآية .
(٢) لانه ذكر وتذكرة وذكرى .
(٣) معالم التنزيل ١/٩٠ .
(٤) كشاف ٢/٥٠٠ .
(٥) وهو عبارة عن الارتباط بين صدر الكلام وعجزه ارتباطا لفظيا او معنويا ويقال له التصدير ايضا .

الموضوع الأهم في أذهان السامعين .

ومن ثم ورد في الروايات الصحيحة الأجر الكبير لمن حفظ هذه الآيات الى آخر السورة (١) . لانها تبين فظاعة ابناء الدنيا الذين اعرضوا عن ربهم واقبلوا على زخارف الدنيا وأشركوا بالله ولقائه وتبين سعادة أبناء الأخرة الذين آمنوا بربهم وعملوا الصالحات .

فقوله " الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى " مرتبط بقوله الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل فه عوجا فالكتاب القيم المعجز برهان ساطع على انه كتاب سماوى دال على صدق رسالته ولكنهم تعاموا عنادا .

وقوله " افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء " مرتبط بقوله " لينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا .

وقوله قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا مرتبط بقوله " انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا .

---

(١) كما مر ذكرها في بيان فضل سورة الكهف .

وقوله " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنت الفردوس نزلا " مرتبط بقوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات الاية .

كما أن قوله تعالى " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الاية . يتعلق بجميع السورة وخاصة بالقصص المذكورة فيها بأن الأسرار والحكم الموجودة فيها قطرة من بحار علم الله تعالى .

والآية الاخيرة مرتبطة بقوله تعالى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، تكرر بيان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنصبه وموضوع الرسالة وهدف الوحى (الأمر بالتوحيد الخالص والنهى عن الاشراك بالله عبادة وذاتا وصفة .

والاستفهام للتوبيخ اى أظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر الآيات وعزمهم عن قبول أمره وأمر رسوله (١) . كلا بل عباد الله يعادونهم " ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٢) .

واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم

---

(١) تفسير كبير ٥/٧٥٩ .

(٢) سبا ٤١ - ٤٠ .

ويكونون عليهم ضدا (١) .

لان عباد الله اولياءه والكفار اعداءه فكيف يوالى أوليـــاءه اعدائه والآية صريحة فى أن من يحب الأولياء والصلحاء معتقـــدا بأنهم ينفعونه او يضرونه فهذا اعتقاد باطل واشراك بالله سبحانه وتعالـى .

وأما اذا احبهم لأجل ورعهم وزهدهم فهذا أمر مرغوب بسبب غالبا التأثر بهم فان المرء مع من أحب . وكلمة عبادى تشمـــل الملائكة والأنبياء والجن والأموات والمفعول الثانى لحسب محـذوف اى فحسبوا اتخاذهم نافعا لهم (٢) . او أحسبوا اتخاذهـــم مانعهم منى - وفى قراءة أفحسب بسكون السين وضم الباء بمعـــنى هل كافيهم اتخاذهم عبادى اولياء (٣) .

فعلى هذا لا حذف فى العبارة فحسب مبتدأ والموصول مـــع الصلة خبر وقيل أن الموصول مع الصلة قائم مقام المفعولين علـــى غرار قوله تعالى " وحسبوا ان لا تكون فتنة " اى ظن الكفـــار اتخاذهم عبادى اولياء (٤) .

---

(١) مريـم ٨٢ - ٨١ .

(٢) قاسمـى ١١/١١٨ ع .

(٣) قرءه القارى ابو بكر وقال انه قراءة امير المؤمنين على رضى الله عنه معالم التنزيل للنووى ١/٩٠٥ مطبعة دار احياء الكتب

(٤) فاولياء مفعول ثان فلا حذف فى العبارة - اى هذا الاتخاذ مردود لكون الانبياء والملائكة مفتقرين الى الله تعالى غيـــر قادرين على حمايتهم .

ما المراد بعبادى ؟ .

اختلفت اقوال العلماء فيه :

١- فقال البعض المراد بهم عيسى عليه السلام وعزير عليه السلام حيث ظنوهما أربابا .

٢- " " " الملائكة حيث ظنوهم أربابا .

٣- " " " الشياطين حيث اطاعوهم من دون الله .

٤- " " " الاصنام وكلمة العباد تطلق عليها باعتبار صورها " عبادا امثالكم " الاية .

٥- " " " كل معبود من دون الله .

وهذا القول الخامس والاخير اليق بصيغة الجمع فى عبادى واولياء وكذا انسب باطلاق الموصول والصلة وعلى كل اذا كان المراد بعبادى العباد الصالحين فالاضافة للتشريف ولو اريد به الشياطين والاصنام فالاضافة لاظهار اختصاص المالكية بذات الله تعالى وحده والمملوكية بالشياطين والاصنام (١) .

انا اعتدنا جهنم للكفرين نزلا - النزل - الماوى ويطلق على ما يعد للضيف من الضيافة وفيه تهكم واستخفاف بشانهم وفى وضع الظاهر موضع الضمير تصريح بالوصف الذى اوجب لهم جهنم .

---

(١) قال الآلوسى " وجوز بعض المحققين ان يراد ما يعم المذكورين والاصنام وسائر المعبودات الباطلة ولعل المقام يقتضى ان لا تكون الاضافة فيه للتشريف اى أفظنوا ان يتخذوا عبادى الذين هم تحت ملكى وسلطانى من دونى اولياء - روح المعانى ١٦ / ٤٣ طبعة منيرية .

قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم صنعا (١٠٤) اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (١٠٥) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا (١٠٦) .

اعمالا - منصوب على التميز .

الذين ضل سعيهم - الموصول اما مجرور على البدلية من الأخسرين او منصوب بفعل مقدر (١) . او مرفوع بالخبرية (٢) والاول أظهر وأسلم من الحذف والثاني اليق بمقام الذم والثالث ادل على الحصر والله اعلم .

وهم يحسبون - حال من فاعل ضل باعتبار المضاف اليه او معطوف على الصلة .

ذلك جزائهم - اما خبر لمبتدأ محذوف (٣) وجزاؤهم جهنم جملة مفسرة له - او ذلك مبتدأ وجزاؤهم بدل منه (٤) وجهنم عطف بيان (٥) .

---

(١) اى اذم او اخص .

(٢) فالمبتدأ محذوف اى هم الذين ضل سعيهم وضاع جهدهم .

(٣) اى المذكور ذلك او الأمر ذلك .

(٤) بدل اشتمال او بدل الكل من الكل .

(٥) او ذلك مبتدأ وجزاؤهم جهنم الجملة خبر والعائد محذوف اى جزاؤهم به .

يؤكد القرآن خيبتهم وفظاعة حالهم بأسلوب استفهامى " قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا " ردا على ظنونهم الفاسدة كما ظن احدهم " ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا " فالذى صرف حيوته فى طلب الدنيا ونسى يوم القيامة ونسى الوقوف بين يدى الله تعالى فهو أخسر الخاسرين باعتبار الأعمال .

وفى الجمع " اعمالا " اشارة الى انواع العمل مثل بناء الصوامع والكنائس والأوثان والأصنام وتقديم النذور الى ماسوى الله تعالى وما الى ذلك من الأعمال السيئة .

وجملة " الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا " تستوعب جميع الجهود فى سبيل حصول الدنيا والجاه والمناصب الرفيعة وسائر انواع الرقى المادية القديمة والحديثة كما ان فى كلمة " ضل سعيهم " اشارة الى بطلان هذه الجهود وفنائها .

والأية تشمل الذين أكبوا على الدنيا بجميع الوسائل والقوى وبلغوا فى نيلها الى اوج الكمال ولم يخطر ببالهم الوقوف بين يدى الله تعالى ولم يتفكروا لمحة فى فناء ما اكتنزوه .

من هم المراد بالأخسرين اعمالا ؟ .

اختلف العلماء فى المراد بهم فذهب ابن عباس وسعد بن ابى وقاص ومجاهد الى أن المراد بهم اليهود والنصارى كما روى عن عمرو بن مصعب قال سألت ابى قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا

هم الحدورية (١) قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا محمدا واما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحدورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين (٢) .

وفى رواية قال هم المجتهدون من النصارى كان كفرهم بآيات ربهم وبمحمد ولقائه وقالوا ليس فى الجنة طعام ولا شراب ولكن الخوارج هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون (٣) .

وذهب على رضى الله عنه الى أن المراد بهم اصحاب الصوامع او الخوارج .

فبناء على القول الاول يراد بالسعى عملهم بالأحكام المنسوخة المتعلقة بالعقائد والعبادات وعلى القول الثانى يحمل السعى على تقشفات الرهابنة الشاقة فى صوامعهم وحبسهم انفسهم من الطيبات

---

(١) الحرورية - هم الخوارج الذين فارقوا عليا رضى الله عنه بقبوله التحكيم .

(٢) فتح البارى ٨/٤٢٥ حديث رقم ٤٧٢٨ والمستدرك ٢/٣٧٠ .

(٣) المستدرك ٢/٣٧٠ اى اعمال الخوارج مثل اعمال الكافرين السابقين (الذين نزلت فيهم الاية الكريمة) فى نقض العهود وقطع صلة الأرحام والفساد فى الأرض .

فان المرء اذا استقبح سيئته فيرجى منه ان يستقيم يوما واما الذى يستحسن سيئته ولا يدرى جهله فهو مريض لا يرجى برءه كهؤلاء الكفار يعملون السيئات ويحسبونها من حسناتهم يتوقعون عليها حسن الثواب نسأل الله تعالى أن ينور بصيرتنا ويحفظنا من ظلمات الجهل .

اولئك الذين كفروا بأيت ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا .

اى هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله اولياء وحسبوا اعمالهم السيئة حسنة جحدوا الأيات الكونية الدالة على وحدانيته تعالى والأيات القرآنية الدالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانكروا البعث بعد الموت فضاعت اعمالهم .

وفى الاشارة الى البعيد استخفاف بشانهم حيث بلغوا أقصى حدود الشقاوة . وحبط الاعمال عبارة عن تضييع مجهوداتهم لانها لم تكن على أساس الايمان ولم تكن لمرضات الله تعالى " وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (١) .

فلا نقيم لهم - وقرئ فلا يقيم - اى ليس لأعمالهم قدر يعتد به او فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا نافعا . او فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا مثل وزن الاعمال الصالحة او لا يقام لهم ميزان لان قيامه للمؤمنين .

وفى الحديث انه سيأتى الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند

---

(١) فرقان ٢٣ .

الله جناح بعوضة وقال اقرءوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (١).

واستدل به من قال لا توزن اعمال الكفار وانما توزن اعمال المؤمنين (٢). وايضا الموازنة تتحقق في الأشياء المتقابلة واما الكافر فلا حسنة له فلا يوزن له .

والراجح أن اعمال الكافر توزن لعموم قوله تعالى " والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٣).

وقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ،وكفى بنا حاسبين (٤).

وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية (٥).

وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن

---

(١) فتح الباري تفسير سورة الكهف حديث ٤٧٢٩ - = ٨/٤٢٨

(٢) اكليل ١/١٤٧ .

(٣) اعراف ٨-٩ .

(٤) الانبياء ٤٧ .

(٥) القارعة ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ .

خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خلدون (١) .

فهذه الأيات وأمثالها صريحة فى أن اعمال الكفار توزن وخاصة الآية الاخيرة لأن الخلود فى النار يختص بالكفار والحكمة فى وزن اعمال الكفار اذلالهم فى هذا الموقف العظيم نسأل الله تعالى ان يحفظنا وجميع المسلمين من خزى الدنيا والأخرة .

واختلف فى أن الوزن قبل العبور على الصراط اوبعده . والراجح انه قبله لان وزن الأعمال لمعرفة مستحقى الجنة والنار والعبور عليه فى حكم الدخول فى الجنة لكونه سببا له فأهل الجنة يعبرونه وأهل النار يسقطون منه فى جهنم .

واما ما روى عن انس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لى يوم القيمة فقال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال اول ما تطلبنى على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطى هذه الثلاثة مواطن (٢)

فهو محمول على ذهابه صلى الله عليه وسلم وايابه بين الميزان والصراط لشفاعة الناس والله اعلم .

---

(١) المؤمنون ١٠٣ - ١٠٢ .

(٢) تحفة الأحوذى حديث ٢٥٥٠ = ١١٩/٧ .

هل توزن صحائف الأعمال او الاعمال بذاتها اواصحاب الاعمال ؟ .

ذهب البعض الى الوجه الأول بدليل حديث البطاقة فى الرجل الذى يؤتى به ويوضع له فى كفة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا اله الا الله فيقول يارب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى انك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة فى كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة (١) .

وذهب الأخرون الى الوجه الثانى (٢) بأن الله يقلب الأعمال الحسنة على صورة حسنة والسيأت على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان كما روى عن البراء بن عازب فى قصة سؤال القبر فيأتى المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وذكر عكسه فى شان الكافر والمنافق (٣) .

وقيل يوزن صاحب الأعمال لما مر من حديث الرجل السمين (٤) ولقوله عليه السلام فى مدح ابن مسعود رضى الله عنه اتعجبون

---

(١) رواه الترمذى عن عبدالله بن عمرو بن العاص حديث رقم ٢٧٧٦ - تحفة الأحوذى ٧/ ٣٩٥ - ٣٩٧ .

(٢) تفسير خازن ٢/ ١٧٤ .

(٣) رواه احمد ٥/ ٢٨٧ - ( ) .

(٤) فى الصفحة

من دقة ساقيه والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد (١) .

وهذه الآية وامثالها حجة على المعتزلة الذين ينكرون وزن الأعمال بدليل أنها اعراض وهى مستحيلة الوزن وأولوا الآيات والروايات الواردة فى الوزن على معنى العدل (٢) .

والحق أن المقايسة بين امور عالم الأخرة والغيب وبين أمور عالم الشهادة منشاء الخطأ وعلينا أن نؤمن بجميع ما نص عليه القرآن والحديث رغم قصور ادراكنا اياه فان الله قادر على أن يجعل للاعمال ميزانا خاصا توزن فيه الأعراض وقد تحقق فى هذا العصر تقديرها ووزنها بالمقاييس الخاصة لها كمقياس الحرارة والبرودة وعداد السير ونحن نعتقد اعتقادا جازما بأن ميزان الله تعالى يبين اعمال النوع الواحد كالصلوة مثلا فالصلوة مع الخشوع التام أثقل منها مع الخشوع الناقص وهكذا الأعمال الأخرى .

---

(١) رواه احمد ١/ ٤٢٠ .

(٢) المواقف ص ٣٨٤ .

ذلك جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا .

وفي ذلك اشارة الى حبط الاعمال وعدم الوزن .

بما كفروا - اى بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا .

وفي الاشارة للبعيد تهويل لمنظر جهنم بحيث لا تحيط به أنظارهم .

بما كفروا واتخذوا - اى لم يكتفوا بكفرهم وجحودهم بل تجاوزا في تمردهم الى الاستهزاء بالآيات فجمعوا بين جحودها والاستهزاء بها فصار كفرهم كفرا مزدوجا .

"هزوا" - المصدر بمعنى المفعول اى مهزوا بهم او على حقيقته - فالحمل للمبالغة .

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنت الفردوس نـــزلا (١٠٧) خالدين فيها لا يبغون عنها حولا (١٠٨) .

حولا - اى تحولا (١) .

قرن القرآن الكريم التبشير بالانذار حسب سنته مبشرا بـــه المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسله وصدقوا جميع كتبه وعملـــــوا الصالحات أن لهـــم جنـت الفردوس الى أبد الأباد .

وأشارت الآية الى أن الفلاح فى الدارين مرتبط بالعقيـــدة السليمة وبالأعمال الصالحة فالعقيدة عماد الحيوة الروحية والاعمال اساس الحيوة البدنية واجتماعها سبب لكل سعادة .

وفى ذكر الأعمال الصالحة بعد الايمان اشارة الى أن الايمـان الكامل ليس عبارة عن الألفاظ والأمانى فقط بل هو عبارة عـــن الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والأعمال الصالحة بالجوارح .

---

(١) فتح البارى ٨/٤٢٢ .

اختلفت اقوال المفسرين فى كلمة الفردوس هل هى كلمة عربيـــة او عجمية نقلت الى العربية

١- فقال مجاهد الفردوس بالرومية البستـــان .

٢- وقال سدى " بالنبطية الكرم اصلها فرداسا .

٣- " كعـب " بالسريانية جنة الاعناب اصلها فردوسو .

٤- " عكرمـة " بالحبشية الجنة .

٥- " الفـراء " بالعربية البستـان (١) .

وما ذهب اليه الفراء فهو أرجح الأقوال لقولهم صدر مفردس اى واسع (٢) .

ويقول امية بن ابى الصلت

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة

فيها الفراديس ثم الفوم والبصل (٣) .

واستعمال اللغات الاخرى اياها فى نفس المعنى لا يؤثر علـــى عربيتها اذ كثير من الكلمات تستعمل فى اللغات العجمية وهى عربيـة محضة كالتنور والصابون ،والقميص والصندوق والتابوت وامثالهـــا قال القرطبى اجمعوا على أنه ليس فى القرآن شئ من التراكيـــب

---

(١) ذكر المفسر الألوسى هذه الأقوال / روح المعانى ١٦/ ٤٧ وقاموس المحيط ٢/ ٢٣٦ - لسان العرب ٦/ ١٦٣ .

(٢) شـارح القاموس على كلمة الفردوس نفس المرجع .

(٣) روح المعانى ١٦/ ٤٧ .

الأعجمية واحصوا أن فيه اعلاما من الاعجمية كابراهيم ونوح ولـــوط واختلفوا هل فيه شئ من غير ذلك بالاعجمية ؟ .

فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا ما وقع فيه مما يوافـــق الاعجمية فهو من باب ماتوافقت فيه اللغات (١) .

كما ورد فى الحديث " جنات الفردوس اربع جنتان آنيتهمـــا وحليهمـــا وما فيهما من ذهب وجنتان من فضة آنيتهما وحليهمـــا وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن (٢) .

وفى الحديث - سلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة (٣) .

نـــزلا - اى منزلا ومستقرا - وقيل المنزل ما يقدم للضيف .

خالدين فيهـا - حال من ضمير آمنوا - وهذه الشذرة من الآيـة تطمئن قلوب المؤمنين بأن الاقامة فيها ليس كأقامة الدنيا مـــن حيث النزول والارتحال بل الحياة فى الجنة والتمتع من آلائها الى أبد الأباد لا نهاية لها . رزقنا الله تعالى وجميع المسلمين اياها .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٨ .

(٢) مسند ابى عوانة ١/١٥٧ - رواه عن ابى بكر بن عبد بن قيس عن ابيه .

(٣) المستدرك ٢/٣٧١ رواه الحاكم عن أبى امامة وقال هـــذا حديث لم نكتبه الا من هذا الاسناد ولم نجدا بدا من اخراجه كتاب التفسير (دار الكتاب العربى - بيروت) .

" لا يبغون عنها حولا " - اى لا يطلبون التحول عنها الى غيرها اذ لا مكان أطيب منها ولا نعمة ألذ من نعمها فما معنى الملل والسأمة عنها وكيف يبغى المؤمن الفائز بهذا المنصب الرفيع التحول عن كنف رحمة الله وحمى لطفه بعد ما قرت عيناه بالنظر الى الله تعالى والاعتزاز بتجلياته المتتابعة الى أبد الأباد " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحب الجنة هم فيها خالدون " (١) .

فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون (٢) .

" ان المتقين فى جنت وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدروهم من غل اخوانا على سرر متقبلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين " (٣) .

وفى الحديث " يقال يا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تمرضوا ابدا وان لكم ان تعيشوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تقيموا فلا تظعنوا أبدا (٤) .

---

(١) سورة يونس ٢٧ .

(٢) سورة السجدة ١٧ .

(٣) سورة الحجر ٤٨ .

(٤) مسلم كتاب الجنة ٨/١٤٨ ولشيخ الاسلام ابن تيميه كتاب نفيس يبحث عن احوال الجنة وآلائها " هادى الأرواح الى بلاد الأفراح " جدير بان يقرأ مرة بعد اخرى .

اللهم ارزقنا بفضلك وكرمك هذه الصحة بلا سقم والحيـــوة بلا موت والشباب بلا هرم والقيام بلا ظعـن .

وفى الآية اشارة الى اقتناع اهل الجنة بحظوظهم فيهـــا لا يحسد بعضهم بعضا اذ لا محل أرفع وأطيب من جنة الفردوس.

كما أن فيها تعريضا بالمشركين الذين يطلبون التحول مـــن النار " ربنـا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظلمـون (١) .

قال النسفى وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فـى اى نعيم كان فهو طامح ماثل الطرف الى أرفع منه (٢) .

---

(١) سورة المؤمنون ١٠٧ .

(٢) تفسير مدارك ٣/ ١٥٠ .

قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩) .

مدادا - اى حبرا للاقلام - لكلمات ربى - اى لكتابتها .

تبين الآية عظمة علمه تعالى وسعة شئونه اللامتناهية فى ملكوت السموات والأرضين وتؤكد معنى الآية السابقة بأن المؤمنين لا يبغون عن الجنة التحول الى غيرها لما يتلذذون بالنعم العظمى المتجددة اللامتناهية - فكما أن الانسان لا يمل من نعم الدنيا بل دائما يبغى الأعلى فالأعلى فهكذا فى الأخرة يطلب النعم فوق النعم والله يخلقها له يوما فيوما بكلمة كن ، .

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (١) . وأل فى البحر للجنس .

والمراد جنس البحر (٢) لقوله تعالى " ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم (٣) .

---

(١) البقرة ٢٥ .

(٢) كشاف ٢/٥٠١ وروح المعانى ١٥/٤٨ طبعة منيرية .

(٣) لقمن ٢٧ .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح قال فسألوه عن الروح فأنزل الله " ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فأنزلت قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر الآية (١) .

وقد دلت الآية على أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكما شاء اذ لا نهاية لكلماته (٢) .

قال ابن ابى حاتم حدثنا ابى سمعت بعض أهل العلم يقول قول الله عز وجل انا كل شئ خلقناه بقدر ، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر الآية يدل على ان القرآن غير مخلوق لانه لو كان مخلوقا لكان له قدر وكانت له غاية ولنفد كنفاد المخلوقين وتلا قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الى آخر الآية (٣) .

والمراد بالكلمات علمه تعالى وعجائب خلقه (٤) . وكذا الشرائع وآياته الدالة على توحيده وعظيم قدرته فى الأجرام العلوية والسفلية

---

(١) رواه الترمذى حديث ٣١٤٠ تحفة الاحوذى ٥/٣٠٤ .

(٢) تفسير قاسمى ١١/٤١٢١ .

(٣) فتح البارى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى " قل لو كان البحر مدادا الآية ١٣/٤٤٥ .

واحـــوال الأخـــرة .

ولوجئنا بمثله مددا - اى بمثل البحر ما يمده من البحور .

وذكر الثعلبى عن ابن عباس قال قال له رجل انى أضعر أن اقوم ساعة من الليل فيغلبنى النوم فقال اذ أردت أن تقوم اى ساعـة شئت من الليل فاقرأ اذا أخذت مضجعك " قل لوكان البحـــــر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى الى آخـــر السورة فان الله يوقظك متى شئت من الليل (١) .

وعن زر بن حبيش قال من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريـــد أن يقوم من الليل قامها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك (٢) .

وفى رواية " ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السمـــاء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر لـــه ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن قرأ الخمـــس الأواخر عند نومه بعثه الله اى الليل شاء (يعنى مـن سـورة الكهف) .

---

(١) قرطبى ١١/ ٧٢ نقله عن الثعلبى (طبعة دار الكاتب العربى ١٣٨٧) .

(٢) سنن الدارمى ٢/ ٤٥٤ - وقرطبى ١١/ ٧٢ .

(٣) رواه ابن مردويه عن عائشة كنز العمال ١/ ٥٧٤ - حديث رقم ٢٥٩٥ - (مكتبة التراث الاسلامى حلب) .

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كـــان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١٠)

هذه الآية خاتمة السورة تبين عناصر الفلاح وأسباب اللقـــاء الربانى التى هى خلاصة السورة كلها . ولها ارتباط وثيق بجميع الحلقات الرئيسية فى السورة فهى تبين اولا بشرية الرسول صلـــى الله عليه وسلم مؤكدة بكلمة مثلكم وتجرده من جميع الصفات التى يثبتها المشركون لأوليائهم من التصرف فى ملكوت السموات والأرض وعلم الغيب ردا لمعتقداتهم فى شان الانبياء والرسل ، ومـــن اعاجيب الزمن أن طائفة من القبوريين فى بلادنا تنكر بشريـــة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتدعى أنه عليه السلام نور محـض ليس ببشر بدليل قوله تعالى " ذلك بأنه كانت تأتيتهم رسلهـــم بالبينت فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد (١) بأن القائلين للرسل بأنهم بشر كفروا بهذه المقولة وبدليل ما ورد فى خصائصه انه لم يكن يرى له ظل فى شمس ولا قمـــر وبدليل دعائه عليه السلام " وأجعلنى نورا " والمسلم المنصـــف يتحير لأمثال هؤلاء الذين ينكرون ما ثبت بالنصوص القرآنيـــة

---

(١) سورة التغابن ٦ .

والاحاديث الصحيحة ويتبعون الروايات الضعيفة فالآية صريحة بنقيض ما يقولون بأن من ينكر بشرية الرسل فهو كافر وذلك أن المشركين كانوا يعتقدون المنافاة بين البشرية والرسالة فمن ثم لم يؤمنوا بالرسل لكونهم بشرا " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (١) .

واما الرواية التي رواها الحكيم الترمذي فهي مرسلة ورواته مجروحون فعبد الرحمن بن قيس الزعفراني من المتروكين قال الامام احمد في حقه " لم يكن بشيء " وكذبه ابن مهدي وابو زرعة وقال النسائي متروك الحديث وقال صالح بن محمد كان يضع الحديث وكذلك عبد الملك بن عبد الله بن عبد وليد مجهول الحال لا نجد ترجمته في الكتب المعتمدة .

فهل يعقل أن مثل هذه المعجزة الكبرى اللازمة معه عليه السلام سفرا وحضرا تخفى على أصحابه المقربين المصاحبين معه في الحل والترحال الذين كانوا حريصين على نقل أدنى حركة وأثر

---

(١) سورة الانبياء ٧ - ٨ .

يشاهدونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مانقلوه - من عدم ظله عليه السلام - صحيحا لنقله على سبيل التواتر جمع عظيم من أصحابه البررة وما قال بعضهم في توجيه عدم الظل له عليه السلام بأن الغمام كان يظله او الملائكة يظلونه وقاية من حر الشمس فيأباه الحديث الصحيح " أن ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل ابو بكر حتى ظلل عليه برداءه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وبمثله يروى تظليله عليه السلام في حجة الوداع (١) وقال القسطلاني فظاهر هذا انه عليه الصلوة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم تظليل الغمام والملائكة له كان قبل بعثته (٢) .

واما دعائه عليه السلام " واجعلني نورا " ففيه رد على هؤلاء المنكرين بشريته لانه اذا كان نورا حسب زعمهم فما الحاجة الى هذا الدعاء اذ هو تحصيل ما هو الحاصل وليس ذلك من دأب العقلاء وليس المراد به ما زعمهم بل المراد به طلب التوفيق من

---

(١) كذا في شرح المواهب للزرقاني ١/ ٣٥٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ١/ ٣٥١ .

الله تعالى لاداء وظيفة الرسالة وان يجعله منار الهداية والارشاد لا لأنه يطلب التجرد من اللوازم البشرية كما ورد في حديث " ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل (١) .

وايضا أن عبارة الدعاء ليست بخاصة به بل هي ملقنة لجميع الأمة والأيات الدالة على بشريته عليه السلام وعلى بشرية الانبياء السابقين وكذا الروايات الصحيحة الواردة في هذا الموضوع اكثر من أن تحصى ونكتفي بما روى عن العباس أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه سمع شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من أنا فقالوا انت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم الحديث (٢) .

قل انما انا بشر مثلكم - اى قل لهم انى لست باله حتى اقلب قلوبكم نحو الهداية بل انى بشر من جنسكم ونوعكم اكلمكم بما تكلمونني به - عباراتي سهلة ليست بألفاظ ولا معميات شرفني الله

---

(١) فتح البارى ٦/ ٤٣٠ .

(٢) مشكوة المصابيح باب فضائل سيد المرسلين الفصل الثاني حديث ٥٧٥٧ = ١٢٧/٣ وقال هذا الحديث صحيح وحسنه الترمذي .

تعالى بالوحى لادعوكم به الى المعبود الحق وأرشدكم سبيل الرشاد وظيفتى الدعوة الى التوحيد " يوحى الى انما الهكم اله واحد " وليست النبوة والرسالة - كما تزعمون - جزأ من الألوهية فان الانبياء والرسل من بنى آدم افراد الأسرة البشرية اختصوا بالمكانة السامية وهى منصب الرسالة فصاروا فى قمة البشرية - وليس لهم تصرف فى العالم ولا يقدرون على جلب المنافع لأنفسهم ولا لغيرهم وكذا لا يقدرون على دفع المضار عن أنفسهم ولا عن غيرهم .

فقوله " انما أنا بشر مثلكم يوحى الى " مربوط بأول السورة الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل فه عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه الآية وفى قوله " انما انا بشر مثلكم يوحى الى " تطمين وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بأن فريضته الارشاد واراءة الطريق لا الايصال الى الحق (١) فلا يحزن باصرارهم على الكفر كما فى قوله تعالى " فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا " وفى كلمة " مثلكم " تاكيد لدعوى البشرية اى يجرى على من الأعراض البشرية مثل ما يجرى عليكم من أكل وشرب وجوع وعطش ونوم ويقظة وتزوج وما الى ذلك من اللوازم

---

(١) " انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين - سورة قصص ٥٦ .

البشرية " ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى الا باذن الله لكل اجل كتاب (١) وما أرسلنا قبلك من المرسلين - الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق (٢) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم " لكنى اصوم وافطر واصلى واقوم وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عنى سنتى فليس منى (٣) .

وفى كلمة " يوحى الى " اشارة الى مكانته السامية بأنه أفضل البشر واكملهم اصطفاه الله تعالى من بين خلقه للرسالة العظمى ختم به النبوة وكمل به الشريعة ، كما أن فيها اشارة الى ان جميع القصص المذكورة فى هذه السورة (٤) من بيان الدالة على صدق القرآن الكريم وصدق النبى الأمى صلى الله عليه وسلم ثم تبين الآية الأخيره بقوله " انما الهكم اله واحدا " موضوع الوحى وهدفه الأساسى وهو الدعوة الى توحيد الألوهية وما من رسول الا دعا امته الى توحيد الألوهية " وما أرسلنا من قبلك من

---

(١) سورة الرعد ٣٨ .

(٢) سورة الفرقان ٢١ .

(٣) فتح البارى حديث ٥٠٦٣ - ٩/١٠٤ .

(٤) وخاصة قصتى أهل الكهف وذى القرنين المسئولتين عن النبى صلى الله عليه وسلم اختبارا لنبوته .

رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون (١) .

ثم ترشد الآية الراغبين لقاء الله عز وجل الى أن الطريق الى وصوله هو التسابق الى الأعمال الصالحة وتجنب الشرك والرياء .

"فمن كان يرجوا لقاء ربه " الرجاء يكون بمعنى الطمع وبمعنى الخوف (٢) كما فى قول الشاعر :

= اذ لسعته الدبر لم يرج لسعها = اى لم يخف (٣) .

وفى كلمة يرجو اشارة الى أن الأمل فى رحمة الله والخوف من عذابه جناحا الفوز والفلاح فالأمل يصون المؤمن من داء القنوط والخوف يحفظه من الجسارة على المعاصى فاذا عاين سعة رحمته قوى طمعه ورجاءه واذا لاحظ جلاله وشدة بطشه خافه وهابه ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان رحمة الله قريب من المحسنين (٤) ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٥) وفى الحديث " قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم خطبته ما سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب

---

(١) سورة الانبياء ٢٥ .

(٢) الاشباه والنظائر ص ١٦٨ .

(٣) قرطين ١/ ٢٧١ - الدبر النحل وفى روح المعانى بدل الدبر النحل ١٦/ ٥٠ .

(٤) سورة الاسراء - ٥٨ .

(٥) سورة الانبياء - ٩١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين (١) وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون (٢) .

وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك فقال والله يارسول الله انى ارجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا عطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف (٣) .

لقاء ربه - المراد باللقاء البعث بعد الموت وقيل المراد به الوقوف بين يديه جل وعلا .

وقيل المراد به رؤيته تعالى (٤) والقول الثالث والأخير أشمل (٥) وأليق بالمقام وهو المعنى الحقيقى للفظ = مدارك ٣/٥٠

---

(١) فتح البارى حديث ٤٦٢١ - ٨/٢٨ .

لان الهدف الأسمى من الأهداف الانسانية هو لقاءه تبارك وتعالى ورؤيته العظيمة " يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه (١) . ونعمة النظر الى الله تعالى من أجل النعم " والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢) .

والمراد من الزيادة والرؤية والنظر الى وجهه الكريم وفي الحديث " اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى " تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل (٣) .

وفى الآية دليل على أن الله سبحانه وتعالى يرى بالابصار لان الغرض من اللقاء هو الرؤية قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى " ويراه المؤمنون وهم فى الجنة باعين رؤوسهم (٤) .

---

(١) انشقاق ٦ .

(٢) يونس ٢٥ - ٢٦ .

(٣) مسلم ١/١١٢ رواه عن صهيب باب اثبات روية المؤمنين فى الأخرة ربهم سبحانه وتعالى (دار الفكر ببيروت)
وفى رواية ثم تلا هذه الآية " للذين احسنوا الحسنى وزيادة .

(٤) الفقه الاكبر ص ٦٦ .

وما ذهب اليه بشر المريسى (١) واتباعه من انكار الرويـــة فهو مردود بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لقوله تعالى " وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظره (٢) " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٣) كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " ولما رواه جرير بن عبد الله (٤) قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم ترآءون ربكم عـــز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رويتـــه فان استطعتـم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلوة قبل غروبها فافعلوا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " وسبح بحمد ربك قبـــل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهـار لعلك ترضى " (٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد اوحى الى أنـــه من قرأ فى ليلة " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحـــا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا كان له نور من " أبين " الى مكـة

---

(١) " بشر المريسى " هو ابو عبد الرحمن بشر بن غياث بن ابى كريمة المريسى تعلم الفقه من الامام القاضى ابى يوسف ثـــم اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأنكر روية الله جهـــرة يوم القيامة م ٢١٨ او ٢١ .

(٢) سورة القيامـة ٢٣ - ٢٤ .

(٣) سورة يونـس ٢٧ .

(٤) جرير بن عبد الله .

(٥) سورة طـه ١٣٠ .

حشـــوه الملائكـــة (١) .

" ولا يشرك بعبادة ربه احدا " - هذه الشذرة الاخيرة مـــــن السورة ختام مسك ختم الله بها هذه السورة ولقد استوعبت هذه الجملة معظم ما فى السورة من الأهداف السامية وأجملت كل ما فصل فيها اجمالا دقيقا فكلمة " احدا " ثم تنكيرها ووقوعها فى سياق النفى وتقديم الجار والمجرور ووضع الظاهر - ربه - موضع الضمير كل ذلك للتعميم والشمول ولزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان (الربوبية) (٢) للأمر (ليعمل) والنهى (ولا يشرك) اى لا يشرك احدا كائنا من كان لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا وليا صالحا لا صنماولا وثنا لا حيا ولا ميتا ، ولا يشرك شركا جليا ولا خفيا وظهر بهذا الختام الارتباط بين مستهل السورة ومنتهاها المشتملتين على توحيد الالوهية الذى هو هدف القرآن الكريم ولا شك أن اجتناب الشرك هو عيـــن التوحيد الذى هو غاية الغايات واخلاص العبادة لله تعالى وحـــــده لا يشركه فيها أحد ثمرة التوحيد .

والرياء نوع من الشرك لان المرائى يجعل عبادة الله تعالـــى - الموضوعة لتعظيمه والتقرب اليه ذريعه التقرب الى الناس وما هـــــذا

---

(١) مستدرك كتاب التفسير ٢/ ٣٧١ - والمطالب العالية ٣/ ٣٤٩

أبين على وزن افعل قرية بناحية اليمن وقيل هى عدن .

(٢) روح المعانى ١٧/ ٥٠ .

الا عبادة غير الله تعالى وفى الحديث " ان الله تبارك وتعالى يقول " أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه (١) .

وفى رواية " ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (٢) .

قال ابن عباس نزلت فى جندب بن زهير الغامدى وذلك أنه قال انى أعمل العمل لله فاذا أطلع عليه سرنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ولا يقبل ما رؤوى فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣) .

وايضا روى عنه قال قال رجل يارسول الله انى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد ان يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية (٤) .

---

(١) مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ٨/٢٢٣ (المكتب التجارى ببيروت) .

(٢) مسند احمد عن محمود بن لبيد ٥/٤٢٨ - (المكتب الاسلامى ببيروت) .

(٣) اسباب النزول للواحدى ص ٢٠٢ جندب بن زهير بن الحارث الاودى الغامدى كان على رجالة صفين مع على فقتل

(٤) المستدرك ٢/١١١ . فى حجته

وقال مجاهد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك الا لله سبحانه وتعالى فيذكر ذلك منى وأحمد عليه فيسرنى ذلك وأعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيأ صالحا فأنزل الله تعالى فمن كان يرجوا الايـة (١) .

وعن يعلى بن شداد بن اوس عن ابيه قال كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرياء الشرك الأصغر (٢) ولا شك أن المرء اذا صحح عقيدته واجتنب الشرك والرياء وأحسن وقوفه بين يدى الله فى الصلاة والعبادات الأخرى هون الله عليه وقوفه بين يديه فى الأخرة وشرفه بلقائه ورويته الشريفة واما اذا أفسد عقيدته ولم يجتنب عن جميع انواع الشرك فاعماله الجليلة التى مثل الجبال لا وزن لها فى ميزان الأخرى فالذى يصوم الدهر ويحيى الليل ويعيش فى جوار الكعبة المشرفة ويموت فى المدينة المنورة وهو يشرك بالله فمآله النار " وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٣) .

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٠٢ - ولباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى ص ١٤٦ .

(٢) المستدرك ٤/٣٢٩ .

(٣) سورة الفرقان ٢٣ .

وقال الجنيد البغدادى " لو أن عبدا أتى بافتقار آدم وزهد عيسى وجهد ايوب وطاعة يحيى واستقامة ادريس وود الخليل وخلق الحبيب وكان فى قلبه ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة (١) "مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلل البعيد (٢) "

قال ابن العربى كان شيخنا الطوسى الأكبر يقول لا تذهب بكم الأزمان فى مصاولة الأقران ومواصلة الاخوان وقد ختم البشارى البيان وختم البرهان بقوله " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا (٣) .

وفى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه (٤) .

انلنا مع الاحباب رويتك التى

اليها قلوب الاولياء تسارع

---

(١) مختصر شعب الايمان ص ١٦٦ .

(٢) سورة ابراهيم ١٨ .

هذا آخر ما يسر الله تعالى من تفسير سورة الكهف فاذا رأيت فيه فائدة فانسبها الى السلف الصالح فانى اقتطفت جل ما فى هذه الرسالة من ثمرات اوراق كتبهم وان عثرت على خطأ وزلة فانسبها الى وافتح لها باب التسامح فانى لقلة بضاعتى العلمية وقصور ادراكى وعدم تجربتى اهل لذلك .

اللهم اجعل اعمالنا خالصة لوجهك الكريم واحفظنا من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا واصفح وتجاوز عن زلاتنا فانك ستار العيوب وغفار الذنوب وارزقنا الحسنى وزيادة يا واسع الرحمة وكثير الغفران ، لك الحمد فى الاولى وفى الأخرة وصلى وسلم على افضل رسلك واكرم خلقك محمد واله واصحابه اجمعين الطيبين الطاهرين .

الخاتمة

في

أهم النتائج التي توصلت اليها من البحث

...

خاتمـــــة

لله الحمد وله المنة وبفضله تتم الصالحات وبرحمته وكرمه قـــد فرغت من تفسير سورة الكهف وأود ان ألخص مرة اخرى اهم الموضوعات التى تعرضت لها السورة بالبيان وان اسجل بالاختصار الثمـــرات التى اجتنيناها من هذه الموضوعات لقد صرحت سورة الكهف فى فاتحتها وخاتمتها بالمبادئ الأساسية للعقيدة المطهرة ، عقيدة توحيـــد الالوهية ، ومنصب الرسالة وصدق القرآن الحكيم واعجازه والبعـــث بعد الموت وأكد هذه الأركان للعقيدة بالقصص والأمثال ولما كان التوحيد أساسا لجميع الاعمال فقد بينته السورة فى اطار التحميـــد الدال عليه مع المحامد الذاتية والوصفية اشعارا بانه الطابع العـــام لهذه السورة وقرن هذا الموضوع بموضوع منصب الرسالة ردا علـــى المشركين بان الرسل والانبياء مع مكانتهم الشاهقة عباد الله تعالى ليس لهم تصرف فى الكون ، لا يعلمون الغيب ثم ذكر القرآن فى مبدء السورة اعجاز هذا الكتاب الخالد وصدقه وحث المسلمين علـــى الفتوة والشهامة فى سبيل صون كرامة العقيدة ببيان قصة اصحـــاب الكهف شباب الايمان الذين صدعوا بالحق رغم الظروف القاسيـــة وآثروا السكنى فى غياهب الغيران والكهوف على المناصب الحساسة ومهدوا لرجال الحق طريق الفداء والتضحية وتركوا لشباب المستقبل الى يوم القيامة درسا عظيما بأن العيش فى ظلمات الكهوف مـــع الاحتفاظ بالعقيدة أعز وألذ من التمتع بانواع الملذات والاهـــواء

فى القصور الشامخة مع الذل المفجع والهوان المبكى .

وهؤلاء رجال الحق سجلوا فى صفحات الكون أن الحيوة ليست عبارة عن التنفس وحركة القلب والنبض وأن التمسكن على زخارف الدنيا ومقاليد السلطة لا يسمى نجاحا (فى قاموس الفتوة) كما هو المتبادر الى أفهام ارباب الدنيا الذين يزعمون الترادف بين الحيوة وحركة القلب فاذا انقطعت الأنفاس انعدمت الحيوة عندهم ، بل الحياة عبارة عن الانقياد التام امام أوامر الله تعالى ونواهيه وانفاق كل مرغوب حتى الجسم والروح فى سبيل مرضاته تعالى " ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون "(١) .

فهؤلاء الفتية هجروا الأهالى والمبانى وأثروا الجوع والعطش فى مكان قفر موحش آثروهما على الشبع والرى فى محلات الكفر وقصور الشرك والالحاد وودعوا جميع دواعى العيش واسباب الحياة فأحياهم الله تعالى بقدرته العظيمة مدة مديدة ليريهم نجاحهم وخيبة اعدائهم وخلد ذكرهم فى كتابه الخالد ليستأسى بهم كل من يريد الحياة عند الله تعالى ثم أمر القرآن النبى المصطفى صلى الله

---

(١) سورة البقرة ١٥٤

عليه وسلم واتباعه بالمواظبة على تلاوته والمصاحبة مع اصحابه الفقـــراء رفعا لشانهم وتقريرا للمساواة الاسلامية ثم بين مأل الظالمين المتكبرين ومأل المؤمنين المتواضعين ثم ذكر القرآن قصة الرجلين للموازنة بين الادراكين ،ادراك المؤمن الفقير وادراك الكافر الغنى ترغيبـــا لاصحابه فى الدعوة الى الحق بكل صدق واخلاص والصبر على الفقر والافلاس فالمؤمن الفقير صدع بالحق ولم يتملثم ولم ينافق فى سبيل النصيحة لأخيه الكافر المنتفخ بالجاه والمال بل رد عليه تصـــــوره الخاطئ بأن مدار الشرف الدراهم والدنانير وأن هذا المـــــال يحفظ صاحبه عن الهلاك ولاجل هذا التصور الخاطئ يجهـــــد ابناء الدنيا ليلا ونهارا فى حصول الدنيا لحفظوا به اجسامهـــــم وارواحهـــم .

ثم أكد القرآن هذا المثل بمثل عام كلى ليكشف لهم حقيقـــة الدنيا وحقيقة الأخرة ثم وصف لنا على سبيل الاعتبار والعظـــة ذم التكبر والحسد فى ضمن تكبر ابليس وحسده ووصف لنا شـــان الملائكة فى العبودية والامتثال لأوامر الله تعالى وذكر فضيلـــة آدم كى نحترم هذه المنحة الالهية " الخلافة فى الارض " ولا ندنسهـــا بوساوس هذا العدو القديم بالاباء والجحود عن اوامره تعالـــــى بل نسارع فى الامتثال لها مثل الملائكة ثم بين القرآن كمال تصرفه تعالى وكمال عظمته وذكر عجز ما سوى الله كائنا من كان ، ثم ذكـــر القرآن الكريم المصالح العظيمة فى قضاء الله وقدره ببيان قصة موسى

والخضر وحثنا على الرضا بالقضاء في جميع ما نلقاه في حيوتنا كما حثنا على عدم الاستكاف عن الاستفادة العلمية وأدابها .

ثم علم القرآن الرعاة والحكام أن الدولة لصالح جميع افراد الرعية لا لراحة الحكام فقط في ضمن قصة ذى القرنين المؤمن بتوحيده والمتوكل على قدرته ،الذى جذب افئدة اهل المغرب واهل المشرق بعواطفه النبيلة وسياسته الرشيدة وأخمد نيران الاعتداءات وعدوان المتمردين بجنوده المؤمنين وبسط العدل والأمن في أرجاء المعمورة ثم سجل القرآن في آخر السورة سوء صنيع المشركين وحسن سلوك المؤمنين مع خالقه العظيم وذكر علمه المحيط بأفعال العباد ،وذكر بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته العظمى وصرح بموضوع الوحى - توحيد الالوهية .

ورغب في آخر السورة المشتاقين الى لقائه ورويته في الاعمال الصالحة والابتعاد عن الشرك والرياء ووعدهم رويته الشريفة التى هى غاية الغايات في آخر السورة لتكون سلك الختام ،هذا -

واني معترف بالقصور التام في اداء ما كان يجب على في تفسير هذه الأيات وتوضيحها من جميع النواحى التفسيرية ولا ريب ان عباقرة هذا الفن والمتخصصين فيه اعترفوا بعد اتمام تفاسيرهم بالعجز الكامل عن أداء كل ما يجب على المفسر من حقوق التفسير على وجه الكمال فما بال الملتقط من كتبهم والمكتسب

على موائدهـــم فالكمال لله وحده وهو العليم بمزايا كتابه والخبير باسرار وحيه ، أسال الله العفو والعافية والسداد في العمل وحسن الخاتمة في جميع الامور وله الحمد في الفاتحة وفي الخاتمـة والصلاة والســلام على رسوله الأمين سيد الانبياء وخاتم المرسليـــن وعلى آله واصحابه اجمعين الطيبين الطاهرين .

قائمة المراجع (١)

اسم الكتاب	اسم المؤلف
(أ)	
- الآثار الباقية من القرون الخالية	- لابى ريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى م ٤٤٠ ط فى احد المطابع الالمانية فى بلدة لبزك .
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .	- لابى عبد الله شمس الدين محمد ابن احمد المقدسى المعروف بالبشارى م ط - بريل - لندن ١٩٠٦ .
- احياء علوم الدين	- للامام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى م ٥٠٥ - ط مصطفى البابى ١٣٥٨ عيسى البابى الحلبى
- الاختيار او حرية الارادة فى الاسلام .	- لسيدة مؤمنه - ترجم الكتاب من الفرنسية الى العربية الشيخ ابو الوفاء " محمد درويش " ط - مطبعة السنة القاهرة سنة ١٣٧٧هـ .

---

(١) رتبت فهرس المراجع على حروف المعجم بدون اعتبار ال - واخترت الاسماء المشهورة التى اشتهرت بها الكتب بين الناس وسطرت اسمائها الوضعية بين القوسين - وراعيت فى تاريخ وفيات المؤلفين السنة الهجرية حسب المستطاع واذا لم اظفر بتاريخ وفات أحد من المؤلفين بالسنة الهجرية سطرت تاريخ وفاته بالسنة الميلادية .

- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . - للشيخ عبد القادر شيبة الحمد - ط شركة المدينة جده .

- اسباب النزول - للشيخ ابى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى م ٤٦٨ - ط مؤسسة الحلبى مصر ١٣٨٨هـ .

- الاستمداد ليوم المعاد - للامام الحافظ احمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى م ٨٥٢هـ

- اسد الغابة فى معرفة الصحابة . - للامام عز الدين الأثير الجزرى م ٦٣٠هـ ط - دار الشعب بيروت ١٣١٩هـ .

- أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب . - للمحدث محمود ابن ادريس الحوت البيرونى ابن السيد درويش م ١٢٧٦ ط. مكتبة التجارية الكبرى مصر سنة ١٣٥٥هـ .

- الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم . - للامام ابى الحسن مقاتل بن سليمان ابن بشير الأزدى البلخى م ١٥٠هـ ط - المكتبة العربية مصر ١٣٩٥هـ.

- الاصابة فى تميز الصحابة - للحافظ ابن حجر العسقلانى م ٨٥٢ ط - النهضة الجديدة .

- اصول الدين - للشيخ ابى منصور عبد القاهر البغدادى م ٤٢٩ ط - استانبول سنة ١٣٤٦

- الاعتصام - للامام ابى اسحاق ابراهيم بن موسى ابن محمد الشاطبى م ٧٩٠ ط - دار المعرفة بيروت .

- اعجاز القرآن - للشيخ مصطفى صادق بن عبد الرزاق ابن محمد سعيد الرافعى م ١٣٥٦ ط - الاستقامة الطبعة الرابعة ١٣٦٤

- اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . - للامام الحافظ ابى عبد الله محمد بن ابى بكر الشهير بابن قيم الجوزية م ٧٥١ ط - دار المعرفة بيروت .

- الأكليل فى استنباط التنزيل - للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى م ٩١١ ط - مصطفى البابى - الطبعة الثانية .

- الاقناع فى حل الفاظ ابى شجاع . - للمفسر شمس الدين بن احمد الخطيب الشربينى م ط - مصطفى البابى الطبعة الاخيرة سنة ١٣٥٩ .

- املاء ما من به الرحمن - للشيخ ابى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى م ٦١٦هـ ط - مصطفى البابى الطبعة الاولى - مصر ١٣٨٠هـ

- الأنساب - للامام ابى سعد عبدالكريم بن محمد ابن منصور التميمى السمعانى م ٥٦٢ ط - مصطفى البابى - مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢هـ .

- أهل الكهف - للاستاذ محمد تيسير ظبيان ط - دار النصر - القاهرة ، ١٩٧٨م .

(ب)

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور . - لأبى البركات محمد بن احمد بن اياس المصرى م ٩٣٠ .

- بدائع الفوائد - للامام الاسلام شمس الدين محمد بن ابى بكر المعروف بابن القيم الجوزية م ٧٥١هـ ط - مكتبة القاهرة سنة ١٣٩٢هـ .

- البداية والنهاية - للامام الحافظ ابى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى م ٧٧٤ ط - مكتبة المعارف - بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ .

(ت)

- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) . ـ للعلامة ابى زيد عبدالرحمن بن خلدون المغربى م ٨٠٨ هـ (لم يكتب عليه اسم المطبعة) .

- تاريخ ابن خلكان (وفيات الاعيان وانبأ ابناء الزمان) ـ لأبى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر ابن خلكان م ٦٨١ تحقيق د احسان عباس ـ دار صادر بيروت .

- تاريخ ابى الفداء (تقويم البلدان) . ـ للملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفداء صاحب حماه م ٧٣٢هـ ط ـ الحسينية المصرية .

- تاريخ الخميس فى احوال أنفس نفيس . ـ للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى م ط ـ مؤسسة شعبان ـ بيروت .

- تاريخ طبرى (تاريخ الرسل والملوك) ـ للامام ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى م ٣١٠هـ ط ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .

- التبيان فى آداب حملـــة القرآن . - للشيخ محى الدين ابى زكريا يحيى ابن شرف الدين بذمرى النـــووى الشافعى م ٦٧٦ ط - مصطفـــى البابى الحلبى سنة ١٣٥٣هـ .

- التبيان فى اعراب القرآن . - للشيخ ابى البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى م ٦١٦ ط - احياء الكتـــب العربية عيسى البابى تحقيق محمـــد على البجاوى .

- تحفـــة الأحوذى . - للشيخ ابى على محمد بن عبدالرحمن المباركفورى م ١٣٥٣ ط - مطبعـــة المدنى - القاهرة سنة ١٣٨٣ .

- التذكار فى فضائل الأذكار - لابى عبدالله محمد بن احمد القرطبى م ٦٧١هـ مكتبة دار البيان بتحقيق عبدالقادر وابراهيم الأرناؤوطين ط - مكتبة دار البيان - دمشق - تحقيـــق عبدالقادر وابراهيم .

- تذكرة الحفـــاظ . - للامام ابى المحاسن شمس الدين محمد ابن على بن الحسن الذهبى م ٧٦٥هـ ط - دار احياء التراث العربى - بيروت لبنـــان .

- تفسير ابن جزى .(التسهيل لعلوم القرآن) . للشيخ محمد بن احمد بن جزى الكلبى م ٧٤١هـ ط ١٣٩٣ - دار الكتاب العربى - بيروت .

- تفسير ابن كثر (تفسير القرآن العظيم) . - للامام الحافظ ابى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى م ٧٧٤ ط - دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٨٨هـ

- تفسير ابى حيان (البحر المحيط) . - للشيخ ابى عبدالله محمد بن يوسف الشهير بابى حيان الأندلسى الغرناطى م ٧٥٤ ط - دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ

- تفسير ابى السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الحكيم) . - للشيخ ابى السعود بن محمد بن مصطفى العمادى الحنفى م ٩٨٢ - بتحقيق عبدالقادر احمد عطا - مكتبة الرياض الحديثة .

- تفسير احكام القرآن . - للشيخ ابى بكر احمد بن على الرازى الجصاص الحنفى م ٣٧٠ ط - البهية مصر سنة ١٣٤٧هـ .

- تفسير احكام القرآن . - للامام ابى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى م ٥٤٣ ط - دار المعرفة - بيروت .

- تفسير بغوى (معالم التنزيل) . - للشيخ محى السنة ابى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى م ٥١٦ ط - دار احياء الكتب العربية .

- تفسير بقاعى (نظم الدرر فى تناسب الايات والسور) . - للشيخ برهان الدين ابى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى م ٨٨٥ ط - دائرة المعارف العثمانية بحيدآباد الهند سنة ١٣٨٩هـ .

- تفسير تدبر القرآن . - للاستاذ أمين احسن اصلاحى المعاصر ط - لاهور .

- تفسير ترجمان القرآن . - للشيخ ابى الكلام احمد بن خيرالدين م ١٩٥٨م ط - مكتبة سعيد كراتشى .

- تفسير بيضاوى (انوار التنزيل وأسرار التاويل) . - للقاضى ابى سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر القاضى م ٦٨٥ او ٦٨٦هـ ط الشهد الحسينى - القاهرة سنة ١٩٦٦م .

- تفسير جلالين . - النصف الاول الى آخر سورة الاسراء للشيخ جلال الدين محمد بن احمد المحلى الشافعى م ٨٦٤ - والنصف الثانى مع تفسير سورة الفاتحة للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى م ٩١١ ط - مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٤٢هـ .

- تفسير جمل (الفتوحـــات الالهيـة) . - للشيخ سليمان بن عمر العجيلـــى الشافعى الشهير بالجمل م ١٢٠٤هـ ط - الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ

- تفسير الجواهر فى تفسير القرآن . - للاستاذ الحكيم الطناوى الجوهـرى م ١٩٤٠م ط - مصطفى البابـــى الطبعة الثانية سنة ١٣٥٠ هـ .

- تفسير حقانى (فتح المنان) - للعلامه ابى محمد عبدالحق الحمانى ط - جيد برقى - دهلى سنة ١٣٥٧هـ

- تفسير الخازن (لبـــاب التاويل فى معانى التنزيل) . - للشيخ علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى م ٧٢٥ ط - مصطفى البابى سنة ١٣٧٥هـ .

- تفسير الخطايب الشربينى (السراج المنير فى الاعانـة على معرفة بعض كلام ربنـا الخبير) . - للشيخ شمس الدين محمد بن احمـد الشربينى الخطيب الشافعى م ٩٧٧ ط - دار الطباعة - مصر سنة ١٢٨٥هـ

- تفسير الدر المنثور فـــى التفسير بالماثور . - للامام جلال الدين عبدالرحمن بـــن ابى بكر السيوطى م ٩١١ ط - دار المعرفة - بيروت .

- تفسير روح المعانـــى . - للعلامه ابى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى الحنفى م ١٢٧٠هـ ط- المنيريه .

- تفسير الصاوى على الجلالين - للشيخ احمد بن محمد الصاوى المالكى م ١٢٤١هـ ط- مصطفى البابـــى سنة ١٣٦٠هـ .

- تفسير الطبرى (جامع البيان- فى تفسير القرآن) . للامام الحافظ ابى جعفر محمد بـن جرير الطبرى م ٣١٠ ط - تحقيق محمود محمد شاكر .

- تفسير فتح البيان فى مقاصد- القرآن . للعلامة ابى الطيب صديق حسن خان م ١٨٨٩م ط- العاصمة القاهـــرة سنة ١٩٦٥م.

- تفسير فتح القديـــر . - للعلامة محمد بن على بن محمـــــد الشوكانى م ١٢٥٠ ط- دار المعرفة بيروت .

- فى ظلال القرآن . - للشيخ الاستاذ سيد قطب الشهيـد م ١٩٦٥م ط- دار احياء التـــراث الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٤هـ .

- تفسير كبير (مفاتيح الغيب) . - للامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين التميمى البكرى الرازى م ٦٠٦ ط - البهية المصرية سنة ١٣٥٧هـ .

- تفسير "كشاف" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل) . - للشيخ ابى القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشرى المعتزلى م ٥٣٨ ط - دار المعرفة - بيروت .

- تفسير قاسمى (محاسن التاويل) . - للشيخ جمال الدين بن محمد سعيد ابن قاسم القاسمى الدمشقى م ١٣٣٢هـ ط - دار احياء الكتب العربية عيسى البابى .

- تفسير قرطبى (الجامع لأحكام القرآن) . - للامام ابى عبدالله محمد بن بن احمد الانصارى القرطبى م ٦٧١ ط - دار الكتب العربى سنة ١٣٨٢هـ .

- تفسير محمد نعيم . - للشيخ محمد نعيم الدين مرادابادى الهندى مجتبائ دهلى .

- تفسير مدارك . - للشيخ ابى البركات عبدالله بن احمد ابن محمد النسفى م ٧٠١هـ ط - مكتبة اميريه - بيروت .

- تفسير مراغـــى . - للشيخ احمد مصطفى المراغى - ط مصطفى البابى سنة ١٣٧٣هـ .

- تفسير معانى القرآن . - لابى زكريا يحيى بن زياد الفـــراء م ٢٠٧ ط - الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧٢م .

- تفسير معانى القرآن . - لسعيد بن مسعدة ابى الحســـن الاخفش المتوسط م ٢٢١ بتحقيـــق د / فائز فارس - ط المطبعة المصرية الكويت سنة ١٤٠٠هـ .

- التفسيـــر والمفســرون . - للدكتور / محمد حسين الذهبـــى ط - مطبعة السعادة سنة ١٣٩٦هـ .

- تفســـير المنـار . - لحكيم الاسلام الاستاذ محمد رشيـــد رضا ط - دار المنار سنة ١٣٧٣هـ .

- تفسير موضح القرآن . - للشيخ شاه عبد القادر بن شاه ولى الله الدهلوى م ١٨١٣م ط - مجتبـــاى دهلـــى .

- تفسير نيسابورى (غرائب - للشيخ نظام الدين الحسن بن محمـد القرآن ورغائب الفرقان) . ابن الحسين القمى النيسابورى م ٧٢٨ ط - مصطفى البابى الحلبى .

- تلبيس ابليس . - للامام الحافظ ابن الجوزى م ٥٩٧ ط - منيريه مصر .

- تهذيب التهذيب . - للامام الحافظ احمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلانى م ٨٥٢ ط - دائر المعارف حيدرآباد سنة١٣٢٦هـ

(ج)

- جامع بيان العلم وفضله . - للامام المحدث حافظ المغرب ابى عمر يوسف ابن عبد البر القرطبى م ٤٦٣هـ ط - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

- جلاء الأفهام فى الصلوة والسلام على خير الأنام . - للامام ابن القيم الجوزية م ط - دار الطباعة المحمدية ١٣٩٣هـ

- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد . - للشيخ محمد بن محمد بن سليمان الفاسى المغربى م ١٠٩٤هـ ط - دار التاليف سنة ١٣٨١هـ .

- الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية . - للشيخ ابى محمد عبد القادر محمد بن محمد بن نصر الله م ٧٧٥ ط - عيسى البابى الحلبى تحقيق د . عبد الفتاح محمد الحلو .

(ح)

- حاشية الشهاب (عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى) . - للشيخ احمد بن عمر شهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى م ط - دار الطباعة العامرة سنة ١٢٨٣هـ

- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء . - للحافظ ابى نعيم احمد بن عبد الله - ابن احمد الاصبهانى م ٤٣٠ ط - مكتبة الخانجى بمصر .

- حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) . - للمتشرق سروليام ميور .

(خ)

- خصائص الكبرى . - للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى م ٩١١ مطبعة المدنى بتحقيق الدكتور محمد خليل هراس .

- خطط المقريزى (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) . - للشيخ تقى الدين احمد بن على ابن عبد القادر المقريزى م ط - بولاق سنة ١٢٧٠هـ .

(د)

- دائرة معارف القرن العشرين - للاستاذ محمد فريد بن مصطفى وجدى م ١٩٥٤ ط - دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١ .

- دائرة المعارف . - للبستانى بطرس ط - مطبعة المعارف - بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠م .

(ر)

- الرد على ابن النغريله (اليهودى) . - لحافظ الفقيه ابن حزم الظاهرى الأندلسى م ٤٥٦ ط - دار العروبة مصر سنة ١٣٨٠هـ - تحقيق د/ احسان .

- الرد على المنطقين . - للامام شيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيميه م ٧٢٨ هـ ط القيمة - بمباى سنة ١٣٦٨هـ .

- رد المختار على الدر المختار - للشيخ محمد امين عمر عبد العزيز احمد عبد الرحيم ط - بولاق ١٢٩٩

(ز)

- الزرقانى (شرح المواهب اللدنيه) . - للشيخ محمد بن عبد الباقى ابن يوسف ابن احمد شهاب الدين بن محمد بن علوان المالكى م ١١٢٢هـ ط - الازهرية مصر سنة ١٣٢٥هـ .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر . للامام الحافظ شهاب الدين ابوالعباس احمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي م ٩٧٤ ط - دار الكتب العربيه الكبرى مصر سنة ١٣٣٢هـ .

(س)

- سنن ابن ماجة . - للامام الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني م ٢٧٥ ط - عيسى البابي تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي

- سنن ابي داود . - للامام الحافظ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني م ٢٧٥ ط - دار الحديث - حمص تحقيق عزت عبيد الماس وعادل السيد .

- سنن الترمذي . - للامام الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩ ط - مصطفى البابي سنة ١٣٥٦هـ تحقيق احمد محمد شاكر .

- سنن الكبرى . - للامام المحدث ابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي م ٤٥٨ ط - دار الفكر .

- سنن النسائي . - للامام الحافظ ابى عبد الرحمن احمد ابن شعيب بن على م ٣٠٢ ط - مصطفى البابى سنة ١٣٨٣هـ .

(ش)

- شرح الكرمانى . - للامام العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن على بن محمد الكرمانى م ط - المصرية سنة ١٣٥١هـ .

- شرح مسلم . - للحافظ محى الدين ابى زكريا يحيى ابن شرف الدين م ٦٧١ ط - دار الفكر - بيروت سنة ١٣٩٢هـ .

- شذرات الذهب فى اخبار - للعلامة ابى الفلاح عبد الحى بن احمد بن محمد الحنبلى ط - مكتبة القدس مصر سنة ١٣٥٠هـ .

(ص)

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) . - للشيخ ابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى م ٣٩٣ ط - دار الكتاب العربى مصر - تحقيق احمد عبد الغفور عطار .

- صحيح ابن حبان . - للامام ابى حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمى م ٣٥٤ ط - مطبعة المجد سنة ١٣٩٠هـ .

- صحيح البخارى . - لامام المحدثين الحافظ ابى عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى م ٢٥٦ ط - الفجالة الجديدة سنة ١٣٧٦هـ .

- صحيح مسلم . - للامام الحافظ ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى م٢٦١ ط - دار احياء الكتب العربية عيسى البابى تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى سنة ١٣٧٤هـ .

- الصراع بين الايمان والمادية (تأملات فى سورة الكهف) . - للشيخ ابى الحسن على الحسنى الندوى ط - دار القلم - الكويت سنة ١٣٩٠هـ .

(ط)

- الطبقات الكبرى . - للامام المحدث ابى عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى م ٢٣٠هـ ط - دار صادر - بيروت .

- الطريقة المحمدية . - للشيخ زين الدين محمد بن بير على محى الدين البركوى م ٩٨١ ط مصطفى البابى سنة ١٣٥٦هـ .

(ع)

- العزلة . - للشيخ ابى سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى البستى م ٣٨٨ ، ط - سلفية قاهره سنة ١٣٨٥هـ .

- العقائد الاسلامية . - للاستاذ سيد سابق ط دار الكتب الحديثة مصر سنة ١٣٨٧هـ .

- عقيدة الاسلام . - للشيخ انور شاه الكشميرى الديوبندى م ١٣٥٢هـ ط - المجلس العلمى كراتشى سنة ١٣٨٠هـ .

- عمدة القارى . - للامام الحافظ بدر الدين محمد محمود ابن احمد العينى م ٨٥٥ ط - المنيرية .

- عون المعبود شرح ابى داؤد - للعلامة ابى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ط - سلفيه مدينة المنورة سنة ١٣٨٨هـ .

(ف)

- فتح البارى . - للامام الحافظ احمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلانى م ٨٥٢ ط - سلفيه تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى

- فتح الرحمن الرحيم . - للشيخ سعود بن حسن بن ابى بكر القناوى م ط - المطبعة العثمانية مصر سنة ١٣١٠هـ .

- فتوح الشام . - للشيخ ابى عبدالله محمد بن عمر الواقدى م ط المكتبة الأهلية - بيروت .

- الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان . - لشيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ط - السلفية مصر سنة ١٣٨٧هـ .

- الفصل فى الملل والاهواء والبخل . - للامام الشيخ ابن حزم الظاهرى م ٤٥٦ - مطبعة على صبيح قاهره سنة ١٣٨٤هـ .

- فضائل القرآن . - لابى عبدالله محمد بن عبدالواحد ابن ابراهيم م ٦١٩ (مخطوطة) .

- فضل علم السلف على الخلف - للشيخ زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن ابن احمد بن احمد بن رجب البغدادى ط - ادارة الطباعة المنيرية ١٣٤٧هـ

- الفقه الأكبر . - للأمام الأعظم ابى حنيفة النعمان م مع شرحه للعلامه ملا على قارى م ط - دار الكتب العلميه - بيروت سنة ١٣٩٩هـ .

- فقه اللغة . - للامام ابى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى م ٤٢٩ ط - دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٨هـ

- فيض البارى (شرح البخارى) . - للمحدث الفقيه أنور شاه الكشميرى الديوبندى م ١٣٥٢هـ - مطبعة حجازى قاهرة سنة ١٣٥٧هـ .

- فيض القدير . - للامام عبد الرؤف المناوى م ط - مصطفى محمد طبعه اولى ١٣٥٠هـ.

(ق)

- القاموس المحيط . - للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ٨١٧ ط - المؤسسة العربية بيروت .

- قرطبـــــن . - للشيخ محمد بن احمد بن مطرف الكتانى القرطبى ط - مكتبة الخانجى سنة ١٣٥٥هـ .

- قصص الانبياء (العرائس) - للشيخ اسحاق احمد بن محمد بـــن ابراهيم النيسابورى الثعلبى م ط - المكتبة العلاميه مصر ١٣٤٨هـ.

- قصص الانبياء . - للشيخ الحافظ ابى الفداء اسماعيـل ابن كثير القرشى م ٧٧٤ ط - دار التاليف مصر سنة ١٣٨٨هـ.

- قصص القرآن . - للشيخ حفظ الرحمن ابن شمس الدين سيوهاروى م ١٣٦٢هـ ط - دار الاشاعت كراتشى - الطبعة الرابعـة سنة ١٣٧٤هـ.

(ك)

- الكامل (فى التاريخ او كامل التواريخ) . - للشيخ عز الدين ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى م ط - دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ.

- كتاب التوحيـــد . - للشيخ عبد المجيد عزيز الزندانى الجزء الاول ط - رئاسة المحاكمة الشرعية قطر سنة ١٣٩٧هـ.

- الكتاب المقدس . - المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٢٩

- الكشكـــول . - لبهاء الدين محمد بن الحسيـــن العاملى م ١٠٣٥ ط -

- كنز العمال (فى سنـــن الاقوال والأفعال) . - للعلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهانفورى م ٩٧٥ ط - مكتبة التراث الاسلامى حلب .

- كهف أهل الكهف . - للاستاذ رفيق وفا الدجانى ط - مؤسسة المعارف بيروت سنة ١٩٦٤م

(ل)

- لباب النقول فى أسبـــاب النزول . - للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى م ٩١١ ط - مصطفى البابى الطبعة الثانية .

- لســـان العرب . - للشيخ جمال الدين ابن منظور محمد ابن المكرم بن ابى الحسن بن احمد الأنصارى م ٧١١ ط - دار صادر بيروت سنة ١٩٥٦م .

(م)

- المحبـــــر . - للشيخ ابى جعفر محمد بن حبيب ابن امية بن عمرو الهاشمى البغدادى م ٢٤٥ ط - المكتب التجارى بيروت.

- مختـــار الصحاح . - للشيخ محمد بن ابى بكر الرازى ط - دار الكتاب العربى بيـــروت سنة ١٩٦٧م.

- مختصر شعب الايمان . - للشيخ ابى جعفر عمر القزوينى م ٦٩٩ ط - منيرية الطبعة الثالثة ١٣٥٥هـ

- مختصر لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية شرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية . - للشيخ العلامة محمد بن على بن سلوم الحنبلى تحقيق محمد زهرى النجار الطبعة الاولى سنة ١٣٨٦هـ.

- المدهـــش . - للامام ابى الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن على بن محمد المعروف بابـــن الجوزى م ٥٩٧ ط - دار الجيل بيروت ،

- مروج الذهب ومعادن الجوهر - للرحالة الكبير ابى الحسن على بـــن الحسين بن على المسعودى م ٣٤٦هـ . ط السعادة الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ.

- مسالك الممالك . - لابى اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى م

- المسالك والممالك . - للشيخ ابى القاسم عبيد الله بن احمد المعروف بابن خرداذبه م ٣٠٠هـ ط ـ مكتبة المثنى بغداد .

- المستدرك على الصحيحين - للامام الحافظ ابى عبد الله الحاكم النيسابورى م ط ـ دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨هـ.

- مسند ابى عوانه . - للامام المحدث ابى عوانة يعقوب بن اسحاق الاسفرائنى م ٣١٩هـ ط ـ دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد دكن سنة ١٣٦٢هـ .

- مسند احمد . لامام المحدثين احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى م ٢٤١ هـ ط ـ المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٨هـ.

- مشكوة المصابيح . - للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى م تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى سنة ١٣٧٩هـ .

- المطالب العالية (بزوائد المسانيد الثمانية) : - للامام الحافظ احمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني م ٨٥٢ ط - المطبعة العصرية بالكويت سنة ١٣٩٣هـ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي .

- المعارف . - للشيخ ابن قتيبة الدينوري م ٢٧٦ ط - دار احياء التراث العربي بيروت

- معجم البلدان . - للشيخ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي م ٦٢٦ ط - دار صادر بيروت .

- معجم المؤلفين . - للشيخ عمر رضا كحاله ط - دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٧٦هـ

- معرفة القراء الكبار على والاعصار . - للامام شمس الدين ابي عبد الله الذهبي م ٧٤٨هـ ط - اولى - دار الكتب الحديثة مصر .

- المفردات في القرآن . - للعلامة ابي القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل المعروف بالراغب الاصفهاني م ٥٠٢ .

- المنجد في الأعلام . - للأب فرديناند ثوثل اليسوعي ط - دار المشرق بيروت سنة ١٩٨٠م .

- الموسوعة الثقافية . تاليف لجنة العلماء ط - مؤسسة فرنكلين القاهرة سنة ١٩٧٢م .

- الموسوعة العربية الميسره . - لجنة العلماء والباحثين العرب برعاية الاستاذ محمد شفيق غربال ط - دار القلم و مؤسسة فرنكلين . الطبعة الاولى سنة ١٩٦٥م .

- الموضوعات . - للحافظ ابى الفرج عبدالرحمن بن على المعروف بابن الجوزى ٥٩٧ ط - المكتبة السلفية المدينة المنورة سنة ١٣٨٨هـ .

- المواقف . - للشيخ عبدالرحمن بن احمد الايجى الشيرازى م ٧٥٦ ط - عالم الكتب بيروت .

(ن)

- الناسخ والمنسوخ . - للشيخ ابى القاسم هبة الله بن سلامه ابن نصر بن على الضرير البغدادى م ٤١٠ ط - البابى الحلبى ١٣٨٧هـ .

- النهاية (فى غريب الحديث والأثر) . - للامام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ط - المكتبة الاسلامية .

الاعـــــلام - الصفحـــــات

(الـف)

- ابراهيم عليه السلام - ١٥٣ - ٢٩٦ - ٣٥٠ - ٣٥٦ - ٤٢٨ - ٤٤٤ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٦٤ - ٤٦٨ - ٥٠٢ - ٥٢١ .

- ابرهـــة الأشـــرم - ٧

- ابليـــس - ٣٣ - ٢٨٣ - ٢٩٩ - ٣٠١ - ٣٠٤

- ابن ابى حاتـم - ٣٤١ - ٤٥١ - ٥٠٦ .

- ابن ابى الدنيـا - ٣٦١ - ٣٦٢ .

- ابن ابى ذئب الخزاعى - ٤٥٠ .

- ابن اسحاق - ١٠٣

- ابن التيـــن - ٣٤١

- ابن جريـــج - ١٠٩

- ابن سينـــا - ٤٥٢

- ابن الصـــلاح - ٣٦٠

---

(١) ذكر فى فهرس الاعلام غير اصحاب المراجع اكتفاء بذكرهم فى ثبت المراجـــع .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- ابن عباس رضى الله عنه	- ٢٧ - ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٥٩ - ١٩١ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢٢٤ - ٢٤٥ - ٢٩٩ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٤٦ - ٣٥٦ - ٣٦٦ - ٣٧١ - ٣٨٣ - ٣٩٩ - ٤٠٤ - ٤٠٩ - ٤١١ - ٤٤٨ - ٤٥١ - ٤٦٩ - ٤٧٩ - ٤٩٠ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥١٩.
- ابن عطية	- ٩١ - ٣٤٢.
- ابن عمر رضى الله عنه	- ١٧٩ - ٣٢٨ - ٣٦٢.
- ابن قتيبـــة	- ٤٠١.
- ابن الكلبـــى	- ١٩٣.
- ابن كيسان	- ٣٨٠.
- ابن مسعود رضى الله عنه	- ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢١٨ - ٣٢٨ - ٤٩٧.
- ابن مهدى	- ٥٠٩.

الاعـــــلام	الصفحـــات
- ابن المنـــاوى	- ٣٦٢ - ٣٦٤ .
- ابن النحاس النحوى	- ٤٨ .
- ابن وهـــب	- ٢٥٢ .
- ابو اسحاق	- ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ .
- ابو اسحاق اسفرائينى	- ٣٩٤ .
- ابو بكر الصديق رضى اللـه عنـــه .	- ١٤٥ - ٣٢٩ - ٣٦٢ - ٥١٠
- ابو بكر محمد بن داؤد الأصبهانـــى .	- ٣٩٤ .
- ابو بلخ	- ٢٥٢ .
- ابو حاتـــم	- ٢٦١ .
- ابو حنيفة النعمان	- ١٢٤ - ١٩٩ - ٣٢٨ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٥١٦ .
- ابو حنيفة الدينورى	- ٣٢٨ .
- ابو الخطاب	- ٣٦٥ .
- ابو الدرداء رضى الله عنه	- ١٦ - ٣٣٣ - ٤٠٨ .
- ابو ذر الغفارى رضى الله عنه	- ٥٠٩ .

الاعـــــلام	الصفحـــات
- ابو سعيد الخدرى رضى الله عنـه .	- ١٦ - ٢٦ - ٤٧٣ .
- ابو شجـــاع	- ٣٤٢ .
- ابو عمرو بن العلاء	- ٤٠١ .
- ابو كرب شمس بن عبير	- ٤٤٦ - ٤٤٩ .
- ابو هريرة رضى الله عنه	- ٢٥٢ - ٤٤١ - ٤٥٦ - ٤٧٤ - ٥١٥ .
- ابو الهيثـم	- ٤٨٢ .
- ابو يوســـف	- ٤٠١ .
- ابى بن خلـف	- ٣١٢ .
- ابى بن كعـــب	- ٣٢٦ .
- ابى مرشد الغنوى	- ١٨٢ .
- احمـــد	- ٣٤٨ .
- احمد على	- ٦ .
- الحرورية	- ٤٩١ .
- ادريس عليه السلام	- ٥٢١

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- آدم عليه السـلام	- ٢٤ - ٣٣ - ٢٤٨ - ٢٨٦ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٠٣ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٥٢١ - ٥٢٥ .
- ارسطـــو	- ٤٥٢ .
- ارميا بن حزقيا (اويرميا بن حزقيـا) .	- ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٤٥٧ - ٤٦٠ .
- اسفنديار	- ٤٧٩ .
- اسكندر بن فيلبس	- ٤٢٠ - ٤٤٥ - ٤٤٨ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٤ .
- اسماعيل عليه السلام	- ٤٥١ .
- اشعيا (اويشعيا) عليه السلام .	- ٤٥٧ - ٤٦٥ .
- اشهـــب	- ٢٥٣ .
- آصف بن برخيـا	- ٣٩٥ .
- اصمعـــي	- ٤٠١ .
- افريدون	- ٣٤٩ .
- اقرع بن حابس التميمي	- ٢١٩ - ٢٢٠ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- الياس عليه السلام	- ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦٧ .
- ام حبيبة رضى الله عنها	- ١٨١ .
- امرئ القيس	- ٤٥٠ .
- ام سلمة رضى الله عنها	- ١٨١ .
- امية بن خلف الجمحى	- ٢٢٤ - ٢٢٨ .
- امية بن الصلـــت	- ٩٦ - ٥٠١ .
- انس بن مالك رضى الله عنه	- ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٥٢ - ٣١٤ - ٤٩٦ .
- اوس بن حجـــر	- ٤٥٠ .
- ايد ورد جيبون	- ٢٠٣ .
- ايســع عليه السلام	- ٣٤٨ .
- ايوب عليه السلام	- ٥٢١ .
- ايليا بن الياس	- ٣٤٨ .
(ب)	
- باقلانـــى	- ٥٠٢ .
- بخت نصر	- ٣٤٨ - ٤٥٧ - ٤٥٨ .
- براء بن عازب رضى الله عنه	- ١٥ - ٤٩٧ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- بشر مريســـى	- ٥١٧ .
- بلال رضى الله عنه	- ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ .
- بلقيس	- ٤٥ - ٣٩٥ .
- بليـــا بن ملكان	- ٣٤٨ .
- البيت العتيق	- ٢٦ .
- بيـــل	- ٤٦٠ .
- بيلشازار او بيلشاصر	- ٤٥٨ .
(ت)	
- تاريـــس	- ٤٧١ .
- تبـــع	- ٤٦٨ .
- تتـــار	- ٤٣٦ .
- تراجـــان	- ١٠١ .
- ترك	- ٤٢٨ - ٤٣٦ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٩ .
- تفتازانى	- ٢٩١ .
- تمليخا	- ١٩١ .
- توبل (اوتوبال)	- ٤٧١ - ٤٧٥ .

الأعـــــلام	الصفحـــات
- تيمورلنـك	- ٤٧٨ .
(ث)	
- ثمود	- ٣٥٠ .
- ثيودوسيس	- ١٠١ ، ١٠٢ .
(ج)	
- جابر بن عبدالله رضى الله عنه .	- ٣٣٢ .
- جاحظ	- ٦٦ .
- جبرئيل عليه السلام	- ٢١٩ - ٢٨٥ - ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ .
- جرير	- ٤٠٦ .
- جرير بن عبدالله رضى الله عنه	- ٥١٧ .
- جلندى الأزدى	- ٣٩٩ .
- جندب بن زهير	- ٥١٩ .
- جنكيزخـان	- ٤٣٧ .
- جنيد بغدادى	- ٣٥٨ - ٥٢١ .
- جـوج	- ٤٧٥ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- جيســـور	٣٨٢ .
- جى وانكى ففقور (راجع ففقور)	
(ح)	
- حارث الرائش	٤٥٦ - .
- الحارثى	٤٤٩ - .
- حبيب بن مسلمة	٩٣ - ٢٠٩ - .
- الحريرى	٣٩١ - .
- حزقيل عليه السلام	٤٧٥ - ٤٧٨ - .
- حسن بن على	٤١١ - .
- حفص بن سليمان	٦٠ - .
- حفص بن ميســرة	٢٥٢ - .
- الحكيم الترمذى	٥٠٩ - .
- حمـــر	٤٧١ - .
- حواء	٤٧٠ - .
- حيسور	٣٨٢ - .
- حيســون	٣٨٢ - .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
(خ)	
- خباب رضى الله عنه	- ٢١٨ - ٢١٩ .
- خضر عليه السلام	- ٣ - ٤ - ١١ - ١٤ - ٤٠ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٤٩ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٥ - ٣٩٢ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤٥٠ - ٤٥٤ - ٤٦٧ - ٥٢٦ .
- خضرون بن قابيل	- ٣٤٨ .
- خوارج	- ٢٩١ - ٤١١ - ٤٩٢ .

الاعـــــلام	الصفحـــات
(د)	
- دارا	- ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٤٨ - ٤٦٣ -
- دانيال عليه السلام	- ١٨٤ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦٣ - ٤٦٤ .
- داود عليه السلام	- ٤٥ .
- داودى	- ٣٤١ .
- دجـــال	- ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٦١ - ٣٤٩ - ٣٦٠ - ٤٤٤ .
- دقيانوس	- ٨٤ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٧٤ - ١٧٨ - ٢٠٨ .
- دنيموس	- ١٩١ .
(ذ)	
- ذو القرنين	- ٣ - ٥ - ١١ - ١٤ - ٢٥ - ٣٥ - ٤٠ - ٢٠٨ - ٢٦٣ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢٣ - ٤٢٥ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٤٠ - ٤٤٥ - ٤٤٨ - ٤٤٩ -

الاعـــــلام الصفحـــــات

- ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٥ -
٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٦٠ - ٤٦٤ -
٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ -
٤٦٩ - ٤٧٣ - ٤٧٨ - ٤٨٠ -
٥٢٦ .

- ذى المنار - ٤٤٩ .
- ذى نواس - ٤٤٩ .
- ذى النون - ٤٤٩ .
- ذى يزن - ٤٤٩ .

(ر)

- رقيوس - ٩١ .
- روش - ٤٧٥ .

(ز)

- زر بن جيش - ٥٠٧ .
- زكريا عليه السلام - ١٤ - ٤٦٥ .
- زليخـــا - ٣٣٤ .
- زينوفـــن - ٤٦٢ .

الاعـــــلام الصفحـــــات

(س)

- سارينوس - ١٩١ .
- السبكـى - ٣٩٠ .
- سدى - ٤٦٤ - ٤٦٧ - ٥٠١ .
- سرسيد احمد خان - ٤٧٧ .
- سر وليام ميور - ٢١٥ .
- سرى السقطى - ٣٥٨ .
- سعد بن ابى وقاص - ٢١٨ - ٤٩٠ - ٤٩١ .
- سعيد بن جبير - ٣٢٦ - ٣٩٥ .
- سعيد بن المسيب - ٢٩٩ .
- سعيد بن عامـــر - ٩٨ - ٩٩ .
- سفيان الثورى - ٤٤٢ .
- سفيان بن عيينـــة - ٢١٤ .
- سلمـــان الفارسى - ٢٩٣ .
- سليمان عليه السلام - ٤٥ - ٥٠ - ١٩٧ - ٣٥٠ - ٣٩٥
٤٦٧ .
- سماك - ١٠٢ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- سنوفس	- ١٩١ .
- سيتهـن	- ٤٦٢ - ٤٦٤ .
- سيـــل	- ٦٩ .
- سيلا برجـر	- ٤٧٨ .
- سينـــاء	- ٣٦٦ .
(ش)	
- الشافعي (محمد بن ادريس)	- ٢٦ - ٩٩ .
- الشعبي	- ٣٠٤ - ٣٣٤ .
- شعيب عليه السلام	- ٣٢٢ - ٣٩٧ .
- شوشان القصـر	- ٤٥٩ .
(ص)	
- صالح عليه السلام	- ٤٥ .
- صالح بن محمد	- ٥٠٩ .
- صعب بن ذى مرثد	- ٤٤٥ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٦ .
- صعب بن ذى يزن الحميرى	- ٤٤٧ .
- صهيب رضى الله عنه	- ٢١٩ - ٢٢٠ .

الاعـــــلام الصفحـــات

(ض)

- ضحـــاك - ٤٠٤ .

(ط)

- طرفة بن العبد - ٤٥٠ .

- الطوسى الاكبر - ٥٢١ .

(ع)

- عائشة (ام المؤمنين رضى الله عنها) . - ١٨١ - ١٨٣ .

- عاد - ٣٢٢ - ٣٨٦ .

- عامـــر - ٣٤٨ .

- عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . - ٥١١ .

- عبد الرحمن بن قيس الزعفرانى - ٥٠٩ .

- عبد العزى بن قطـــن - ١٨ .

- عبد القادر الجيلانى - ٣٥٨ .

- عبد الله بن انيس - ٣٣٢ .

- عبد الله بن الضحاك - ٤٤٦ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- عبدالله بن المبارك	- ١٤٧ .
- عبد الملك بن عبدالله بن عبد وليد .	- ٥٠٩ .
- عبد الملك بن مروان	- ٢٦١ .
- عثمان بن عفان رضى الله عنه	- ٦٠٩ .
- عرفات	- ٣٩٠ .
- عروة	- ٢٥٢ .
-عزرا (او عزير) عليه السلام	- ٧٣ - ٤٦٠ - ٤٨٨ .
- عطاء	- ٣٨٣ - ٤٥٠ .
- على بن ابى طالب رضى الله عنـــه .	- ٨ - ١٩١ - ٣١٢ - ٤٦٩ - ٤٩١
- على بن احمد	- ٤٥١ .
- عقبة بن ابى معيط	- ١ - ٢٧ .
- عكرمه	- ١٠٢ - ٥٠١ .
- عمـــار	- ٢٢٠ .
- عمران	- ٢٩٦ .
- عمر بن الخطاب رضى الله عنه	- ٩٨ - ٩٩ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٦ - ٢٩٢ - ٢٩٣ .

الاعـــــلام الصفحـــات

- عمرو بن دينار - ١٠٢ .

- عمرو بن العاص رضى الله عنه - ٢٥٢ - ٤٦٩ - ٤٧١ .

- عمرو بن مصعب - ٤٩٠ .

- عوفى - ٣٦٦ .

- عيسى عليه السلام - ١٤ - ٢٠ - ٧٣ - ١٣٦ - ٢٠٨
- ٢٠٩ - ٣٥٠ - ٣٥٦ - ٣٩٦ -
- ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٥٧ - ٤٦٤ -
- ٤٨٨ - ٥٢١ .

- عيص بن اسحاق - ٣٩٩ .

- عيـــلام - ٤٥٩ .

- عيينة بن حصن الفزارى - ٢١٩ - ٢٢٠ .

- (ف)

- فاطمة الزهراء رضى الله عنها - ٣١٢ .

- فاليريان - ١٠٢ .

- فرعون - ١٢٣ - ٣٤٩ - ٣٦٦ .

- فضيل بن عياض - ١٤٧ .

- فغفور الملك الصينى - ٤٧٧ .

- فيلبس - ٤١٩ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
(ق)	
- قـارون	- ٢٦٣ .
- قاضى عياض	- ٥٩ .
- قتادة	- ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٩ - ٢٤٢ - ٣٤١ - ٣٨٠ - ٣٩٣ .
- القدس	- ٤٦١ .
- قرامطة	- ٢٩١ .
- قيس بن كثير	- ٣٣٣ .
(ك)	
- كاتب جلبس	- ٤٧٩ .
- كرامية	- ٣٥٥ .
- كردليس	- ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٥ .
- كستاسب بن لهراسب	- ٣٥٠ .
- كسرى انوشيروان	- ٤٧٩ .
- كسطونس	- ١٩١ .
- كعب الأحبار	- ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٩ - ٥٠١ -
- كلا فجو	- ٤٧٨ .

الاعـــــلام	الصفحـــات
- الكلبـي	- ٣٤١ - ٣٨٣ - ٤٠٤ -
- كورش	- ٤٤٥ - ٤٤٧ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٨ - ٤٦٠ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ .
- كي سيـاز	- ٤٦٢ .
(ل)	
- لوط عليه السلام	- ٤٥ - ٣٢٢ .
- ليلى الاخيليـة	- ٣٨٤ .
- ليـون	- ٢١٥ .
(م)	
- مـادى	- ٤٧١ .
- مالك بن انس الأصبحى	- ١٨٨ - ٢٥٣ .
- مالك بن دينار	- ٣٧١ .
- مـاوردى	- ٣٥٢ .
- مجاهد بن جبير	- ٤٩٠ - ٥٠١ - ٥٢٠ .
- مجدد الالف الثانى	- ٣٥٧ .
- محمد صلى الله عليه وسلم	- ٤ - ١١ - ١٣ - ٢٧ - ٢٩ - ٥٧

الاعـــــلام الصفحـــــات

- ٥٨ - ٦٤ - ٧٧ - ٧٩ - ٨١ - ٨٣
٨٤ - ١٢٢ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٦١
١٨٤ - ١٩٠ - ٢١٥ - ٢٩٧ -
٣١٦ - ٣١٧ - ٣٢١ - ٣٥٠ -
٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٦٣ -
٤١٧ - ٤٩١ - ٥٠٨ - ٥٢١ .

- محمد بن ابراهيم بن أبـــى - ١٤٧ .
سكينـــة .

- محمد بن الحسن الشيبانى - ٤٠١ .

- مـــردوخ - ٤٦٠ .

- مرزبان بن مرزبه - ٤٤٦ .

- مرطونس - ١٩١ .

- مريـــم - ١٤ - ١٣٦ .

- مستعصم بالله - ٤٣٦ .

- مسروق - ٣٣٤ .

- مسك (اوماشك) - ٤٧٥ .

- مصعب بن عبدالله - ٤٤٦ .

- معاذ بن جبل رضى الله عنه - ٢٩٢ .

الاعـــــلام الصفحـــــات

- معاوية بن ابى سفيان رضـى الله عنـــه - ٩٢ - ١٥٩ .

- معتزلـــه - ٢٩١ - ٤٩٨ .

- مفـــول - ٤٣٦ - ٤٧١ .

- مكسلمينا - ١٩١ .

- منذر بن ابى القيس - ٤٤٥ - ٤٤٦ .

- منصور ابو جعفـــر - ١٩٩ .

- موريس الفرنساوى - ٧٠ .

- موسى عليه السلام - ٢ - ٣ - ٤ - ١١ - ١٤ - ٣٤ - ٤٥ - ١٢٣ - ١٢٧ - ١٦١ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦٣ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ -

الاعـــــلام	الصفحـــــات
	- ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٩٢ - ٣٩٦ - ٣٩٨ - ٤٠٥ - ٤١٤ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤٤٤ - ٤٦٤ - ٥٢٥ .
- موسى بن منشـا	- ٣٢٨ - ٣٦٧ .
(ن)	
- نافع بن عبد الرحمن	- ٣٨٦ .
- نجدة الحروري	- ٣٥٦ - ٣٨٣ .
- نضر بن حارث	- ١ - ٢٧ - ٢١٧ - ٣١٢ .
- نعمـــان	- ٤٤٩ .
- نعمان بن بشير	- ٨٨ .
- نواس بن سمعان	- ١٧ - ٤٤٤ .
- نوح عليه السلام	- ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٤٧٠ - ٥٠٢ .
- نوف البكالي	- ٣٢٦ - ٣٢٨ .
- نيشريـــة	- ٢٩١ .
- هدد بن بدر	- ٣٩٩ .
- هرشفلد	- ٧٠ .

الاعـــــلام	الصفحـــــات
- هرمس او هرد وس بن قيطون	- ٤٤٧ .
- هميســـــع	- ٤٤٦ .
- هيرد وتـــس	- ٤٦٢ .
(و)	
- وليد بن المغيرة	- ٦٤ - ٢١٧ .
- وليام ميور	- ٢٠٣ .
- وهب بن منبه	- ٢٥٢ - ٣٤٢ - ٤٤٩ -
(ى)	
- ياجوج ماجوج	- ٢١ - ٣٥ - ٤٢٨ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٥٢ - ٤٧٠ - ٤٧٣ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨١ .
- يافث بن نوح عليه السلام	- ٤٧٠ - ٤٧١ .
- يحيى عليه السلام	- ٥٢١ .
- يحيى بن اكثم	- ٢١٤ .
- يرميا عليه السلام	- راجع ارميا عليه السلام .
- يهوحانان بن لاوى	- ٣٦٧ .

الاعـــــلام	الصفحـــات
- يوسف عليه السلام	- ٣٣٤ أ
- يعلى بن شداد	- ٥٢٠ .
- يوشع بن نون عليه السلام	- ٣٢٩ - ٣٣٧ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٦ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ -
- يونـــان	- ٤٧١ .

" فهرس الأماكن "

الأماكـــــن	الصفحات
- أبلة	٣٣١ - ٣٣٨
- ابين	٥١٧
- اتكوده	٤٧٨
- اذربيجان	٣٣٠ - ٤٤٨ - ٤٧٩
- ارمينيـــا	٣٣٠ - ٣٨٦ - ٤٤٨ - ٤٧٦ - ٤٧٩
- اسكندنافيـه	٩١
- آسيـــا	٤٧٦ - ٤٧٩
- اصطخـــر	٤٦٣
- اغريقيه	٣٣٠
- افســوس	٩٠ - ٩٤ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢
- اندلس	٣٣٠
- انطاكيـــه	١٠٢ - ٣٨٨
- ايجـــه	٣٨٨
- ايكـــه	٣٨٨
- ايلـــه	٩٥ - ١٠٣ - ٣٣١ - ٣٨٦
- بابـــل	٤٥٣ - ٤٦٠
- باب الابواب	٤٧٧

الأماكـــــن	الصفحـــات
- باجروان	٣٨٨
- باختـــر	٤٦٢
- باكـــو	٤٧٦
- بتراء	٩٠ - ٩٦ - ١٠٢
- بخـــارى	٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨
- برقـــة	٣٨٦
- بغداد	٣٩٠ - ٤٣٦ - ٤٣٧
- بوقورقة	٤٧٨
- بيكنج	٤٧٦
- بلقاء	٨٦ - ٩٨ - ١٠٣
- ترمذ	٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨
- تفلـس	٤٧٦
- الجدار الصينى	٤٧٦
- الجوبياء	٤٧٨
- الجزيرة الخضراء	٣٨٦
- خرطوم	٣٣١
- خزر	٤٧٨ - ٤٧٩
- دربند	٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨
- دلف	٤٥٣

الأماكـــــن	الصفحـــات
- دمشق	٢٠ - ٣٣٣
- دمياط	٣٣١
- رجيب	٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢
- رشيد	٣٣١
- طبريه	٢١
- طرسوس	٩٤ - ١٤٧
- طنجـــة	٣٣٠
- عسفان	٩٥
- عقبة داريال	٤٤٧
- عمـــان	٩١ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠
- غار حراء	١٤٦
- غار ثور	١٤٥ - ٢٠٠
- غرناطه	٩٠ - ١٠٢
- فلسطين	٩٥
- قفقاز او قوقاز	٤٧٧ - ٤٧٩
- كـورا	٤٦٥
- ما نجلوس	١٠١
- المدرج الرومانى	١٠١
- المديـــن	٣٩٧

الأماكن	الصفحات
- المدينة المنورة	٨٥ - ١٤٥ - ١٦١ - ٢٠٠
- المسجد الحرام	١٤٨
- المضيق	٩٧
- مكة المكرمة	٨٥ - ٢٠٠
- ناصرة	٣٨٦
- نويجيس	١٠١
- نينوى	٩١ - ١٠٣
- الهند	٤٧٨

* فهرس الأحاديث *

الأحاديث	الصفحة
- اتعجبون من دقة ساقيه والذى نفسى بيده الى آخره	٤٩٨
- ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة	١٤٣
- اذا دخل اهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى	٥١٦
- أرئيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة منها	٣٦٢
- السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين	١٨٦
- اصحاب الكهف اعوان المهدى	٢١٠
- اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك	١٢٢
- ألا اخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والارض	٥٠٧
- ألا ادلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش	٣٥٢
- ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد	١٨١
- اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا	٣٩٩
- اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر	٤٠٠
- ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الأصغر	٥١٩
- ان اهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس	٤٧
- ان سليمان بن داؤد قال لا طوفن الليلة على ستين امرأة	١٩٧
- انطلق ثلاثة فكانوا فى كهف فوقع الجبل	٨٨
- ان عمر بن الخطاب رأى انس بن مالك يصلى عند قبر فقال القبر القبر .	١٨٢

الأحاديث	الصفحة
- ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك	٥١٩
- ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم القى عليهم من نور	٥١١
- ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم	٣٤٠
- انما مثلى ومثل امتى كمثل رجل استوقد نارا	٧٩
- انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء	٣٤٩
- انه قال فى بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن العتاق الاول .	١٠
- البركة مع أكابركم	٤١١
- تأتى الابل على صاحبها على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها .	٢٧٩
- جعلنى الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف	٣٢٩
- جنات الفردوس اربع	٥٠٢
- حديث البطاقة فى الرجل الذى يؤتى به ويوضع له فى كفة	٤٩٧
- حلوة الدنيا مرة الآخرة ومرة الدنيا حلوة الأخرة	٣٣٧
- خطب النبى صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط	٥١٤
- خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار	٢٨٤
- الدعاء سلاح المؤمن ونور السموات والارض	١٠٥
- ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة	١٧-٢٢
- سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله	١٢٢

الأحاديث	الصفحة
- سلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة	٥٠٢
- سيأتى الرجل السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة	٤٩٤
- عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود اعطونا شيأ لنسأل عنه هذا الرجل .	٥٠٦
- عن ابى ذر قال قلت فاى الانبياء كان اول قال آدم	٢٩٦
- عن انس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لى يوم القيامة .	٤٩٦
- عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون م اضحك .	٣١٤
- عن خباب بن الأرت فى قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم .	٢١٨-٢٢٠
- عن عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة	١٨١
- عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان .	٣١٢
- فلما رأى الدهقان عمر سجد فقال عمر ما هذا السجود	٢٩٢-٢٩٣
- فلولا ذلك ابرز قبره غير انه خشى ان يتخذ مسجدا	١٨٣
- فياتى المؤمن شاب حسن اللون	٤٩٧
- قال يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا .	٤٣٩-٤٧٤

الأحاديث	الصفحة
- قال يأتى وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة	٣٦٢
- قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة فجعلت تنفر	١٥-١٦
- قال رجل يارسول الله انى اقف الموقف اريد وجه الله	٥١٩
- قام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من انا	٥١١
- كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	٢٥
- كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان	٩
- كم من أشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له	١٤٣
- كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون	٢١٨
- كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرياء الشرك الأصغر .	٥٢٠
- كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم وحنى جبهته	٤٨٢
- لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب	٤٣٦
- لا تجعلوا قبرى عيدا	١٨٧
- لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها	١٨٢
- لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات	٤٤٣
- لا تكن اول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها	٣٠٤
- لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال	١٦٠
- لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى	٣٢٩
- لا يقولن أحدكم عبدى وامتى كلكم عبيد الله	٢٩٣

الأحاديث	الصفحة
- لسرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار منها مسيرة اربعين سنة .	٢٢٦
- لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج	١٨١
- لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد	١٨٤
- لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام	٤٤٤
- لكنى اصوم وافطر واصلى واقوم وارقد	٥١٣
- لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم احدق به اصحابه	٣٦١
- لو كنت أمرا ان يسجد لاحد لأمرت النساء ان يسجدن لأزواجهن .	٢٩٢
- ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف .	٢١٠
- ماء كالمهل كعكر الزيت فاذا قرب الى فيه سقطت فروة وجهه	٢٢٨
- ما أدرى تبع أنبيا كان ام لا وما ادرى ذى القرنين أنبيا كان ام لا .	٤٥٦
- ما انعم الله على عبد نعمة فى اهل او مال او ولد فيقول ماشاء الله .	٢٥٢
- ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل	٣١٣
- ما ينبغى لعبد ان يقول انى خير من يونس بن متى	٨٥
- من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع .	٢٧٩

الأحاديث	الصفحة
- من ترك الكذب وهو باطل بنى له قصر فى ربض الجنة	١٩٥
- من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال .	١٧
- من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع	٣٤٧
- من رأى شيئا يعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره .	٢٥٢
- من سلك طريقا ليطلب فيه علما سهل الله به طريقا من طرق الجنة .	٣٣٣
- من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له طريقا الى الجنة	٣٤٧
- من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد أخطأ	٨
- من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد ان يقوم من الليل قامها .	٥٠٧
- من قرأ سورة الكهف كما نزلت ثم خرج الى الدجال لم يسلط عليه .	١٦
- من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيامة	١٦
- من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له النور	٢٦
- من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له النور	٢٤
- من قرأ فى ليلة فمن كان يرجوا لقاء ربه ليعمل عملا صالحا	٥١٧
- من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه	٣٩٢

الأحاديث	الصفحة
- نصرت بالرعب مسيرة مشهر	١٦٠
- نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الأخره	١٨٦
- هل عندكم من رسول الله شيء بعد القرآن	٨
- واذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه	٣٨١
- وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر أحدا فدعا له	٣٨٦
- وكانت الاولى من موسى نسيانا	٣٨٥
- ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان	٢٤٣
- ياأهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تمرضوا ابدا	٥٠٣
- يا موسى ان لي علما لا ينبغي لك ان تعلمه	٣٢٤
- يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا	٢٧٧
- يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك	٤٧٣-٤٧٤
- يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام	٤٨٣
- يوشك ان يكون خير مال أحدكم غنم	١٤٥(١)

---

(١) ذكرت الأحاديث الوارده في حاشية الرسالة أيضا تسهيلا للقارئين .

" فهرس آيات السورة حسب الأرقام "

الآيـــــات	الصفحـــــات
١ - ٥	٣٧ - ٧٦
٦ - ٨	٧٧ - ٨٢
٩ - ١٢	٨٣ - ١١٨
١٣- ١٦	١١٩- ١٥٠
١٧	١٥١- ١٥٥
١٨	١٥٦- ١٦٢
١٩- ٢٠	١٦٣- ١٧٥
٢١	١٧٦- ١٨٨
٢٣- ٢٤	١٩٦- ٢٠٠
٢٥- ٢٦	٢٠١- ٢١١
٢٧- ٢٨	٢١٢- ٢٢٥
٢٩	٢٢٦- ٢٢٩
٣٠- ٣١	٢٣٠- ٢٣٥
٣٢- ٣٦	٢٣٦- ٢٤٤
٣٧- ٤١	٢٤٥- ٢٥٤
٤٢- ٤٤	٢٥٥- ٢٦٥
٤٥- ٤٦	٢٦٦- ٢٧٢
٤٧- ٤٩	٢٧٣- ٢٨١

الآيـــــات	الصفحـــــات
٥٠	٢٨٢ - ٣٠٥
٥١	٣٠٦ - ٣٠٧
٥٢	٣٠٨ - ٣١٠
٥٣	٣١١
٥٤	٣١٢ - ٣١٥
٥٥ - ٥٦	٣١٦ - ٣١٨
٥٧ - ٥٩	٣١٩ - ٣٢٢
٦٠ - ٦٥	٣٢٣ - ٣٦٧
٦٦ - ٧٠	٣٦٨ - ٣٧٤
٧١ - ٧٣	٣٧٥ - ٣٧٩
٧٤ - ٧٦	٣٨٠ - ٣٨٧
٧٧ - ٧٨	٣٨٨ - ٣٩٧
٧٩	٣٩٨ - ٤٠٣
٨٠ - ٨١	٤٠٤ - ٤٠٧
٨٢	٤٠٨ - ٤١٥
٨٣ - ٨٤	٤١٦ - ٤٢١
٨٥ - ٨٨	٤٢٢ - ٤٢٦
٨٩ - ٩١	٤٢٧ - ٤٢٨
٩٢ - ٩٦	٤٢٩ - ٤٣٠

الآيـــــات	الصفحـــــات
٩٧ - ٩٩	٤٣١ - ٤٨٢
١٠٠ - ١٠٦	٤٨٣ - ٤٩٩
١٠٧ - ١٠٨	٥٠٠ - ٥٠٤
١٠٩	٥٠٥ - ٥٠٧
١١٠	٥٠٨ - ٥٢٢

" فهرس الكتـــاب "

الموضـــــوع	الصفحـــــة
- مقدمـــه	
- تسمية السورة	١
- استعانة المشركين باليهود فى معارضة القرآن	١ - ٢
- محتويات السورة	٣
- الموضوع الرئيسى	٤ - ٧
- تحديد الموضوع للسورة عمل عظيم الجدوى	٧
- معنى التفسير بالرأى	٧ - ٨
- وجه ارتباط هذه السورة بما قبلها	٩ - ١٢
- وجه ارتباطها بما بعدها	١٣- ١٤
- فضل سورة الكهف	١٥- ٢٣
- فضل قرائتها يوم الجمعة	٢٤ - ٢٦
- سبب نزول سورة الكهف	٢٧- ٢٨
- العرض الاجمالى لمحتويات السورة	٢٩- ٣٦
- السور الخمس المفتتحة بالتحميد	٣٧
- ما هو سر الافتتاح بالتحميد	٣٨- ٤٧
- أقوال المفسرين فى أل	٤٨- ٥٠
- معنى الحمد	٥٠- ٥٤
- المطالب العالية فى التحميد	٥٥- ٥٦

الموضـــوع	الصفحـــة
- معالجة داء الحسد والكبر	٥٦
- صفة العبودية من أشرف الصفات	٥٧
- التنويه بشان القرآن ونفى الاعوجاج عنه نظما ومعنى	٦٠ - ٦٤
- شهادة الوليد بن المغيرة على اعجاز القرآن	٦٤ - ٦٥
- كلمة الجاحظ فى اعجازه	٦٦
- كلمة الرافعى فى اعجازه	٦٦
- مقارنة فاتحة الانجيل بفاتحة القرآن	٦٨
- شهادة المستشرق " سيل " لجمال الأسلوب القرآنى	٦٩
- شهادة " هرشفلد " لقوة اقناع القرآن	٧٠
- شهادة " موريس " لأفضلية القرآن	٧٠
- مدى شفقة المصطفى صلى الله عليه وسلم على الأمة	٧٧ - ٧٩
- قصة اصحاب الكهف حلقة من سلسلة العجائب الكونيـــة .	٨٣ - ٨٥
- الكلام على الرقيم	٨٦ - ٨٧
- اصحاب الكهف والرقيم جماعة واحدة	٨٧ - ٩٠
- اين الكهف ؟ .	٩٠ - ١١٠
- الكلام على كلمة " لنعلم " .	١١٢ - ١١٨
- اهتمام الاسلام بتربية الشباب	١٢٢ - ١٢٣
- الايمان يزيد وينقص " كلمة الشيخ انور شاه الكشميرى فى ذلك .	١٢٤ - ١٢٦

الموضـــوع	الصفحـــة
- اظهار الحق امام الملك الجبار دقيانوس	١٢٩ - ١٣٠
- اين كان هذا القيـام	١٣٠
- الاستدلال بقيام أصحاب الكهف على استحسان القيام فى الموالد والرد عليه .	١٣٠ - ١٣١
- قول القرطبى والشاطبى فى ذلك	١٣١
- كلمة الاستاذ امين احسن فى جملة ينشر لكم والرد عليـه .	١٤٢ - ١٤٣
- الاستدلال بمزلة الكهف على استحسان المزلة	١٤٤
- قول الحافظ ابن كثير فى جوازها ومنعها	١٤٥
- قول المفسر القاسمى فى المزلة	١٤٥
- قول الامام الغزالى فيها	١٤٥ - ١٤٦
- بيان عناية السلف بالجهود الفدائية	١٤٧
- قصيدة عبدالله بن المبارك الى فضيل بن عياض	١٤٧ - ١٤٨
- موقع الغار جنوبا وشمالا	١٥٢
- ما هو سبب الحسبان ؟ .	١٥٦
- الكلام على عدد التقليب	١٥٧
- فائدة صحبة الأخيار	١٥٨
- ما هو سبب الرعب ؟ .	١٥٩
- دلالة الآية على المطالب العالية	١٦٧

الموضـــوع	الصفحـــة
- فوائد التلطف	١٦٧
- الكسب لا ينافى التوكل	١٦٨
- كلام المفسر البقاعى فى الفرق بين التوكل والتواكل	١٦٨
- فوائد الكسب والتوكل	١٦٩
- قصة اصحاب الكهف	١٧٢ - ١٧٥
- ما المراد من وعد الله	١٧٦
- من هم المتنازعون	١٧٧ - ١٧٨
- استدلال البعض بالآية على جواز المساجد عند القبور والرد عليه .	١٨٠
- قول الحافظ ابن كثير فى المتخذين المسجد	١٨٤
- كلام القرطبى على المسائل المستنبطة من الآية	١٨٥
- البحث القيم للمفسر الألوسى	١٨٥
- زيارة القبور لتذكر الأخرة والاستغفار لاهل القبور لا لنيل البركة منهم .	١٨٦
- استدلال المراد آبادى على جواز العرس	١٨٦
- تعظيم القبور من مبادئ الشرك	١٨٨
- من هم القائلون ؟	١٨٩
- ابن عباس من القليل الذى يعلم عددهم	١٩١
- قول البقاعى فى اثبات السبعة	١٩٢

الموضـــوع	الصفحـــة
- واو الثمانية	١٩٢
- ما المراد من الذكر	١٩٨
- الكلام على مسئلة الاستثناء	١٩٨
- ذكاء الامام ابى حنيفة	١٩٩
- تلميح لطيف	٢٠٠
- " ولبثوا فى كهفهم " اخبار من الله تعالى او حكاية لكلام القوم .	٢٠١
- قول ابن عباس فى هذا الموضوع	٢٠١
- قول ابن كثير	٢٠١
- رأى الشيخ حفظ الرحمن	٢٠٣
- زبدة قصة أهل الكهف	٢٠٦
- عهد اصحاب الكهف	٢٠٨
- اصحاب الكهف احياء او اموات	٢١٠
- من أهم ما يستنتج من قصة اصحاب الكهف	٢١٠ - ٢١١
- القرآن محفوظ ، لا مبدل لكلماته	٢١٢
- قصة اسلام اليهودى	٢١٤
- شهادة سر وليام مور	٢١٥
- شهادة المستشرق ليون	٢١٥
- سبب نزول الأيـة	٢١٨

الموضـــــوع	الصفحـــــة
- مبدأ المساواة والعدالة	٢٢٠
- ما هو المهل ؟ .	٢٢٧
- مبلغ ادراك المفترين بسرف الغنى وترف العيش	٢٣٨
- ادعى صاحب الجنتين اربع دعاوى	٢٤٤
- طريق الحوار فى الدعوة	٢٥٠
- سنة الدخول فى المنازل والبساتين	٢٥١
- فضل " ماشاء الله لا قوة الا بالله " .	٢٥٢ - ٢٥٣
- الفقر لا يحول دون منصب الدعوة	٢٥٤
- الأهداف فى بيان مثل الرجلين	٢٦٤
- مثل فناء الدنيا من أروع الأمثلة	٢٦٦
- تطبيق أنيف لهذا المثل على الحيوة الانسانية	٢٦٩
- الاقوال الواردة فى تفسير الباقيات الصالحات	٢٧٠
- أهم ما يستنتج من هذا المثل	٢٧٢
- الكلام على عرض العباد	٢٧٥ - ٢٧٦
- الكلام على " قوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا"	٢٧٩
- خلاصة الآيـــات	٢٨١
- ما هى حقيقة الملائكة ؟ .	٢٨٤
- كلام احمد خان على الملائكة ورد الحقانى عليه	٢٨٤ - ٢٨٧
- كلام الشيخ محمد عبده على هذا الموضوع ورد الشيخ الذهبى عليه .	٢٨٧ - ٢٩١

الموضـــــوع	الصفحـــــة
- حقيقة سجود الملائكة لآدم عليه السلام	٢٩٢ - ٢٩٣
- تحريم الاسلام سجود التحية	٢٩٢ - ٢٩٤
- الروايات الواردة فى تحريم سجود التحية	٢٩٢ - ٢٩٤
- الكلام على مسئلة نبوة آدم عليه السلام	٢٩٥ - ٢٩٨
- ابليس ليس من الملائكة	٢٩٩
- كلام الحافظ ابن كثير على الاسرائيليات	٢٩٩ - ٣٠٠
- كلام الامام ابن القيم الجوزية على افضلية التراب من النسار .	٣٠٢
- هل لابليس ذرية ؟ .	٣٠٤
- ما المراد بالموبق	٣٠٩
- حكمة تصريف الأمثال فى القرآن	٣١٢
- قصة موسى والخضر عليهما السلام	٣٢٤
- الحكم والاسرار فى بيان هذه القصة	٣٢٤ - ٣٢٥
- رواية ابن عباس فى ذلك	٣٢٩
- من هو الفتى	٣٢٩
- اين مجمع البحرين ؟ .	٣٢٩
- الوقفة المناسبة للتفكر فى الكلمات الدالة على المبادئ الهامة .	٣٣٢
- لا نهاية للاستفادة العلمية	٣٣٢

الموضـــــوع	الصفحـــــة
- فضل العلم	٣٣٣
- رحلة رجل من المدينة المنورة الى دمشق لتعلـــم حديث واحد .	٣٣٣
- رحلة طالب الى البصرة ومنها الى الشام لتعلم تفسير آية واحدة .	٣٣٤
- آداب السفر	٣٣٤ - ٣٣٥
- في رحلة موسى درس عظيم لطلبة العلوم الدينية	٣٣٦
- قول الاستاذ أمين احسن والرد عليه	٣٣٨ - ٣٣٩
- هل أصاب الحوت من رشاش عين الحياة ؟	٣٤٠
- الأقوال المتعددة في اسم الخضر عليه السلام	٣٤٨
- وجه تلقيبه بالخضر	٣٤٩
- ما هو نسبـــه ؟ .	٣٤٩
- متى كان عهده ؟ .	٣٤٩
- ما هو العلم اللدني ؟ .	٣٥٠
- الكلام على نبوة الخضر عليه السلام	٣٥١
- قيل انه ولي	٣٥٢
- قيل انه ملك	٣٥٢
- تمسك بعض الغفلة بقصة موسى والخضر على أن الولي افضـــل من النبي .	٣٥٣

الموضـــوع	الصفحـــة
- نماذج من ترهاتهـم	٣٥٣ - ٣٥٤
- كلام الشيخ على قارى على هذا الموضوع	٣٥٥
- كلام الامام ابن القيم الجوزية على هذا الموضوع	٣٥٥
- الهام الاولياء ليس بحجة	٣٥٧
- كلام المجدد السرهندى	٣٥٧
- كلام الشيخ عبدالقادر الجيلانى	٣٥٨
- كلام الشيخ جنيد البغدادى	٣٥٨
- كلام الشيخ السرى السقطى	٣٥٨
- اختلاف العلماء فى حياة الخضر عليه السلام	٣٦٠
- اقوال الصوفية والنووى وابن الصلاح	٣٦٠ - ٣٦١
- ذهب معظم المحدثين والمحققين الى انه ميت	٣٦٢ - ٣٦٥
- الروايات الواردة فى حياته ضعيفة وموضوعة	٣٦٤ - ٣٦٥
- متى حدثت رحلة موسى عليه السلام	٣٦٥
- الأدب الكامل فى التماس موسى عليه السلام من الخضر عليه السلام مرافقتـه .	٣٦٨
- المبادئ التعليمية	٣٧١ - ٣٧٢
- جواز اشتراط الشيخ على الطالب شروط الصحبة او شروط القبول .	٣٧٤
- هل تابع يوشع موسى عليه السلام فى الرحلات الثلاث	٣٧٥

الموضـــوع	الصفحـــة
- للولى ان ينقص مال اليتيم اذا رأى فى تنقيصه صلاحا له .	٣٧٩
- النسيان يعترى الانبياء	٣٧٩
- كيفية قتل الغلام	٣٨٢
- اقوال العلماء فى اسم الغلام	٣٨٢
- هل كان الغلام المقتول بالغا	٣٨٢
- الكلام على كلمة " نكرا " وكلمة " امرا "	٣٨٤
- قول النبى صلى الله عليه وسلم " رحمة الله علينا وعلى موسى " .	٣٨٦
- اى قرية كانت هذه ؟ .	٣٨٨
- السوال المشهور فى اعادة لفظ الأهل	٣٩٠
- استدلال الحريرى بالاية على الشهادة ورد القرطبى عليه .	٣٩١
- رد الآلوسى القصة المشهورة عند القصاصين	٣٩٣
- دليل القائلين بوجود المجاز فى القرآن الكريم	٣٩٤
- كيفية اقامة الجدار	٣٩٤
- ثبوت الكرامات والمعجزات	٣٩٥
- الفرق بين المسكين والفقير	٣٩٩ - ٤٠١
- نكتة قيمة لابى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى	٤٠١

الموضـــــوع	الصفحـــــة
- الكلام على كلمة خشينا	٤٠٤
- ما المراد بالكنز	٤٠٨
- صلاح الأباء يفيد العناية بالابناء	٤١١
- مواضع العبرة فى قصة موسى والخضر عليهما السلام	٤١٤
- الارتباط بين قصة موسى والخضر وبين قصة ذى القرنين	٤١٦
- سكوت السائلين بالاجوبة القرآنية دليل على صدق القرآن الكريم .	٤١٦ - ٤١٧
- اقوال العلماء فى لقب ذى القرنين	٤١٨
- المراد بقوله " واتيناه من كل شئ سببا "	٤٢٠
- الكلام على كلمة " وجدها تغرب " .	٤٢٢
- الخطاب الى ذى القرنين اما بطريق الوحى او بالالهام او بواسطة نبى فى عهده .	٤٢٣
- فى سلوك ذى القرنين مع الرعايا قبس للملوك والحكام	٤٢٥
- أمارات القائد المؤمن	٤٣٢
- الكلام على قوله تعالى وكان وعد ربى حقا	٤٣٤ - ٤٤٤
- أقوال المفسرين والمؤرخين فى شخصية ذى القرنين	٤٤٥ - ٤٤٧
- الاقوال المشهورة الأربعة	٤٤٨
- القول الاول - انه الاسكندر الرومى	٤٤٨
- القول الثانى - انه صعب بن ذى مرثد	٤٤٨

الموضـــوع	الصفحـــة
- القول الثالث - انه معاصر لابراهيم عليه السلام	٤٥٠
- القول الرابع - انه كورش	٤٥٣
- رى العلماء الاسكندر المقدونى بالشرك	٤٥٤
- أدلة ابى الكلام آزاد وحفظ الرحمن	٤٥٥ - ٤٦٦
- لماذا نقلت هذا الرأى الجديد فى شخصية ذى القرنين	٤٦٦
- الكلام على نبوة ذى القرنين	٤٦٧
- قيل هو ملك صالح وليس بنبى	٤٦٨
- القول الثالث وهو أنه ملك	٤٦٨
- تزييف رأى الشيخ محمد فريد وجدى	٤٦٩
- من هم ياجوج وماجوج ؟ .	٤٧٠
- هل بلغت ياجوج وماجوج الدعوة ؟ .	٤٧٣ - ٤٧٥
- اين السد ؟ .	٤٧٦ - ٤٨٠
- ما المراد " بعبادى " .	٤٨٨
- من الأخسرون اعمالا ؟ .	٤٩٠
- الكلام على قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	٤٩٤ - ٤٩٥
- الوزن قبل العبور على الصراط او بعده	٤٩٦
- هل توزن صحائف الاعمال او الاعمال بذاتها او صاحب الاعمال .	٤٩٧
- الكلام على كلمة " الفردوس " .	٥٠١

الموضـــوع	الصفحـــة
- ان الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكما شاء	٥٠٦
- لا نهاية لكلماته	٥٠٦
- القرآن غير مخلوق	٥٠٦
- عناصر الفلاح واسباب اللقاء الربانى	٥٠٨
- من اعاجيب الزمن	٥٠٨
- الرد على من قال انه عليه السلام نور محض وليس ببشر	٥٠٨
- لا تصرف لاحد فى العالم الا لله تعالى وحده	٥١٢
- الايمان بين الخوف والرجاء	٥١٤
- ما المراد بكلمة " لقاء ربه " .	٥١٥
- ان الله تعالى يرى بالأبصار فى الأخرة	٥١٦
- الرد على بشر المريسى	٥١٧
- ختام مسك	٥١٨
- قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يستوعب اجمالا معظم ما فى السورة .	٥١٨
- والرياء نوع من الشرك	٥١٨
- العقيدة الصحيحة اساس الفوز والفلاح	٥٢٠
- كلمة الجنيد البغدادى	٥٢١
- كلمة الطوسى الاكبر	٥٢١
- خاتمة	٥٢٣ - ٥٢٧

الموضـــوع	الصفحـــة
- ثبت مراجع البحث	٥٢٨ - ٥٥٥
- فهرس الاعلام	٥٥٦ - ٥٧٩
- فهرس الاماكـن	٥٨٠ - ٥٨٣
- فهرس الاحاديث	٥٨٤ - ٥٩٠
- فهرس الآيات حسب الأرقام	٥٩١ - ٥٩٣
- فهرس الموضوعات	٥٩٤ - ٦٠٧